

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة حسية بن بوعلي الشلف

كلية الآداب والفنون

قسم اللغة العربية



أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه

الشعبة: دراسات لغوية

التخصص: اللغة العربية وتحليل الخطاب

الخطاب القرآني في ضوء النظرية السياقية سورة النور أنموذجا

إعداد:

بن علي راس الماء

إشراف:

أ.د: عبد القادر توزان

المناقشة بتاريخ: 2019/02/21 من طرف اللجنة المكونة من:

اسم ولقب الأستاذ	الرتبة	الجامعة	الصفة
مجيد هارون	أستاذ محاضر أ	حسية بن بوعلي الشلف	رئيسا
عبد القادر توزان	أستاذ التعليم العالي	حسية بن بوعلي الشلف	مشرفا ومقررا
سهام موساوي	أستاذ محاضر أ	حسية بن بوعلي الشلف	مناقشا
عيسى العزري	أستاذ محاضر أ	حسية بن بوعلي الشلف	مناقشا
أمينة طيبي	أستاذ التعليم العالي	جيلالي اليابس سيدي بلعباس	مناقشا
سعاد بسناسي	أستاذ التعليم العالي	أحمد بن بلة وهران 1 السانبة	مناقشا

الموسم الجامعي: 1439هـ / 1440هـ الموافق لـ: 2018م / 2019م

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف

كلية الآداب والفنون

قسم اللغة العربية

أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه

الشعبة: دراسات لغوية

التخصص: اللغة العربية وتحليل الخطاب

الخطاب القرآني في ضوء النظرية السياقية سورة النور أنموذجا

إعداد: **بن علي راس الماء**
إشراف: **أ.د: عبد القادر توزان**

المناقشة بتاريخ: 2019/02/21 من طرف اللجنة المكونة من:

اسم ولقب الأستاذ	الرتبة	الجامعة	الصفة
مجيد هارون	أستاذ محاضر أ	حسيبة بن بوعلي الشلف	رئيسا
عبد القادر توزان	أستاذ التعليم العالي	حسيبة بن بوعلي الشلف	مشرفا ومقررا
سهام موساوي	أستاذ محاضر أ	حسيبة بن بوعلي الشلف	مناقشا
عيسى الغزري	أستاذ محاضر أ	حسيبة بن بوعلي الشلف	مناقشا
أمينة طيسي	أستاذ التعليم العالي	جيلالي اليابس سيدي بلعباس	مناقشا
سعاد بسناسي	أستاذ التعليم العالي	أحمد بن بلة وهران 1 السانية	مناقشا

الموسم الجامعي: 1439هـ / 1440هـ الموافق لـ: 2018م/2019م



قال تعالى:

﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ﴾

سورة ص: 20

شُكْرٌ وَتَقْدِيرٌ

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾

الشكر أولاً لله عز وجل فالحمد لله على توفيقه إياي على إتمام هذا البحث.

وامثالاً لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: ((لَا يَشْكُرُ اللَّهُ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ))

أسجل هنا شكري وعرفاني بالجميل وتقديري.

إلى الأستاذ المشرف على الرسالة، الأستاذ الدكتور: عبد القادر توزان الذي تفضل بقبول الإشراف على هذا البحث، وعلى ما بذله معي من جهدٍ في إسداء النصيح والتوجيه مدة الإشراف، جزاه الله عني كل خير.

كما لا يفوتني أن أسجل شكري لرئيس المشروع الأستاذ الدكتور: عبد القادر شرف الذي منحنا فرصة البحث.

كما أشكر أعضاء لجنة المناقشة التي تحملت الصعاب والمشقة، من أجل مناقشة هذه الرسالة والشكر موصول إلى كلية الآداب والفنون بجامعة حسينة بن بوعلي، والمتمثلة في أساتذتي الفضلاء، وعمّال المكتبة الذين منحونا الكتب والمصادر التي نحتاجها.

كما لا يفوتني تسجيل شكري ودعائي لجميع أساتذتي، الذين أفادوني كثيراً، ولجميع إخواني، وزملائي، وإلى كل من أعارني منهم كتاباً، أو أبدى تشجيعاً من قريب أو بعيد، كما لا يفوتني في هذا المقام أن أشكر صديقي وصهري عبد الغني بوطل الذي وفر لي بعث المصادر من خارج البلد.

فلکم مني کلّ شکرٍ وتقدير، جزى الله الجميع خيراً.

إهداء

أهدي هذا العمل المتواضع إلى روح أبي الطاهرة، طيب الله ثراه وأسكنه الفردوس الأعلى.

إلى والدتي الكريمة حفظها الله ورعاها.

إلى أبنائي الأعزاء (الطاهر ومحمد وآية).

إلى زوجتي الغالية هي الأخرى التي وضعت بصمتها في تدوين هذا البحث.

إلى كل الإخوة: (محمد وأحمد وأحمد).

إلى أبنائي إخواني الأعزاء كل باسمه الخاص

إلى كل الأعمام والأصهار والأقارب.

إلى عبد القادر جيلالي ساعو وأفراد عائلته.

إلى عبد الغني بوطبل وأفراد أسرته

إلى كل من قام بتعليمنا منذ نعومة أظافرنا.

إلى الصديقين العضدين: (ميلود بوزغادة وهني حباس).

إلى طلبة العلم عامة، ومن يخدم القرآن الكريم خاصة.

إلى هؤلاء جميعا أهدي ثمرة عملي.

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

إن القرآن الكريم هو خطاب الله تبارك وتعالى الذي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ فصلت: 42. تكفل الله بحفظه من التحريف والتبديل والتزييف، فقال في محكم تنزيله: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ الحجر: 09.

فحينما نستقري آيات الخطاب القرآني نجد في نداءاته وتوجيهاته قد شمل أصناف العالمين من المخاطبين على تنوع أجناسهم وألسنتهم وأديانهم التي يدينون بها، فقد خاطب الله بصيغة العموم في بعض آي القرآن، وخاطب الأنبياء والمرسلين - عليهم الصلاة والسلام - وخاطب أصناف الناس من المؤمنين والكفار والمشركين، وأشار إلى المنافقين في آيات أخرى، هذا ما نجده على سبيل المثال في سورة النور - محل بحثنا -.

كما أننا نجد الخطاب القرآني يدعو إلى المطالب العالية والفضائل السامية، والتشريعات الهادية الموجهة إلى كل خير، والدعوة إلى هذه المطالب والفضائل والأخلاق والتشريعات في الأسلوب الخطابي، هذا ما تضمنته سورة النور الكريمة التي هي محل بحثنا.

ومما رأيناه عن علماء القرآن والأصول والتفسير، أنهم قد اعتمدوا في فهم النص القرآني على السياق اللغوي وسياق الموقف الذي يعرف بأسباب النزول، لأن معرفة أسباب النزول يعين على فهم المعاني.

وفي المقابل نجد أن علماء أصول الفقه قد اعتمدوا على فكرة السياق في بيان المعنى في النصوص الشرعية، إذ يعد اللجوء إلى قرائن السياق من وسائلهم لتحديد المعنى ورصد الدلالات المختلفة للأمر والنهي ودلالاتهما كما هو مبين في سورة النور.

وجاء هذا البحث الموسوم ب: **الخطاب القرآني في ضوء النظرية السياقية سورة النور أنموذجا**

ليعالج الإشكالية الآتية:

إنه لمن الواجب علينا أن نتدبر القرآن لفهم معانيه، ولا يتأتى لنا ذلك إلا من خلال النظر والتفكير في سياق الآية أو الآيات والربط بينهما للوصول إلى معرفة المراد منها، إذ يعد السياق من أبرز القرائن المعينة على فهم الخطاب القرآني وتفسيره تفسيراً سليماً صحيحاً، يكشف عن المراد، فماذا نعني بالخطاب القرآني إذن؟ وماهي دلالاته؟ وبم يتميز عن سائر الخطابات الأخرى؟ وما علاقة السياق

بالخطاب القرآني؟ وهل يمكن تطبيق النظرية السياقية على الخطاب القرآني؟ وهل هي وليدة الغرب، أم لها جذور في التراث العربي؟ وما هي القرائن التي يعتمد عليها الباحث في فهم الخطاب القرآني؟

وكيف يمكن لمفسر القرآن أن يستخرج المقاصد اللغوية لتحقيق العملية التبليغية؟

كل هذه التساؤلات سنجيب عنها في هذه الرسالة العلمية، إمّا بتوضيح فكرة غامضة، أو إلقاء نظرة أو إسقاطها على الواقع.

كما أن هناك أسباب ودوافع جعلتني أتناول هذا البحث، من أهم الأسباب والدوافع التي راودتني لاختيار هذا الموضوع هو تعلقي بكتاب الله، وحفظه منذ صغري، ومما لفت نظري لاختيار هذا الموضوع هو أهميته الكبيرة وتعلقه بكتاب الله عز وجل، ومن الأسباب أيضا: هو خدمة القرآن الكريم وتبسيط الضوء على المنهج الصحيح لفهم كتاب الله عز وجل، وشغفي بالبحوث المتعلقة به، خصوصا الدلالية منها، وإظهار مقاصد الخطاب القرآني، والذي لفت انتباهنا لهذا الموضوع أيضا هو عدم استيفاء الدراسات السابقة بالشرح، والوقوف بالعدول إلى المعاني الواضحة والخفية لكثير من المقاطع المتعددة في سورة النور.

هذا وقد اعتمدنا في بحثنا هذا على أهم المصادر التي تخدم هذا البحث من بينها: لسان العرب لابن منظور، ومقاييس اللغة لابن فارس، وأساس البلاغة للزمخشري، كما اعتمدنا على التفاسير القرآنية منها: جامع البيان لآي القرآن ل: الطبري، والتحرير والتنوير ل: ابن عاشور، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير... وغيرها.

هذا وقد وجدنا دراسات سابقة لهذا الموضوع، إلا أنها لم تكن مطابقة لهذا العنوان بالذات، ومن بينها:

دلالة السياق رسالة دكتورة ل: ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي، وأثر دلالة السياق في توجيه معنى المتشابه اللفظي قي القصص القرآني، ل: تهاني بنت سالم بن أحمد باحويرث، والسياق القرآني وأثره في التفسير، دراسة نظرية وتطبيقية من خلال تفسير ابن كثير، ل: عبد الرحمن عبد الله سرور جرمان المطيري، ودلالة السياق عند الأصوليين دراسة نظرية تطبيقية، ل: سعد بن مقبل بن عيسى العنزي.

أمّا المنهج الذي اتبعناه واعتمدنا عليه في كتابة هذه لرسالة هو المنهج الوصفي التحليلي، وذلك من خلال استقراءنا للنصوص في سياقها، والاطلاع على أقوال العلماء.

هذا وقد واجهتنا صعوبات في ثنايا هذا البحث، منها صعوبة البحث في القرآن الكريم وذلك لأنه مهما بذل الباحث من جهدٍ، ومهما جدّ في خدمة كتاب الله عز وجل فلن يفهم حقه، لذلك نوجّه هذه المشقة لخدمة كتاب الله عز وجل طمعا في جزيل ثواب الله عز وجل.

ومن الصّعوبات أيضا المرض الذي ألمّ بي وبعائلي هذا ما أرّقني وأضاع منّي الوقت الكثير.

ومن الصّعوبات التي واجهتنا أيضا في هذا البحث أنه متشعب الجوانب يصعب الإحاطة بكل جوانبه.

وَمَنْ تَكُنْ الْعِلْيَاءَ هَمَّةٌ نَفْسِهِ. فَكُلُّ الَّذِي يَلْقَاهُ فِيهِ مُحِبٌّ⁽¹⁾

أما فيما يخص الخطة المتبعة في هذا البحث، فقد بدأناه بمدخلٍ خصّصناه للتعريف العام بسورة النور.

ففي المبحث الأول تناولنا فيه اسم السورة، وذكرنا سبب تسميتها.

وفي المبحث الثاني تطرقنا للحديث عن فضلها ومكان نزولها.

وأما في المبحث الثالث والأخير فقد خصصناه للحديث عن زمن نزول بعض آياتها.

ثم بعد ذلك انتقلنا إلى الفصل الأول الذي وسمناه بالخطاب القرآني خصائصه ومميزاته، هذا وقد قسمناه إلى خمسة مباحث.

⁽¹⁾ محمود سامي البارودي، (ديوان محمود سامي البارودي)، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، جمهورية مصر العربية، قافية الباء، ص: 45.

تناولنا في المبحث الأول منه الحديث عن مفهوم الخطاب في التراث العربي بشكل عام، والخطاب القرآني بشكل خاص.

أما في المبحث الموالي - الثاني - فقد تناولنا فيه أسماء القرآني وصفاته، حيث ذكرنا واقتصرنا على ذكر بعضها.

وفي المبحث الثالث تطرقنا للحديث عن أنواع الخطاب في القرآن الكريم.

وفي المبحث الذي يليه تناولنا الحديث عن خصائص الخطاب القرآني ومميزاته

وأما المبحث الأخير تناولنا فيه مقاصد الخطاب القرآني، حيث عرفنا فيه المقاصد، وذكرنا أقسامها، وطرق الكشف عن مقاصد الشرع.

أما في الفصل الثاني الذي فوسمناه بأصول النظرية السياقية في التراث العربي والفكر الغربي، وقد قسمنا هذا الفصل إلى أربعة مباحث.

ففي المبحث الأول من الفصل قمنا بتحديد مفهوم السياق في التراث العربي، وقمنا بتوضيح أصول النظرية السياقية عند علماء التراث. عند كل من: (عند اللغويين، النحويين، البلاغيين وعند المفسرين-دارسي القرآن-)، وأخيرا عند الأصوليين).

وفي المبحث الثاني خصصناه للكلام أنواع السياق ومرادفاته.

أما المبحث الموالي، فقد تناولنا فيه موضوع السياق القرآني، حيث عرفنا السياق القرآني وبيننا أهميته، وبعد ذلك تكلمنا عن الأنواع الثلاثة للسياق القرآني (سياق القرآن، وسياق السورة، وسياق الآية).

وفي المبحث ما قبل الأخير من الفصل الثاني الذي عنوانه بسياق التنزيل، قسمناه إلى أربعة مطالب، كان المطلب الأول منه: التعريف بأسباب النزول لغة واصطلاحاً، ثم بعده تطرقنا إلى تبين فوائد أسباب النزول، كما أشرنا إلى صيغ التعبير عن أسباب النزول، وفي المطلب ما قبل الأخير قمنا بذكر الضوابط والطرق لمعرفة أسباب النزول، وأخيرا ذكرنا العلاقة القائمة بين السياق وأسباب النزول.

ثم انتقلنا إلى المبحث الرابع والأخير من الفصل خصصناه لنظرية السياق في الفكر اللغوي الحديث عند الغربيين، وذكرنا العلماء الذين كان له شرف السبق ك (فيرث، ومالينوفسكي)، كما بينا أهم الانتقادات الموجهة إلى النظرية السياقية الغربية.

وفي الفصل الأخير خصصناه للدراسة التطبيقية على بعض المقاطع من سورة النور. وفي نهاية الدراسة التطبيقية وضعنا خاتمة لما كتبناه من البحث والتي كانت عبارة عن نتائج ما توصلنا إليه في هذه الرحلة العلمية. أسأل الله عز وجل أن نكون قد وفقنا فيه. فهذه الدراسة بفصولها الثلاثة أضعها بين يدي اللجنة المناقشة لتحقيقها وإضافة الجديد وتسهيل الضوء عليها.

وفي الأخير أسأل الله تعالى أن يجنبنا الخطأ والتقصير في كلام الله عز وجل بغير علم، وأن يغفر لنا زلاتنا على ما ارتكبناه عن جهل، أو نسيان أو غفلة، وأن يعيننا على تدارك كثير من الأفكار التي فاتتنا في هذا البحث.

هذا وإننا نتوجه بهذا العمل شاكرين الله عز وجل على توفيقه على إكماله وإتمامه. كما أتوجه بالشكر الجزيل في هذا المقام إلى أستاذي المشرف الأستاذ الدكتور: عبد القادر توزان الذي أحاطني بتوجيهاته، وغمرني بحملي صبره.

وأقدم بالشكر والتقدير لأساتذتي أعضاء اللجنة المناقشة، الذين تجشّموا عناء السفر، وتعبوا من قراءة هذه الرسالة، وتصحيح أخطائها، فلهم مني كل الشكر، جزاهم الله عنا خير الجزاء على صبرهم علينا. على هذا الجهد المقل، يكفينا فيه شرف البحث في خدمة كتاب الله تعالى، لتعظيم شأنه، وطلب مغفرته ورضوانه.

كما أسأله جل وعلا أن يتقبله منا بقبول حسن، وأن يعفو عنا عما كان فيه من نقص أو خطأ ونسيان.

الطالب: بن علي راس الماء

يوم 25 جوان 2018.

مدخل

التعريف العام بسورة النور

المبحث الأول: اسم السورة وسبب تسميتها

أولاً: اسم السورة

إن لكل سورة من سور القرآن اسم خاص بها، بل هناك أسماء لسورة واحدة، كسورة الفاتحة مثلاً في الكافية الشافية أم الكتاب... وغيرها من الأسماء، كذلك سورة النور التي هي محل دراستنا، هي السورة الرابعة والعشرون بحسب الرسم القرآني، وهي السورة الخامسة من المجموعة الثالثة من قسم المئين وآياتها أربع وستون⁽¹⁾. نزلت بعد سورة الحشر⁽²⁾. سميت سورة النور بهذا الاسم بتوقيف من النبي صلى الله عليه وسلم ولا يعرف لها اسم آخر⁽³⁾،⁽⁴⁾، ومما يدل على أن اسمها توقيفي عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:

((اقْرَأُوا الْقُرْآنَ، فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ، اقْرَأُوا الزَّهْرَاوِينَ، الْبَقْرَةَ وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ، فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَّاتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافٍ، تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا، اقْرَأُوا سُورَةَ الْبَقْرَةِ، فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ وَتَرْكُهَا حَسْرَةٌ وَلَا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطْلَةُ قَالَ مُعَاوِيَةُ: بَلَّغَنِي أَنَّ الْبَطْلَةَ السَّحَرَةُ))⁽⁵⁾.

ومن هنا فإن أكثر السور القرآنية لها اسماً واحداً، ومنها ما يكون لها اسمان فأكثر، ومن ذلك سورة الفاتحة التي قال عنها السيوطي "أن لها ثِنْتاً وعشرين اسماً"⁽⁶⁾.

(1) سعيد حوى، (ت 1409هـ)، (الأساس في التفسير)، ط 6، (1426هـ)، دار السلام، القاهرة، ج 7، ص: 3677.
(2) د عبد الله محمود شحاتة، (أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1976 ص: 255.
(3) محمد أحمد يوسف القاسم، (تأملات في تفسير سورة النور)، دار الطباعة المحمدية، الأزهر بالقاهرة، ط 1، (1339هـ، 1978م).

(4) ينظر: بن علي راس الماء، (مقاصد الخطاب القرآني في ضوء النظرية السياقية، نماذج مختارة من سورة النور)، مجلة دراسات لسانية، مج 2، العدد: 9، 10 جوان 2018، ص: 345، بتصرف.
(5) رواه مسلم في صلاة المسافرين، (باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة)، برقم: 1337.
(6) ينظر: أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن أبو بكر السيوطي، (الإتقان في علوم القرآن)، ط 3، (1990)، دار الكتب العلمية بيروت، ج 1، ص: 148.

ثانياً: سبب تسميتها

من خلال استقراءنا في أمّهات الكتب والنصوص وجدنا أن سورة النور سميت بها الاسم لعدة أسباب لنا أن نذكرها في بحثنا هذا.

01) سميت بالنور لتنويرها طريق الحياة الاجتماعية للناس، عن طريق بيان الآداب والفضائل، وتشريع الأحكام والقواعد التي تضبط حياتهم الدنيوية حتى ينجحوا عند لقاء ربهم ويفوزون بالآخرة.

02) لتضمنها الآية المشرفة وهي قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾⁽¹⁾، قال الزحيلي في كتابه: "أي: منورها، فبنوره أضاءت السماوات والأرض، وبنوره اهتدى الحيارى والضالون إلى طريقهم".⁽²⁾

03) جاء في مقال منشور: "سميت بهذا الاسم كذلك لكثرة ذكر النور فيها فقد ورد ذكر النور في هذه السورة ست مرات، قال تبارك وتعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.⁽³⁾"⁽⁴⁾

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾.⁽⁵⁾

04) وقيل سميت بالنور: "لأنها تنور العقل والقلب فكما أن نور الله ينير السماوات والأرض فما في السورة من أحكام وتشريعات وآداب وأخلاق وسلوكيات تنير درب الأمة وتبعدها عن الانحراف، كما

⁽¹⁾ النور (35).

⁽²⁾ ينظر: وهبة بن مصطفى الزحيلي، (التفسير المنير في العقيدة والشرعة والمنهج)، ط: 1 1991م - دار الفكر، ج: 17 ص: 24.

⁽³⁾ النور (35).

⁽⁴⁾ ينظر: بن علي راس الماء، (مقاصد الخطاب القرآني في ضوء النظرية السياقية، نماذج مختارة من سورة النور)، ص:

345، سابق.

⁽⁵⁾ النور (40)

أن النور يضيء للإنسان في الظلمات ويجعله يرى طريقاً واضحاً فلا يضل ولا يتيه فهي تنور الحياة الاجتماعية للناس⁽¹⁾.

05) وقيل سميت بهذا الاسم لكون هدفها ومحورها وموضوعاتها نورا لمن اتبعها وسار عليها.⁽²⁾

يقول الأستاذ سيد قطب عنها: "هذه سورة النور.. يذكر فيها النور بلفظه متصلاً بذات الله ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾"⁽³⁾، ويذكر فيها النور بآثاره ومظاهره في القلوب والأرواح ممثلة هذه الآثار في الآداب والأخلاق التي يقوم عليها بناء هذه السورة، وهي آداب وأخلاق نفسية وعائلية وجماعية، تنير القلب، وتنير الحياة ويربطها بذلك النور الكوني الشامل أنها نور في الأرواح، وإشراق في القلوب، وشفافية في الضمائر، مستمدة كلها من ذلك النور الكبير".⁽⁴⁾

كما ذهب الزركشي إلى القول بأن سبب تسمية سورة النور بهذا الاسم: "ينبغي النظر في وجه اختصاص كل سورة بما سميت به، ولا شك أن العرب تراعي في الكثير من المسميات أخذ أسمائها من نادر أو مستغرب يكون في الشيء من خلق أو صفة تخصه أو تكون معه أحكم أو أكثر أو أسبق لإدراك الرائي للمسمى، وعلى ذلك جرت أسماء سور الكتاب العزيز، كتسمية سورة البقرة لذكر قصة فيها وتسمية سورة النساء لكثرة ما ورد فيها من أحكام النساء..."⁽⁵⁾

خلاصة القول:

يظهر لنا من خلال الأقوال السابقة أن الله عز وجل سمى سور القرآن في غالبية الأحيان بما يغلب على السورة من الأحكام أو الشرائع الموجودة في السورة الكريمة وذلك كسورة المجادلة وسورة الجمعة والطلاق... وغيرها، فهي أخذت تسميتها من الحوار أو الكلام الذي يدور حول موضوع معين، وقد

⁽¹⁾ هدى رشيد جاد الله، (تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر من خلال سور (النور - الفرقان - الشعراء - النمل))، بحث مقدم لاستكمال متطلبات درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن، إشراف الدكتور رياض محمود قاسم (1427هـ - 2006م)، ص: 29.

⁽²⁾ ينظر: بن علي راس الماء، مقاصد الخطاب القرآني في ضوء النظرية السياقية، نماذج مختارة من سورة النور، ص: 346.

⁽³⁾ النور (35).

⁽⁴⁾ سيد قطب، (في ظلال القرآن)، دار الشروق، ج 4، ط 132 (1423هـ - 2003م)، ص: 2485.

⁽⁵⁾ أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر (الزركشي)، ت (794هـ)، (البرهان في علوم القرآن)، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، ط 1 (1376هـ - 1957م)، دار المعرفة بيروت، لبنان، ج 1، ص: 270.

سمى المولى عز وجل سورة النور بهذا الاسم لأن المؤمن عند الالتزام بأحكامها، والعمل بما فيها، واجتناب النواهي، والالتزام بالأوامر تجعل المسلم في نور الحياتين الدنيا والآخرة، ففي الدنيا بعده عن المعاصي والمحرمات، كفاحشة الزنا... وغيرها، وفي الآخرة الجزاء من جنس العمل.

المبحث الثاني: فضلها ومكان نزولها

أولاً: فضلها

إن من يقرأ القرآن يرتاح ويطمئن؛ فالسورة التي هي محل دراستنا وبحثنا من يتلوها ويتتبع أحكامها يجد أنها أنس وشعور بالطمأنينة، لأن المؤمن يرتاح للعفة والطهر، ويشمئز من الفحش وسوء الظن والاتهام.

فقد ورد عن المِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ، أَنَّهُ سَمِعَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، يَقُولُ: "تَعَلَّمُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ وَسُورَةَ النَّسَاءِ وَسُورَةَ الْمَائِدَةِ وَسُورَةَ الْحَجِّ وَسُورَةَ النُّورِ فَإِنَّ فِيهِنَّ الْفَرَائِضَ" (1).

وعن مجاهد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((عَلِّمُوا رِجَالَكُمْ سُورَةَ الْمَائِدَةِ، وَعَلِّمُوا نِسَاءَكُمْ سُورَةَ النُّورِ)). (2)، فسورة النور أخذت هذه الميزة لما فيها من الفضائل الكثيرة.

ثانياً: مكان نزولها

ذكر الرازي إجماع العلماء على أن سورة النور مدنية كلها، فقال: "إِنَّ سُورَةَ النَّورِ مَدْنِيَّةٌ كُلُّهَا وَلَمْ يَخَالَفْ مِنْهُمْ أَحَدٌ" (3)، بينما ذكر القرطبي في تفسيره أنها مكية، وذلك في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيْسَ أَتَذُنُّكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (4). "ويبدو أن ذلك خطأ في النسخ أو في الطباعة لأن القرطبي نفسه نقل الإجماع على أن جميع آيات السورة مدنية، فيبدو أن كلمة (مكية) قد حُرِفت عن كلمة (مدنية) الواردة في (تفسير

(1) ينظر: وهبة الزحيلي، (التفسير المنير)، ج18، ص: 11 مرجع سابق.

(2) محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، ت (1182هـ)، (التنوير شرح الجامع الصغير)، تح د. محمد إسحاق محمد إبراهيم، الناشر: مكتبة دار السلام، الرياض، ط1، (1432 هـ - 2011م) ج7، ص: 268.

(3) أبو عبد الله بن عمر بن حسين القرشي (فخر الدين الرازي)، الطبرستاني الأصل، (تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير ومفاتيح الغيب)، ط1، (1401هـ-1981م)، دار الفكر، لبنان بيروت، التفسير الكبير، ص: 113.

(4) النور (58).

ابن عطية الأندلسي)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، في المجلد 4 ص: 59، الذي ينقل عنه القرطبي كثيراً.

ومما يزيدنا تأكيداً على أنها مدنية هو أن القرطبي نفسه يقول في أول تفسير السورة: "وهي مدنية بالإجماع"⁽¹⁾، فلعلّ تحريفاً طرأ على النسخ من تفسير القرطبي، وأنّ صواب الكلمة وهي "محكمة" أي غير منسوخ حكمها، خاصة وأنّ الكلمة جاءت بعد سياق ردّه على القول بأنّ الآية منسوخة. ويؤيد ما قلنا، أنّ هذه العبارة موجودة في تفسير ابن عطية حيث يقول: "وهذه الآية محكمة، قال ابن عباس⁽²⁾ (تركها الناس)، ومن المعلوم أنّ القرطبي ينقل كثيراً عن تفسير ابن عطية⁽³⁾.

(1) أبو عبد الله محمد بن أحمد، بن أبي بكر بن فرج الأنصاري الخزرجي شمس الدين (القرطبي)، (ت 671هـ)، (الجامع لأحكام القرآن)، تح أحمد البرموني، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2 (1384هـ - 1964م)، ج2، ص: 158.

(2) أبو العباس عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، حبر الأمة وترجمان القرآن وإمام التفسير وفقه عصره (3 ق هـ - 68 هـ)، كان يجلس للعلم فيجعل لكل يوم علماً من العلوم، ينظر: أبو سهل محمد بن عبد الرحمن المغراوي، (موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية)، المكتبة الإسلامية للنشر و التوزيع، القاهرة مصر، ج1، ص: 321، بتصرف.

(3) محمد الطاهر ابن عاشور (تفسير التحرير والتنوير)، الدار التونسية للنشر، ط 1984، ج8، ص: 139.

المبحث الثالث: زمن نزول آياتها

لما نقرأ في كتب أسباب النزول نجد أن هناك سورا لها زمن نزول، كما نجد ذلك في هذه السورة- النور- المباركة كما قال محمد عمر حويه: "هذا ولا شك أن في نزول القرآن منجما -مفرقا- على حسب الوقائع والأحداث حِكْمًا وأسراراً عظيمة، كيف وذلك التنجيم مِّن أنزل القرآن وهو سبحانه أعلم بما يصلح عبادة"⁽¹⁾.

إننا لما نقرأ في ثنايا سورة النور نجد أنها مثل كثير من سور القرآن لم تنزل في وقت واحد، بل نزلت منجمة في أوقات وحوادث مختلفة وهناك مجموعة من الحوادث كانت سبباً في نزول الآيات ومنها:

أولاً: زمن نزول آية النهي عن الزواج من الزواني

قال تعالى في: آية النهي عن الزواج من الزواني في قوله تعالى: ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾⁽²⁾.

ومما ورد أن هذه الآية نزلت أواخر السنة الأولى بعد الهجرة أو أوائل السنة الثانية ، الحديث الذي ورد في كتاب (جمع الفوائد من جامع الأصول ومجمع الزوائد) "حدثنا عبد بن حميد حدثنا روح بن عبادة عن عبيد الله بن الأحنس أخبرني عمرو شعيب عن أبيه عن جده قال: كان رجلٌ يُقَالُ له مَرْثَدُ بْنُ أَبِي مَرْثَدٍ وكان رجلاً يَحْمِلُ الْأَسْرَى من مكة حتى يَأْتِي بِهْمُ الْمَدِينَةَ قال وكانت امرأةٌ بَغِيٌّ بِمَكَّةَ يُقَالُ لها عَنَاقُ وكانت صديقةً له وإنه كان وَعَدَ رجلاً من أُسَارَى مكةَ يَحْمِلُهُ، قال فَجِئْتُ حتى انْتَهَيْتُ إِلَى ظِلِّ حَائِطٍ من حَوَائِطِ مكةَ فِي لَيْلَةٍ مُقَمَّرَةٍ قال فجاءت عَنَاقُ فَأَبْصَرْتُ سَوَادَ ظِلِّي بِجَنْبِ الحَائِطِ فلما انْتَهَتْ إِلَيَّ عَرَفْتُ فَقَالَتْ: مَرْثَدُ فَقُلْتُ: مَرْثَدُ قَالَتْ: مَرْحَبًا وَأَهْلًا هَلُمَّ فَبِتْ عِنْدَنَا اللَّيْلَةَ قُلْتُ: يَا عَنَاقُ! حَرَّمَ اللَّهُ الزَّانَا! قَالَتْ: يَا أَهْلَ الْخِيَامِ! هذا الرجلُ يَحْمِلُ أُسْرَاكُمْ قال: فَتَبِعَنِي ثَمَانِيَةً وَسَلَكْتُ الْحَنْدَمَةَ فَاَنْتَهَيْتُ إِلَى كَهْفٍ أَوْ غَارٍ فَدَخَلْتُ فَجَاءُوا حتى قاموا على رَأْسِي فَبَالُوا فَظَلَّ بَوْهُمُ عَلَى رَأْسِي وَأَعْمَاهُمْ اللَّهُ عَنِّي قال: ثم رَجَعُوا وَرَجَعْتُ إِلَى صَاحِبِي فَحَمَلْتُهُ وكان رجلاً ثَقِيلاً حتى انْتَهَيْتُ إِلَى الإِذْخِرِ فَفَكَكْتُ عَنْهُ كَبْلَهُ فَجَعَلْتُ أَحْمِلُهُ وَيُعِينَنِي حتى قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ فَاتَيْتُ

⁽¹⁾ محمد عمر حويه، (نزول القرآن الكريم وتاريخه وما يتعلق به)، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة،

رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: يا رسول الله أأنكح عناقاً؟ مرتين فأمسك.
رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرد علي شيئاً حتى نزلت الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة
والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((يا مرثد! الزاني لا
ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك فلا تنكحها)).⁽¹⁾

يفهم من كلام النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث أنه لا يجوز للمسلم أن ينكح زانية، كما
لا يجوز لها أن تنكح زانياً، خوف من اختلاط الأنساب.

وقد جاء في بعض كتب التفسير سبب آخر لنزول الآيات ، قال صاحب تفسير الماوردي: "نزلت
في أهل الصفة ، وكانوا قوماً من المهاجرين فقراء ولم يكن مساكن ولا عشائر فنزلوا صفة المسجد، وكانوا
نحو أربعمئة رجل يلتمسون الرزق بالنهار، ويأوون إلى الصفة في الليل، وكان في المدينة بغايا، متعانات
بالفجور، مما يصيب الرجال بالكسوة والطعام، فهم أهل الصفة ، أن يتزوجوهن، ليأووا إلى مساكنهن
وينالوا من طعامهن وكسوتهن، فنزلت فيهن هذه الآية".⁽²⁾

جاءت هذه الآية تحرم نكاحهن صيانة للمؤمنين، وهذا السبب أيضاً يتفق مع قصة مرثد قال
نزلت ما بين السنة الأولى والثانية بعد الهجرة.

يتضح لنا مما سبق أن كلاً من السببين يوضح سبب نزول الآية وهو عدم نكاح البواغي والزواني،
وهذا ما جاءت به شريعة الإسلام لحفظ الأنساب من الاختلاط، ويبين أيضاً بأن النبي صلى الله عليه
وسلم كان لا يتسرع في إثبات الأحكام الشرعية، حتى ينزل عليه قرآن بشأن الحادثة، وهذا ما يسمّى
بسياق التنزيل أو أسباب النزول.

(1) ينظر: محمد بن محمد بن سليمان بن الفاسي بن طاهر السوسي الردائي المغربي المالكي، ت (1094هـ)، (جمع الفوائد من
جامع الأصول ومجمع الزوائد)، تح أبو علي سليمان بن دريع، دار ابن حزم، بيروت، ط1 (1418-1998م)، ج3، ص:
166.

(2) أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي (الماوردي)، ت (450هـ)، (تفسير الماوردي النكت
والعيون)، تح السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية بيروت، ج4، ص: 73.

ثانيا: زمن نزول آيات حكم قذف المحصنات:

مما يلفت انتباهنا هو أنه كما لبعض سور القرآن زمن النزول، فكذلك لبعض آيه زمن النزول، وذلك كقوله جل وعلا: ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾⁽¹⁾

ذهب بعض العلماء كالقرطبي ومحمد بن محمد الفاسي إلى أن هذه الآيات نزلت قبل أو مع الآيات النازلة بشأن حادثة الافك - في السنة السادسة للهجرة فهذه الآية نزلت في القاذفين، قال سعيد بن جبير: "كان سببها ما قيل في عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها، وقيل: بل نزلت بسبب القذف عاماً لا في تلك النازلة، وقال ابن المنذر: "لم نجد في أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم خبراً يدل على تصريح القذف، وظاهر كتاب الله تعالى مستغنى به دالاً على القذف الذي يوجب الحد، وأهل العلم على ذلك مجمعون"⁽²⁾، فبعد نزول الآيات التي برأت السيدة عائشة أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بأولئك الذي شاركوا بصريح القذف فضربوا حد القذف بدليل ما روي عن عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت: "لما نزل عذري قام النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك وتلا - تعني القرآن - فلما نزل من المنبر أمر بالرجلين والمرأة فضربوا حدهم"⁽³⁾.

ثالثا: زمن نزول آيات اللعان:

كما ورد أيضاً: أنّ آيات اللعان والملاعنة والتلاعن من ملاعنة الرجل امرأته، وقد جاءت في الروايات والأحاديث الصحيحة - صحيح البخاري -، ما يؤكد أن هذه الآيات نزلت في هلال بن أمية، وفي عويمر العجلاني وفي التحقيق أنهما قصتان حدثتا في وقت واحد أو متقارب، والراجح أن هذه

(1) النور (02).

(2) القرطبي، (الجامع لأحكام القرآن)، ج12، ص: 172، مصدر سابق.

(3) محمد بن محمد بن سليمان بن الفاسي بن طاهر السوسي الردواني المغربي المالكي، (ت 1094هـ)، (جمع الفوائد من جامع الأصول ومجمع الزوائد)، تح وتخ أبو سليمان بن دريع، كتاب الحدود، دار ان حزم بيروت، ط1 (1418هـ - 1998م)، ج2، ص: 343.

الحادثة (الملاعنة بين الأزواج وسبب نزول الآيات) كانت في أواخر السنة التاسعة بعد الهجرة بعد الرجوع من غزوة تبوك، وقد عرفت تلك السنة عند المؤرخين بسنة الملاعنة (1).

رابعاً: الآيات النازلة بشأن حادثة الإفك:

نزلت هذه الآيات في شأن أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - حين رماها أهل الأفك من المنافقين بما تقولوا عليها به من الكذب والبهتان وقد حصل ذلك كما تتفق عليه الروايات في شعبان من السنة السادسة بعد الهجرة على الأرجح (2)، سنبين هذا في الجانب التطبيقي.

خامساً: زمن نزول آية المكاتب والنهي عن البغاء

أما فيما يخص الآية الثالثة والثلاثين من سورة النور التي يقول فيها جل وعلا: ﴿وَلَيْسْتَغْفِرِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتِغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُمْ مِّنْ مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَن يُكْرِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ (3) فقد ذكر الزهري أنها: "نزلت أواخر السنة الثانية بعد الهجرة بعد غزوة بدر، فقد روي: "أن رجلاً من قريش أسر يوم بدر وكان ابن أبي بن سلول (رأس المنافقين) قد أسره" (4). فكان الأسير القريشي يريد جارية لابن أبي علي نفسها وكانت مسلمة تمتنع منه لإسلامها، وكان ابن أبي يكرهاها على ذلك يضربها رجاء إن تحمل من القريشي فيطلب فداء ولده، فشكت ذلك إلى رسول الله، فأنزل الله تعالى قوله: ﴿وَلَيْسْتَغْفِرِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتِغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُمْ مِّنْ مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَن يُكْرِهِنَّ

(1) ينظر: أبو زكريا محي الدين بن شرف النووي، (ت 676هـ)، (المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج)، كتاب اللعان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط2 (1392هـ)، ج 10، ص: 130.

(2) موسى بن يوسف الصالح الشامي، (ت 942هـ)، (سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد)، تح وتعد عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2 (1414هـ - 1993م)، كتاب اللعان، ج 4، ص: 356.

(3) النور (33).

(4) محمد بن سعد بن منيع (الزهري)، (الطبقات الكبرى)، تح علي محمد عمر، الناشر مكتبة الخانجي، ط1، ج 2، ص: 63-65، بتصرف.

فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِمْ غُفُورٌ رَحِيمٌ⁽¹⁾، وذهب أهل السير إلى أن غزوة بدر وقعت في رمضان من السنة الثانية بعد الهجرة⁽²⁾.

سادسا: زمن نزول آيات الاستئذان عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعدم مخالفته:

من الآداب التي جعلها الله عز وجل لحماية البيوت والأسر الاستئذان، وذلك حفاظا لكيان المجتمع روي أن هذه الآية نزلت في وقت حفر رسول الله صلى الله عليه وسلم خندق المدينة وذلك أن بعض المؤمنين كان يستأذن لضرورة وكان المنافقون يذهبون دون استئذان فأخرج الله تعالى الذين لا يستأذنون عن صنيعة المؤمنين وأمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يأذن للمؤمن الذي لا تدعوه ضرورة إلى حبسه وهو الذي يشاء ثم أمره بالاستغفار لصنفي المؤمنين من أذن له ومن لم يؤذن له وفي ذلك تأنيس للمؤمنين ورأفة بهم⁽³⁾.

ذكر ابن القيم بقوله: "عند أهل السير والمغازي أن هذه الغزوة كانت في السنة الخامسة للهجرة⁽⁴⁾."

من خلال القراءة في أمهات الكتب والتفسير اتضح لنا أنّ الآيات السالفة الذكر كلها لها سبب النزول، كما أنها نزلت مفرقة، ومنجمة، حسبما ذكرنا، وهذا ما وقع في المجتمع المدني، فسورة النور إذن لها أسباب وليس سببا واحدا فقط، فالقرآن كان ينزل لعلاج القضايا والأخطاء التي يقع فيها بعض الناس.

(1) النور (33).

(2) محمد بن أبي بكر بن أيوب (ابن قيم الجوزية)، زاد المعاد في هدي خير العباد، تح شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة للنشر، (1418هـ-1990م) ج5، ص: 318.

(3) عبد الحق بن غالب، (ابن عطية)، الأندلسي، (ت 546هـ)، (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) (تفسير ابن عطية) تح عبد السلام عبد الشافعي محمد، منشورات دار الكتاب العلمية، بيروت لبنان، ج5، ص: 320.

(4) ابن قيم الجوزية، (زاد المعاد في هدي خير العباد)، تح شعيب الأرناؤوط - عبد القادر الأرناؤوط-، سنة النشر: (1430 - 2009)، ج 5، ص: 320.

المبحث الرابع: صلة السورة بما قبلها وما بعدها

أولاً: صلة السورة بما قبلها:

للقرآن الكريم تناسب وتناسق بين آياته وسوره، وذلك لتشكيل الوحدة الموضوعية، ولربط القرآن بعضه ببعض، فهو كالبناء الواحد المرصوص، كما أنه -القرآن الكريم- يوضح ويبين ويفسر بعضه بعضاً، ونرى ذلك لما نقرأ سورة النور مع السورة التي قبلها -المؤمنون- نجد أن لهما ارتباطاً وثيقاً ببعضهما، كأنهما سورة واحدة، مع أن سورة المؤمنين مكية لكنهما مرتبطتان ببعضهما البعض، هذا ما نصل إليه في هذه القراءة.

يبين الله عز وجل في مطلع سورة المؤمنين صفات المؤمنين ومن هذه الصفات حفظ الفروج حيث يقول جل وعلا في مطلع السورة: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأُزْوَاجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾⁽¹⁾. فقد بينا في هذه السورة أحكاماً نذكرها في النقاط التالية:

- 1) أن من لم يحفظ فرجه واعتدى على حدود الله، مثل الزانية والزاني فقد عرضا أنفسهما لعاقبة السوء، ولسخط الله وعذابها وليس هذا فحسب بل كل ما يتصل بذلك من حد القذف، واللعان، "وقصة حادثة الإفك والأمر بغض البصر، وعدم إبداء الزينة والتشجيع على لنكاح والاستعفاف لمن لم يقدر عليه، ونهي عن إكراه الفتيات على الزنا... وغير ذلك من أحكام."⁽²⁾
- 2) أن الله عز وجل لما أخبر في سورة (المؤمنين) أنه لم يخلق الخلق عبثاً فقال في ذلك: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾.⁽³⁾ ذكر الزحيلي في كتابه: "بل كان ذلك لحكمة وغاية وهي التكليف الأوامر والنواهي، ذكر ذلك في السورة (النور) جملة من هذه الأوامر والنواهي التي تعين صاحبها على القيام بها على وفق ما أَرَادَهُ اللهُ تعالى".⁽⁴⁾

(1) المؤمنون (05)

(2) ينظر: الحافظ جلال الدين السيوطي، (تناسق الدرر في تناسب السور)، دراسة وتحقيق عبد القادر أحمد عطا، ط1 (1406هـ - 1986م) دار الكتب العلمية بيروت، ص: 104.

(3) المؤمنون (115).

(4) ينظر: وهبة بن مصطفى (الزحيلي)، (التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج)، ط1، (1990م)، دار الفكر، ج18، ص: 118.

يتجلى لنا من خلال ما سبق يتبين لنا أن ما جاء في سورة النور من تشريع يعد تفصيلاً لما أجمل في سورة المؤمن والمؤمنين وكما ذكرنا سابقاً أن القرآن يفسر بعضه بعضاً، فما أجمل في آية أو سورة يأتي مفصلاً ومبيناً في سورة أخرى، ومما يلحظ أيضاً أن من خصائص القرآن المكي ذكر الأحكام بمجملتها وتأتي مفصلة في القرآن المدني.

ثانياً: صلة السورة بما بعدها.

لما نقرأ ونتمعن في سور القرآن عامة وسورة النور خاصة نجد أن لها علاقة وارتباط بالسورة التي تليها (سورة الفرقان). ويظهر لنا ذلك من خلال ما يأتي:

(1) لما ختم الله سورة (النور) بسعة الملك، وشمول العلم، وبيان عظمة الله، والتهديد لمن تجاوز الحد بقوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيَنْبِتُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.⁽¹⁾

جاء في روح المعاني للألوسي أنه قال: "افتتح الله عز وجل فاتحة الفرقان بما يشبه خاتمة النور".⁽²⁾

(2) سورة النور اشتملت على كثير من الأحكام والتشريعات القرآنية وهذا يزيد الذين اهتموا هدى وإيماناً، كما أن هذه الأحكام عبارة عن قرآن يفرق بين الحق والباطل، هذا لا ينكره مقر بالله ورسوله قال تعالى في مطلع السورة التي تأتي بعد النور (الفرقان) قال تبارك وتعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾.⁽³⁾

وورد في نظم الدرر للبقاعي أنه قال: "هو القرآن المفرق بين الحق والباطل المشتغل على الأحكام والشرائع".⁽⁴⁾

(1) النور (64)

(2) ينظر: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، (ت 1270هـ) (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني)، تح علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية - بيروت، ط 1 (1415هـ)، ج 9، ص: 420.

(3) الفرقان (01).

(4) ينظر إبراهيم بن عمر حسن الرباط بن علي بنه بكر (البقاعي)، (ت 885هـ)، (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ج 5، ص: 291 - 293 بتصرف.

3) لما بين الله تعالى في سورة النور موقف المنافقين من الرسول صلى الله عليه وسلم، وعدم طاعتهم له والتزامهم بحكمه، "...أكّد في سورة الفرقان أنه رسول الله وعبدته الذي اصطفاه وأنه يحكم بما أنزل الله وهو القرآن الكريم، وأمرهم بطاعته والتزام أمره لأن الله الملك والقدرة لله جل وعلا".⁽¹⁾

ثالثاً: صلة السورة أولها بخاتمتها:

إذا نظرنا إلى فاتحة سورة النور وجدنا أنها تبدأ بمطلع فريد في القرآن الكريم كله، إذ تبدأ بتوكيد الأخذ بكل ما في السورة من أوامر وتعليم وحدود وتكاليف، وبكل ما فيها من آداب وأخلاق، فهي فريدة من نوعها، وإننا لنجد هذا في قوله تعالى: ﴿سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.⁽²⁾

يتبين لنا من خلال هذا المطلع الفريد على مدى اهتمام القرآن بالعنصر الأخلاقي في الحياة في هذه الحياة التي تعيشها الإنسان. وتختتم السورة بتوكيد تنفيذ هذه الفرائض من خلال التحذير من مخالفة ما تم فرضه وإنزاله بقوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.⁽³⁾

جاء في الجامع لأحكام القرآن: "أن الله تعالى لما ذكر في أول السورة أنه أنزل آيات بينات على لسان سيدنا محمد فإنه ختم السورة بتأكيد الأمر بمتابعته ليعلم أن أوامره هي أوامر الله تعالى كأوامر القرآن يبلغها لهم"⁽⁴⁾.

(1) نفسه، 291-292 بتصرف.

(2) النور (01).

(3) النور (63).

(4) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر (القرطبي)، (ت 670هـ)، (الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنته من السنة وآي الفرقان)، تح عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ج 2، ص: 146.

خلاصة القول:

بعد أن ذكرنا مناسبة سورة النور لما قبلها ولما بعدها، ومناسبة أول السورة بآخرها يظهر لنا أن سورة النور هي وحدة موضوعية متكاملة فيما بينها، من بدايتها إلى نهايتها، كما أن هذه السورة لها علاقة وثيقة مع سورة (المؤمنين) ومع التي تليها من سورة (الفرقان).

ومنه فالقرآن الكريم إذا وحدةً متناسقة ومتماسكة وهذا إن دلّ على شيءٍ فإنّما يدلّ على بلاغة القرآن الكريم وإعجازه، فما من كلمة في القرآن الكريم إلا وُضعت في المكان المناسب لها.

الفصل الأول

الخطاب القرآني خصائصه ومميزاته

المبحث الأول: مفهوم الخطاب القرآني.

المبحث الثاني: أسماء القرآن وأوصافه.

المبحث الثالث: أنواع الخطاب في القرآن.

المبحث الرابع: خصائص الخطاب القرآني.

المبحث الخامس: مقاصد الخطاب القرآني.

المبحث الأول: مفهوم الخطاب القرآني

يعتبر مصطلح الخطاب أو الخطابات على حسب اختلافها وسياقاتها المتعددة شغل الشاغل عند القدماء والمحدثين، فقد تناولوه تحديداً، وتحليلاً، وتفصيلاً، وذلك لأن مفاهيمه تساعد على التواصل البشري، كما أنه - الخطاب - وسيلة تعبيرية منتجة عن طريق العلامة اللغوية، فهو إذن: فعالية اجتماعية، وإذا كان الخطاب جوهره ممارسة لغوية فإن ارتباط اللغة بالقرآن أسهم في إيجاد فواتح فضاءات لقراءة الخطاب القرآني.

المطلب الأول: مفهوم الخطاب في التراث العربي:

مشتق من الفعل الثلاثي: (خ، ط، ب) والخطاب كما عرف ابن منظور: "مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطاباً، وهما يتخاطبان"⁽¹⁾.

والمخاطبة صيغة مبالغة تفيد الاشتراك والمشاركة في فعل ذي شأن. قال الليث: "إن الخطبة مصدر الخطيب، وخطب الخطيب على المنبر واختطب يخطب خطابة. واسم الكلام الخطبة. قال أبو منظور: والذي قال الليث إن الخطبة مصدر الخطيب لا يجوز إلا على بوجه واحد وهو أن الخطبة اسم للكلام الذي يتكلم به الخطيب في وضع موضع المصدر"⁽²⁾.

أما في المعجم الوسيط في مادة: (خطب) نجد: "خاطبه يخاطبه مخاطبة وخطاباً، أي: كالمه وحادثه. وجه إليه كلاماً، ويقال: خاطبه في الأمر: حادثه بشأنه. و(الخطاب) الكلام... الرسالة"⁽³⁾.

ويعرفه الجوهري في معجمه الوسيط (الخطاب) بقوله: "خطب: الخطب: سبب الأمر، تقول: ما خطبك، وخطبت على المنبر خطبة بالضم، وخاطبه بالكلام مخاطبة وخطاباً، وخطبت المرأة خطبة بالكسر، واختطبت أيضاً فيهما والخطيب الخاطب والخطيبي الخطبة"⁽⁴⁾.

⁽¹⁾ أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفرقي المصري (ابن منظور)، (لسان العرب)، دار المعارف القاهرة ج م ع، تح عبد الله علي الكبير، ومحمد بن أحمد حسب الله، وهاشم محمد الشاذلي. ص: 1194
⁽²⁾ نفسه: 1194.

⁽³⁾ إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر محمد النجار، (المعجم الوسيط) مجمع اللغة العربية المصري، ج 1 ص 361

⁽⁴⁾ أبو نصر إسماعيل بن حماد (الجوهري)، (تاج اللغة وصحاح العربية)، تح أحمد عبد الغفور عطار، دار الملايين، ص: 327.

وذكر الفيروز أبادي في القاموس المحيط، "الخطاب: الشأن والأمر صغر أو عظم، جمعه خطوب، وخطب المرأة خطبا وخطبة وخطيبي بكسرهما، ويهتم الثاني، جمع أخطاب... وفصل الخطاب كما ذكرنا سابقا الحكم بالبيئة، أو اليمين، أو الصفة في القضاء أو النطق بأما بعد".⁽¹⁾

وورد في كتاب المفردات في غريب القرآن: "خطب: الخطب، والمخاطبة، والتخاطب المراجعة في الكلام، والخطب الأمر العظيم الذي يكثر فيه التخاطب".⁽²⁾

ومما جاء في كتاب المصباح المنير: "هو الكلام بين متكلم وسماع ومنه اشتقاق الخطبة بضم الخاء وكسرهما اختلاف معنيين، فيقال في الموعظة: خطب القوم، وعليهم من باب ألقى خطبة بالضم، وهي فعلة بمعنى مفعولة، نحو نسخة بمعنى منسوخة، وغرفة من ماء بمعنى مغروفة، وجمعها خطب مثل: غرفة غرف فهو خطيب والجمع خطباء، وهو خطيب القوم إذا كان هو المتكلم عنهم".⁽³⁾

خلاصة القول:

يتبين لنا من خلال التعاريف السابقة أن صاحب المصباح المنير قد جمع بين التعاريف السابقة وهو أن الخطاب يشترط فيه وجوب الباث والمتلقي، ومنه اشتق اسم الخطبة، لأن الخطيب لا يقوم بإلقاء الخطبة إلا عند حضور السامعين لتلقي الخطاب.

كما وردت لفظة الخطاب في القرآن الكريم بصيغ مختلفة ومتعددة، وذلك في اثني عشر موضعاً، من بينها: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ﴾⁽⁴⁾، صيغة الفعل في قوله تعالى: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحِّينَا وَلَا تَخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُعْرِضُونَ﴾⁽⁵⁾، وقوله: أيضاً: ﴿قَالَ

⁽¹⁾ محمد بن يعقوب، مجد الدين (الفيروز أبادي)، (القاموس المحيط)، تح محمد نعيم العرقوسي، مؤسسة الرسالة (1426هـ-2005م)، ص: 478

⁽²⁾ أبو القاسم الحسين بن محمد (الراغب الأصفهاني)، (المفردات في غريب القرآن)، تح مكتبة نزار مصطفى الباز، ج1، ص: 200

⁽³⁾ أحمد بن محمد بن علي الفيومي، (المصباح المنير)، تح يحيى بن مراد، مؤسسة المختار، ط1، مصر، 2008، ص: 106

⁽⁴⁾ البقرة (235).

⁽⁵⁾ هود (37).

مَا خَطُبُكُنْ إِذْ رَاوَدْتُنْ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ⁽¹⁾، ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾⁽²⁾، ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ﴾⁽³⁾، ﴿وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾⁽⁴⁾، ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾⁽⁵⁾، ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾⁽⁶⁾، ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾⁽⁷⁾، وبصيغة المصدر كما في قوله تعالى: ﴿رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾⁽⁸⁾ وقوله: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ﴾⁽⁹⁾، وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعَجَةً وَلِي نَعَجَةٌ وَاحِدَةً فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾⁽¹⁰⁾، قال بعض المفسرين في قوله تعالى: ﴿وَفَصَّلَ الْخِطَابِ﴾ هو أن يحكم بالبيّنة أو اليمين، وقيل معناه أن يفصل بين الحق والباطل ويميز بين الحكم وضده، وقيل: فصل الخطاب: بمعنى الفقه في القضاء.⁽¹¹⁾

المطلب الثاني: مفهوم الخطاب القرآني

أولا تعريف الخطاب اصطلاحاً:

عرفه الجرجاني بقوله: (توجيه الكلام نحو الغير للإفهام)⁽¹²⁾.

(1) يوسف (52).

(2) الحجر (57).

(3) طه (95).

(4) المؤمنون (27).

(5) الفرقان (63).

(6) القصص (23).

(7) الذاريات (31).

(8) النبأ (37).

(9) ص: (20).

(10) ص: (23).

(11) أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ابن منظور)، (لسان العرب)، سنة النشر: 2003، دار صادر، مادة خطب. ج 5، ص: 98.

(12) أبو الحسن علي بن محمد بن علي، (الجرجاني)، (ت 816هـ)، (التعريفات)، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، 1357هـ - 1938م، ص: 126.

ويرى ابن فارس أن الخطاب: (هو كل كلام بينك وبين آخر)⁽¹⁾

وورد تعريف الخطاب في كتاب (تلخيص المفتاح وشرحه مختصر المعاني) للقزويني: "الخطاب هو توجيه الكلام إلى حاضر".⁽²⁾

خلاصة القول:

يفهم مما سبق أن التخاطب بين الناس، باللسان أو بالقلم، على مستوى الأسرة، والمجتمع، والأمة، والشعوب المختلفة في أقطارها، وأزمانها، هو الركيزة الأساسية التي تجمع الناس، وتبني بينهم العلاقات الإنسانية في مجالات الحياة المختلفة. وعلى هذا فإن الخطاب هو وسيلة للتواصل وإدراك المعنى.

أما الخطاب في القرآن فقد عرّفه الشاطبي في كتابه الموافقات: "هو كلام الله الموجه إلى المكلفين بقصد تفهيمهم ما لهم وما عليهم، مما هو مصلحة لهم في دنياهم وأخراهم، وهذا يستلزم كونه بينا واضحا لا جمال فيه ولا اشتباه، ولو كان فيه بحسب هذا القصد اشتباه وجمال لناقض أصل المقصود من الخطاب فلم تقع فائدة".⁽³⁾

يتضح لنا من كلام الشاطبي أن: (الخطاب) في القرآن هو خطاب الله تعالى للمكلفين طلباً ونهيّاً، وترغيباً وترهيباً، ووعداً ووعيداً، وإخباراً وتذكيراً، واعتباراً وإنذاراً، ونحو ذلك من أنواع الخطاب، فهو بهذا تعريف شامل مانع.

⁽¹⁾ أبو الحسين أحمد (بن فارس)، (مجممل اللغة) دراسة وتح زهير عبد المحسن، بيروت، ط2 1986. مؤسسة الرسالة ج1، ص: 295

⁽²⁾ محمد بن عبد الرحمن، الخطيب (القزويني)، (تلخيص المفتاح وشرحه مختصر المعاني) مطبعة البابي لبجلي، الطبعة الأخيرة، ص: 48

⁽³⁾ أبو إسحاق إبراهيم بن موسى (الشاطبي)، (الموافقات في أصول الشريعة)، ط2 (1975)، دار المعرفة، بيروت، ص: 344.

ثانيا تعريف القرآن لغة:

لابد للباحث أن يبحث عن مدلولات الكلمات، للوصول إلى مبتغاه وقبل التعريف الاصطلاحي لابد من التعريف اللغوي، ذكر القزويني في كتاب اختلاف العلماء، حيث قال: "اختلف العلماء في المعنى اللغوي للقرآن الكريم على أقوال"⁽¹⁾:

منهم من قال: "إنَّ القرآن اسم عَلِمَ غير مُشتَقٍّ من جذرٍ لغوي وغير مهموزٍ (أي قرآن)، وهو بذلك اسمٌ اختصَّ الله تعالى به الكتاب الذي نزل على النَّبي -عليه الصَّلَاة والسلام- كما في أسماء الكتب الأخرى التَّوراة والإنجيل وهذا القول مُنتَقَلٌ عن الشافعي وغيره من العلماء"⁽²⁾.

ذهب أكرم عبدو خليفة إلى القول بأنَّ القرآن اسمٌ مشتَقٌّ من القرائن، لأنَّ الآيات يُصدَّق بعضها بعضاً، ويُشابهه بعضه بعضاً كالقرينات، أي المتشابهات، وهذا قول الفرَّاء. قيل إنَّه لفظٌ مهموز (أي قرآن)، وهو مشتَقٌّ من قرأ ومصدرٌ له، وهذا ما ذهب إليه اللحياني وغيره"⁽³⁾.

كما ذهب الرَّجَّاح وغيره إلى القول بأنَّ: "القرآن وصفٌ مشتَقٌّ من القرء أي الجمع، ومثال ذلك: قرأت الماء في الحوض، أي جمعته فيه، وسُمِّي القرآن بذلك لأنَّه جمع السُّور بعضها إلى بعض، أو لأنَّه جمع ثمرات وفوائد الكتب السَّماويَّة التي نزلت قبله"⁽⁴⁾.

خلاصة القول:

يظهر لنا من خلال التعاريف السابقة أن العلماء اختلفوا في همزية القرآن، فمنهم من أثبتتها - الهمزة-، ومنهم من أزالها، والذي يظهر لنا أنه الهمزة ثابتة بالأدلة من القرآن والسنة، فمن الكتاب قوله عزو جل: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾⁽⁵⁾، ومن السنة قوله صلى الله عليه وسلم: ((إِقْرُؤُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ

⁽¹⁾ ينظر: جلال الدين السيوطي (1974)، (الإتقان في علم القرآن)، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، صفحة 181-182، ج 1، ص: 181-182 بتصرف.

⁽²⁾ صبحي صالح، (مباحث في علوم القرآن)، دار العلم للملايين، 24، كانون الثاني/ يناير (2000م)، ص: 18.

⁽³⁾ جلال الدين السيوطي، (الإتقان في علوم القرآن)، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط (1394هـ-1974م)، ج 1، ص: 182. بتصرف.

⁽⁴⁾ محي الدين بن أحمد مصطفى درويش، (ت 1403هـ)، (إعراب القرآن وبيانه)، دار الإرشاد للشئون الجامعية، (دار ابن كثير، بيروت) الطبعة: الرابعة، (1415 هـ)، ج 4، ص: 216.

⁽⁵⁾ القيامة (17)

يَأْتِي شَفِيعاً لِأَصْحَابِهِ⁽¹⁾، فهذين النصين دليل على همزية القرآن، والذي قال بدون همز شاذ، يحفظ ولا يقاس على، كما أنه لا اجتهاد مع النص.

ثانياً: تعريف القرآن اصطلاحاً

بعدما عرفنا القرآن لغة، ننتقل إلى التعريف الاصطلاحي حيث اكتفينا بتعريف واحد جمع فيه صاحبه بين التعاريف، قال أكرم عبد خليفة: "يُعَرَّفُ القرآن الكريم في الاصطلاح الشرعيّ بأنّه كلام الله تعالى المعجز، الموحى به إلى النبي محمد -عليه الصّلاة والسّلام- بواسطة الملك جبريل -عليه السّلام-، المنقول بالتواتر، المكتوب بين دفتي المصحف، المتعبّد بتلاوته، المبدوء بسورة الفاتحة والمختوم بسورة الناس"⁽²⁾.

شرح التعريف:

المقصود بـ: (أنّه مُعْجَز) أي: أنّ الله تعالى أنزل القرآن الكريم ليكون مُعْجَزَةً مُؤَيَّدَةً للنبي -عليه الصّلاة والسّلام-، وتمثّل الإعجاز بما حواه القرآن الكريم من فصاحةٍ وبلاغةٍ، وإخبارٍ عن الغيب وقصصٍ للأمم السّابقة، وما تضمّنه من إعجازٍ علميٍّ وتشريعيٍّ، يكمن الإعجاز في تحدّي القوم الكافرين بأن يأتوا بمثله أو بعشر سورٍ منه أو حتّى آيةٍ واحدةٍ من مثل آياته، وما زال التحديّ قائماً، ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾⁽³⁾.

(1) محمد بن إبراهيم بن إسحاق السلمى المناوي الشافعي صدر الدين أبو معلى، (ت 803هـ)، (كشف المناهج والتنقيح في تخريج أحاديث المصايح)، باب فضائل القرآن، رقم: 1533، تح محمد إسحاق محمد إبراهيم، تقديم صالح بن محمد اللحيان، دار العربية للموسوعات، ط1 (1425هـ - 2004م)، ج2، ص: 180.

(2) أكرم عبد خليفة حمد الدليمي، (جمع القرآن دراسة تحليلية لمروياته)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1 (1427هـ - 2006م)، ج2، ص: 19.

(3) الإسراء (88).

المُراد ب (الموحى به) أي: أنَّ القرآن الكريم بكلِّ ألفاظه ومعانيه مُنزلٌ من الله تعالى على النبي محمد -عليه الصَّلَاة والسَّلَام- بواسطة الملك جبريل -عليه السَّلَام-، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾⁽¹⁾.

المقصود بمتعبّد بتلاوته، أي: أنَّ في تلاوة القرآن الكريم عبادةً وقربةً يتقرّب بها المؤمن من الله تعالى، ويحظى بها الأجر والثواب العظيم، وكذلك أنَّ الصَّلَاة لا تصحُّ إلا بقراءة آياتٍ من القرآن الكريم، ومن ذلك قول النبي -عليه الصَّلَاة والسَّلَام-: ((لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ)).⁽²⁾

أمّا المُراد من أنّه منقولٌ بالتواتر، أي: أنّه نُقل من جمعٍ إلى جمعٍ بحيث يستحيل اتّفاقهم وتواطؤهم على الكذب في نقله، فقد تلقّاه الصّحابة -رضوان الله عليهم- مُشافهةً من النبي -عليه الصَّلَاة والسَّلَام-، ونقلوه إلى جيل التابعين من بعدهم ثمَّ إلى من بعدهم، بحيث يُجزم بصدق النقل ودقّ.

⁽¹⁾ الشعراء (192- 194).

⁽²⁾ رواه البخاري، في الجامع الصحيح، عن عبادة بن الصامت برقم: 756 ج 01، ص: 152.

المبحث الثاني: أسماء القرآن وصفاته

بعدما عرّفنا الخطاب القرآني، ننتقل في هذا المبحث إلى أسماء القرآن الكريم وصفاته.

لقد اهتم علماء التفسير وعلوم القرآن بأسماء القرآن وأوصافه، فلا يخلو - غالباً - كتاب تفسير أو علوم قرآن، إلا ويتطرق إليها، ويذكر طرفاً منها، وبعضهم ألف كتاباً فيها وهذا نظراً لأهمية معرفتها ودراستها، إذ العلم بها ينتج عنه المعرفة الكاملة لحقيقة هذا الكتاب المبين.

هذا وقد وصل بها بعض أهل العلم إلى نحو مائة اسم وصفة، هذا إن دل على شيء فإنما يدل دلالة واضحة على عظمة هذا الكتاب وشرفه، وسمو منزلته، وكمالهِ وعلو قدره، يقول الفيروز آبادي: "اعلم أن كثرة الأسماء تدل على شرف المسمّى، أو كماله في أمر من الأمور، أما ترى أن كثرة أسماء الأسد دلت على كمال قوته، وكثرة أسماء يوم القيامة دلت على كمال شدته وصعوبته، وكثرة أسماء الداهية دلت على شدة نكايتها، وكذلك كثرة أسماء الله تعالى دلت على كمال جلال عظمتها، وكثرة أسماء النبي صلى الله عليه وسلم دلت على علو رتبته، وسمو درجته، وكذلك كثرة أسماء القرآن دلت على شرفه، وفضيلته"⁽¹⁾.

المطلب الأول: أسماء القرآن

للقرآن الكريم أسماء كثيرة نجدها عند قراءتنا وتدبرنا لآياته، نذكر منها ما يلي:

أولاً: القرآن

مصدر على وزن فعْلان يضم الفاء، وهو من الفعل (قرأ، يقرأ قراءة وقرآنًا، وقرأه، يقرأه، قرآنًا)، بسكون الراء، بمعنى الجمع ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾⁽²⁾، وسمي القرآن (قرآنًا) لأنه جمع القصص، والأمر والنهي، والوعد والوعيد، والآيات والسور بعضها إلى بعض. قال تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾.

(1) مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (الفيروز آبادي)، (ت 817هـ)، (بصائر التمييز في لطائف الكتاب العزيز)، تح

محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، (1416هـ - 1996م)، ج 1، ص: 88.

(2) القيامة (17).

هذا وقد ورد لفظ ﴿قُرْآن﴾ في القرآن الكريم في تسع وستين موضعاً في سياقات مختلفة، ثلاث وخمسون (53) مرة في السور المكية، وست عشرة مرة (16) في السور المدنية. في مجموع (38) سورة، حيث تكرر في بعض السور عدة مرات، كان أكثرها عشر مرات في سورة الإسراء، وتكرر أربع مرات في كل من سورة النمل، والقمر.

ومن الملاحظ أيضاً أن لفظة: ﴿وَقُرْآنُهُ﴾ وردت مرتين في السور المكية، ولم ترد في السور المدنية.

وفي لفظة ﴿الْقُرْآن﴾ بـ (ال) التعريف جاءت مكررة في ثمان وأربعين (48) مرة، ست وثلاثين (36) منها في السورة المكية، واثنى عشرة (12) مرة في السور المدنية، ووردت لفظة ﴿قُرْآن﴾ نكرة بدون (ال) التعريف في ستة مواضع في القرآن الكريم، أربعة في القرآن المكي، وموضعان في القرآن المدني وتدل السياقات التي ورد فيها لفظ (قُرْآن) على كونه اسماً لكتاب الله الكريم، المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، اللهم إني آتين اثنتين هما:

1 قوله تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾. (1)

2 وقوله تعالى: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾. (2)

قال تعالى في كتابه الكريم في سورة البقرة: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ (3)

للمفسرين في لفظة القرآن قولان:

أحدهما: قول ابن عباس (رضي الله عنه) أن القرآن والقراءة واحد، كالخسران والخسارة... واحد، والدليل عليه قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ (4) أي تلاوته، أي إذا تلوناه عليك فاتبع تلاوته.

(1) الإسراء (78).

(2) القيامة (17).

(3) البقرة (185).

(4) القيامة (18).

الثاني: وهو قول قتادة: "أنه مصدر من قول القائل: قرأت الماء في الحوض إذا جمعته، وقال سفيان بن عيينة: سمي القرآن قرآنًا، لأن الحروف جمعت فصارت كلمات، والكلمات جمعت فصارت آيات، والآيات جمعت فصارت سورًا، والسور جمعت فصارت قرآنًا، ثم جمع فيه علوم الأولين والآخرين. فالحاصل أن اشتقاق لفظ القرآن: إما من التلاوة، أو من الجمعية"⁽¹⁾.

يظهر لنا من خلال ما سبق أن القرآن الكريم أخذ تسميته من سياقات مختلفة كما سبق وأن أشرنا إلى ذلك، فمنها جمع الحروف وضمها إلى بعضها البعض وجمع قصص الأنبياء وأخبار الأمم الغابرة، نفهم هذا من سياق الآية الكريمة التي يقول فيها المولى عز وجل: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾⁽²⁾.

ثانيا: الفرقان

وردت لفظة الفرقان ستة (6) مرات في القرآن الكريم، جاء في موضعين منها اسم للقرآن الكريم، وهما قوله جل وعلا: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾⁽³⁾، والآية الثانية في قوله تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ﴾⁽⁴⁾، وهي مصدر من: فَرَّقَ، وفَرَّقَ. والفعالان، فَرَّقَ، وفَرَّقَ ومشتقاتها، لا يدلان إلا على الفصل بين أمرين، أو شيئين. فيقال: فَرَّقَ بين شيئين أي فصل بينهما. وفَرَّقَ القاضي بين الخصوم: حَكَمَ وفَصَلَ.. يقول تعالى على لسان سيدنا موسى: ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافَرِّقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾⁽⁵⁾.

⁽¹⁾ ينظر: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي، الملقب ب (فخر الدين الرازي) خطيب الري، (ت

606هـ)، (مفاتيح الغيب التفسير الكبير)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط3 (1420هـ)، ج2، ص: 260.

⁽²⁾ القيامة (17-19).

⁽³⁾ الفرقان (01).

⁽⁴⁾ آل عمران (03-04).

⁽⁵⁾ المائدة (24-25).

ويقال فَرَّقَ بين المتشابهين إذا بين أوجه الخلاف بينهما وفَرَّقَ. قال تعالى: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾⁽¹⁾.

وفَرَّقَ الله القرآن: فصله وبيّنه، حيث قال تعالى: ﴿وَقَرَأْنَا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾⁽²⁾.

ف قيل: سمي بذلك؛ لأن نزوله كان متفرقاً أنزله في نيف وعشرين سنة، ودليله قوله تعالى: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾. ونزلت سائر الكتب جملة واحدة، والحكمة فيه ذكرناه في سورة الفرقان في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾، سمي بذلك، لأنه يفرق بين الحق والباطل، والحلال والحرام، والمجمل والمبين، والمحكم والمؤول⁽³⁾.

يقال: فَرَّقَ الله القرآن. أي أنزله مفترقاً

والفارق: ما يميز أمراً من أمر.

والفاروق: من يفرق بين الحق والباطل، وهو لقب عمر بن الخطاب.

والفرق بين الأمرين هو: المميز أحدهما من الآخر.

قال أبو جعفر الطبري: "الفرقان هو النجاة، وهو قول عكرمة"⁽⁴⁾ والسدي، وذلك لأن الخلق في ظلمات الضلالات فبالقرآن وجدوا النجاة، وعليه حمل المفسرون قوله: ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾⁽⁵⁾.

⁽¹⁾ البقرة (50).

⁽²⁾ الإسراء (106).

⁽³⁾ ينظر: فخر الدين الرازي، (مفاتيح الغيب = التفسير الكبير)، ج2، ص: 261، مصدر سابق.

⁽⁴⁾ أبو جعفر (الطبري)، (جامع البيان في تأويل القرآن)، ج1، ص: 98 بتصرف.

وفُرق ... فهي صيغة مبالغة تدل على زيادة التفريق، يقال: فرق بين القوم: أحدث بينهم فُرقةً. يقول تعالى على لسان هارون معتذراً لأخيه موسى: ﴿إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَآئِيلَ﴾ (1).

خلاصة القول:

إنَّ القرآن الكريم جاء ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، كما جاء لتبين الحلال من الحرام، والحق من الباطل، والحكمة من نزوله مفرقا في مدة ثلاث وعشرين سنة، هو التدرج في التشريع، وقد كان القرآن ينزل على قلب النبي صلى الله عليه وسلم حسب الوقائع والأحداث.

ثالثا: الكتاب:

ورد لفظ الكتاب في القرآني الكريم بكثرة وبمعان مختلفة، وهو اسم مصدر كالصيام والقيام، من كتب يكتب كتابة وكتابا، ويطلق في اللغة العربية على عدة معان منها:

(أ) الكل متقن المراد من الكتاب القرآن بدليل قوله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (2).

(ب) من معاني الكتاب (الفرض) لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (3).

(ج) الحجة والبرهان لقوله تعالى: ﴿فَاتُّوا بِكِتَابِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (4) بمعنى برهانكم.

(د) الأجل: لقوله تعالى: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ﴾ (5) أي: أجل.

(1) طه (94).

(2) ص: (29).

(3) البقرة (183).

(4) الصافات (157).

(5) الحجرات (04).

هـ) بمعنى مكاتبة السيد عبده لقوله جل وعلا: ﴿وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾⁽¹⁾.

وسمي الكتاب كتاباً لأنه "يجمع أنواعاً من القصص، والآيات، والأحكام، والأخبار، على أوجه مخصوصة"⁽²⁾.

هذا وقد ورد لفظ الكتاب في القرآن الكريم مائتان وثلاثون مرة وأطلق فيه على كلام الله المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم بدليل قوله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُّنْذِرِينَ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾⁽³⁾، فالجن هنا قد أثبتوا وصرحوا بسماعهم للقرآن وسموه بالكتاب.

وعلى هذا فحينما نسمع لفظة كتاب نفهم منها أنه كتاب مكتوب ومقروء على ألسنة الناس.

قال شهاب الدين أحمد بن يوسف: "إن الله يسمي كتابه الخاتم بالقرآن، والكتاب ليؤكد أنه يقرأ فيحفظ في الصدور والسطور إلى يوم القيامة"⁽⁴⁾.

وعلى ضوء ما قاله شهاب الدين: فإن من معاني الكتاب: جمع الحروف وضمها وكتابتها وقراءتها.

⁽¹⁾ النور (33).

⁽²⁾ بدر الدين (الزركشي)، (البرهان في علوم القرآن)، ج1، ص: 741، مصدر سابق.

⁽³⁾ الأحقاف (29-30).

⁽⁴⁾ ينظر: شهاب الدين أحمد بن يوسف بن عبد الدائم، (ت 656هـ)، (عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ)، تح محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، ط1 (1417هـ-1996م) ج3، ص: 371.

رابعاً: الذكر:

فالذكر اسم مصدر من ذكر يذكر ذكراً جمعه أذكّار، والذكر هو الحفظ للشيء، من ذكرت بلساني وقلبي ذكراً⁽¹⁾، وجاء في المنجد: "ذكر الميث ببقاء اسمه جارياً على ألسنة الناس بعد موته"⁽²⁾. والذكر والصيت والثناء، يكون في الخير والشر، والذكر: الشرف، وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾⁽³⁾ بمعنى: القرآن شرف لك ولهم، وقوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾⁽⁴⁾ أي شرفك، وقد وردت كلمة: ﴿الذكر﴾ إحدى وعشرين آية ومع اشتقاقاتها بلغت سبعة وثلاثين، من خلال ما سبق يتضح لنا أن للذكر عدة معان مختلفة، لنا أن نذكرها في هذا العنصر:

أ) القرآن الكريم: قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾⁽⁵⁾.

ب) الحفظ أو العمل: لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾⁽⁶⁾.

ج) الطاعة: في قوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونَ﴾⁽⁷⁾.

الصلاة: في قوله تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾⁽⁸⁾.

أما فيما يخص تسمية القرآن بالذكر لأن الله عز وجل ذكر به عباده فعرفهم فيه حدوده

⁽¹⁾ مجمل اللغة، ص: 269، مصدر سابق.

⁽²⁾ علي بن الحسن الهنائي، (كراع النمل)، (المنجد في اللغة)، تح أحمد مختار عمر، ضاحي عبد الباقي، الناشر عالم الكتب، ط2، (1988)، ص: 236.

⁽³⁾ الأحقاف (44).

⁽⁴⁾ الشرح (02).

⁽⁵⁾ الحجر (09).

⁽⁶⁾ البقرة (63).

⁽⁷⁾ البقرة (152).

⁽⁸⁾ البقرة (238-239).

وفرائضه، وسائر ما أودعه من حكمه ولأنه شرف وفخر لمن آمن به وصدق بما قال فيه، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾⁽¹⁾.

فللذكر إذن في القرآن الكريم عدة معان ذكرت حسب سياقات مختلفة، يقول صاحب أسماء القرآن في القرآن: "...فقد وردت أكثر من عشرين معنى كالشكر، التسبيح، الوحي وصلاة الجمعة..."⁽²⁾.

خامسا: الروح

يسمي الله تبارك وتعالى القرآن بالروح في آيتين اثنتين من كتابه، وذلك في سورتي: غافر والشورى وهذا اسم من أسماء القرآن، قال ابن القيم: "وتطلق الروح على القرآن الذي أوحاه الله تعالى إلى رسوله قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾"⁽³⁾ وفي قوله: ﴿يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾⁽⁴⁾، ويسمى القرآن روحا وذلك لما يحصل به من الحياة النافعة، فإن الحياة بدونها لا تنفع صاحبها.

قال صاحب الهدى والبيان في أسماء القرآن: "فالقرآن الكريم روح تحيا به القلوب الميتة، كما تحيا الأرض بوابل السماء تحيا بالقرآن القلوب المجذبة، فتستنير بعد ظلامها، وتستقيم بعد نكستها وزيعها"⁽⁵⁾.

فكما أن الجسد لا حياة له ولا بقاء إلا بالروح فكذا القلب والنفس والبدن لا حياة طيبة ولا حياة سعيدة إلا بالإيمان بالقرآن، والعمل به، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْشِئَ وَهُوَ

⁽¹⁾ الزخرف (44).

⁽²⁾ بنظر: محمد محروس لمدرس الأعظمي، (أسماء القرآن في القرآن)، ط (2000)، ص: 27-29 بتصرف

⁽³⁾ الشورى (52).

⁽⁴⁾ غافر (15).

⁽⁵⁾ صالح بن إبراهيم البليهي، (الهدى والبيان في أسماء القرآن)، ط 3 (1404هـ)، ج 2، ص: 44.

مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴿، وعلى هذا فالجهل موت قبل الموت.

وقد وردت لفظة (الروح) في القرآن الكريم أربعاً وعشرين مرة بصيغة المفرد⁽¹⁾.

فلم تستعمل مثناه أو مجموعة، وردت بصيغة الاسم، ولم يرد لهذا الاسم صيغة فعلية في القرآن، ولم تستعمل مضافة إلا مع الله تعالى، قال جل في علاه: ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾⁽²⁾، وقوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾⁽³⁾ فالله عز وجل لم يصنفها إلى الشر قط.

مما يلحظ أيضاً أن كلمة ﴿الروح﴾ وردت بالفتح في آيتين فقط، وهما قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي إِدْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيَاسُّوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيَّاسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾⁽⁴⁾، وقوله: ﴿فَرُوحٌ وَرِيحَانٌ وَجِئْتُ نَعِيمٍ﴾⁽⁵⁾

إنَّ ما نلاحظه في الآيات القرآنية أن الروح وردت في القرآن الكريم على عدة أوجه (معان):

1) الروح بمعنى القرآن قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾⁽⁶⁾، وقد أشرنا إلى معنى الآية سابقاً.

2) الروح بمعنى الوحي، قال الله تعالى: ﴿نَزَّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾⁽⁷⁾

(1) محمد فؤاد عبد الباقي، (المعجم المفهرس لألفاظ القرآن)، دار الحديث القاهرة، (1364هـ)، ص: 325-326.

(2) السجدة (09).

(3) مريم (17).

(4) يوسف (87).

(5) الواقعة (89).

(6) الشورى (52).

(7) النحل (02).

3) الروح بمعنى جبريل، قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾⁽¹⁾.

جاء في تفسير الشنقيطي: "ففي الآيتين دليل على أن الله عز وجل ردّ على الكفار، وهذا لافتراءهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم واتهامهم بالكذب، فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: يا محمد قل لهؤلاء الكفار إن هذا القرآن ليس مفترى بل نزله جبريل عليه السلام من ربك بالحق".⁽²⁾

ومما يقوي ويعاضد هذا أن الله وصف جبريل عليه السلام بأنه أمين وهذا بدليل قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾⁽³⁾، سمي بذلك لأنه روح كله ليس كالشعر الذين في أبدانهم روح، قال ابن تيمية: "وسماه أميناً لأنه مؤتمن على ما يؤديه إلى الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وإلى غيرهم".⁽⁴⁾

4) الروح بمعنى القوة والثبات والنصرة التي يؤيد بها من يشاء من عباده، قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾⁽⁵⁾ قال القرطبي في تفسيره: "بمعنى قواه بنصر منه على عدوهم في الدنيا، ويسمى نصره لهم روحاً لأنه به يحيى أمرهم".⁽⁶⁾

خلاصة القول:

إنّ ما يمكن ملاحظته من خلال الأوجه السابقة أنّ الروح احتملت عدّة معانٍ فمنها: أنّ القرآن موحى لفظاً ومعنى في قلب النبي صلى الله عليه وسلم بواسطة جبريل عليه السلام وذلك أنّ محمداً

⁽¹⁾ الشعراء (93-94).

⁽²⁾ محمد الأمين بن محمد المختار الجكني (الشنقيطي)، (1325هـ، 1393هـ)، (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن)، إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد، دار علم الفوائد، ط: 1، (1426هـ)، ص: 137.

⁽³⁾ الشعراء (192-194).

⁽⁴⁾ تقي الدين، (ابن تيمية)، (ت728هـ)، (التفسير الكبير)، تح عبد الرحمن عميرة، ج5، ص: بتصرف

⁽⁵⁾ المجادلة (22).

⁽⁶⁾ القرطبي، (الجامع لأحكام القرآن)، ص: 28-253، مصدر سابق.

صلى الله عليه وسلم كان قويا ثابتا لتلقي الوحي من قبل جبريل عليه السلام والدليل أن زوجه كانت تقويه وتثبته.

ومن معاني الروح هنا أن الحياة غير هذه الروح مهما توفرت فيها أسباب الراحة والمتع، إن لم تكن فيها روح القرآن، وحياة الفرقان فهي أشقى وأضيق، حياة قال عنها الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾⁽¹⁾.

أما إذا كانت الحياة بروح هذا الكتاب فهي أسعد وأكمل وألذ أصناف الحياة قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنشَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾⁽²⁾.

سادسا: التنزيل:

مصدر على وزن تفعيل بفتح التاء وهو من الفعل: نَزَلَ، يُنْزِلُ، تَنْزِيلًا وَتَنْزِيلًا.

وسمي بالتنزيل لأنه منزل من عند الله تبارك وتعالى وهذا بدليل قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾⁽³⁾.

قال الراغب الأصفهاني أن لفظة تنزيل: "وردت هذه المفردة (التنزيل) إحدى عشرة مرة في القرآن الكريم"⁽⁴⁾، ومن الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى: ﴿تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾⁽⁵⁾ و﴿تَنْزِيلُ

⁽¹⁾ طه (124).

⁽²⁾ النحل (97).

⁽³⁾ الشعراء (192).

⁽⁴⁾ ينظر: محمود روحاني، (المعجم الإحصائي لألفاظ القرآن الكريم)، ج 2 ص: 584.

⁽⁵⁾ فصلت (02).

الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ⁽¹⁾، قال صاحب مفردات القرآن في معنى التنزيل: "أراد بالتنزيل نزول القرآن مفرداً مرة بعد مرة"⁽²⁾.

وقال السعدي: "يخبر الله تعالى أن هذا الكتاب تنزيل من رب العالمين الذي رباهم بنعمته، ومن أعظم ما رباهم به هذا الكتاب الذي فيه ما يصلح في كل أحوالهم ويتمم أخلاقهم، وأنه لا ريب فيه ولا افتراء"⁽³⁾.

المطلب الثاني: أوصافه (القرآن الكريم)

لقد وصف المولى تبارك وتعالى كتابه بأوصاف عديدة في القرآن الكريم، لنا وقفة ونظرة في هذه الأوصاف.

أولاً: النور

مصدر أنار ينير نوراً، إنه نور بكل ما حواه بين دفتيه من الآيات، نور فيما قرره من العقائد، وما فرضه من الأحكام، لأن الناس قبل القرآن كانوا تائهين في دياجير الظلم والأوثان، فالقرآن إذن نور في ألفاظه وتراكيبه وفي جملة ومعانيه يأخذ بمجاميع القلوب وتحفو إليه الفطرة النبوية.

فما أحوج الأمة إلى هذا النور الذي ينير طريق العلياء فيرتفعون به عن الدنيا الزائلة إلى دار الخلد، دار النعيم والكرامة.

فالنور هو وصف للقرآن، وذلك في عدة آيات من كتاب الله، قال تعالى: ﴿وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾⁽⁴⁾، وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ

⁽¹⁾ يس (05).

⁽²⁾ الراغب الأصفهاني، (مفردات ألفاظ القرآن)، تح صفوان عدنان داوودي، الناشر درا القلم، الدار الشامية، ط4، مادة نزل، ص: 799.

⁽³⁾ ينظر عبد الرحمن بن ناصر السعدي، (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان)، (تفسير السعدي)، تح سعد فوزان الصميل، الناشر دار ابن الجوزي، (ط 1422هـ)، ص: 657.

⁽⁴⁾ الشورى (52).

قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا⁽¹⁾، وقوله: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾⁽²⁾، وقوله: ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾⁽³⁾، وغيرها من الآيات.

فالله عز وجل وصف القرآن الكريم بالنور، ليبين الأحكام، ويهدي به من الضلالة إلى الهدى، فهو كما قال القرطبي: "نور مبين" أي: بين واضح.⁽⁴⁾

وجاء في كتاب البرهان: "لأنه يدرك به غوامض الحلال والحرام"⁽⁵⁾.

يُفهم من كلام العلماء في وصفهم للقرآن الكريم بأنه النور الذي تشرق به قلوب المؤمنين، وتضيء السبيل للسالكين المتقين، فبالقرآن يُخرج الله الذين آمنوا من الظلمات والتعاسات، إلى النور والسعادات.

ثانيا: شفاء

مصدر من شفي يشفي شفاء، والشفاء في الأصل هو الدواء وجمعه جمع الجمع أشفية وشفي أي برئ من مرضه وشفاه، وأشفاه برأه، وأطلب له الشفاء قال جل وعلا: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾⁽⁶⁾، ويقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾⁽⁷⁾.

(1) النساء (174).

(2) الأعراف (157).

(3) التغابن (08).

(4) القرطبي، (الجامع لأحكام القرآن)، ج6، ص: 57. سابق

(5) ينظر: بدر الدين الزركشي (البرهان في علوم القرآن)، ج1، ص: 279. مصدر سابق.

(6) الإسراء (72).

(7) يونس (57).

جاء في تفسير السعدي: "فالقرآن إذن شفاء لما في الصدور من أمراض الشهوات والشبهات التي توقع الإنسان فيما لا يحمد عقباه من المحرمات"⁽¹⁾.

ومن هنا يظهر لنا أن القرآن شفاء من سقم الكفر والضلال، فهو إذن يُطمئن القلوب ويريحها.

فالقرآن كما جاء في كتاب أسماء القرآن في القرآن: "واعظاً بما فيه من الترهيب والترغيب، وهذا للممتع فهو شافٍ ومرشدٌ، وموصلٌ إلى ذلك"⁽²⁾.

كما قال صاحب كتاب البرهان: "ووصف القرآن بالشفاء لأنه من آمن به كان له شفاء من سقم الكفر ومن علمه وعمل به كان له شفاء من سقم الجهل، فهو دواء لما في الصدور من الجهل"⁽³⁾.

خلاصة القول:

إن القرآن شفاء للقلوب بزوال الجهل، وإزالة الشك والريب منها، كما أنه شفاء للأمراض النفسية. فما أحوجنا إلى التداوي بالقرآن من الشهوات والملذات والمحرمات.

نختتم هذا العنصر بحديث نبينا صلى الله عليه وسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم ((إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ مَادِبَةٌ اللَّهِ فَتَعَلَّمُوا مِنْ مَادِبَتِهِ مَا اسْتَطَعْتُمْ، إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ هُوَ حَبْلُ اللَّهِ الَّذِي أَمَرَ بِهِ، وَهُوَ الثُّورُ الْمُبِينُ وَالشِّفَاءُ النَّافِعُ، عِصْمَةٌ لِمَنْ اعْتَصَمَ بِهِ، وَنَجَاةٌ لِمَنْ تَمَسَّكَ بِهِ، لَا يَعْوَجُ فَيَقْوَمُ، وَلَا يَزُوعُ فَيَشَعَبُ، وَلَا تَنْقُضِي عَجَائِبُهُ وَلَا يَخْلُقُ عَنْ رَدٍّ، اتْلُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْجُرُكُمْ لِكُلِّ حَرْفٍ عَشْرَ حَسَنَاتٍ، لَمْ أَقُلْ لَكُمْ ﴿الْم﴾⁽⁴⁾ وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَا م حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ....) فتعلموا من مَادِبَتِهِ مَا اسْتَطَعْتُمْ.))⁽⁵⁾.

(1) عبد الرحمن السعدي، (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان)، ص: 366-367، بتصرف.

(2) محمد محروس المدرس الأعظمي، (أسماء القرآن في القرآن) ط، (1420 هـ - 2000 م)، ص: 62.

(3) بدر الدين الزركش، (البرهان في علوم القرآن)، ج1، ص: 280. مصدر سابق.

(4) البقرة (01).

(5) صالح بن إبراهيم البليهي، (كتاب الهدى البيان في أسماء القرآن)، ط2 (1402 هـ)، ج 2 ص: 33.

ثالثاً: مبارك

مصدر ميمي من برك يبارك بركة، ومنه برك الله في الشيء وعليه، بمعنى جعل فيه الخير. قال جل وعلا: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ (1).

جاء في كتاب التحرير والتنوير: "فالكتاب مبارك، أي "كثير خيره، دائمة بركته ومنفعته" (2).

والمبارك المنبثة فيه البركة، وهي الخير الكثير، قال صاحب التحرير والتنوير: "ووصف القرآن بأنه مبارك لأن كل آيات القرآن مبارك فيها لأنها إما مرشدة إلى الخير، وإما صارفة عن شر وفساد، وذلك سبب الخير في العاجل والآجل، ولا بركة أعظم من ذلك" (3).

نعم القرآن مبارك، هذا وصف وصفه الله تعالى به في أربع آيات.

قال صاحب الهدى والبيان في أسماء القرآن: "هو والله بحر البركات ومعينها الصافي، وأصلها الأصيل، القرآن في نفسه مبارك، ومبارك على غيره. مبارك في جميع مجالات البركة، مجال التوحيد والعبودية، ومجال العقيدة الإسلامية، ومجال الأمر والنهي، والوعد والوعيد، والترغيب والترهيب، القرآن مبارك في حكمه وأحكامه، مبارك في مقاصده وأهدافه، مبارك في أخباره وأقاصيصه وأمثاله، مبارك في جميع ما اشتمل عليه" (4).

ومما يدل على بركة القرآن الكريم كما قلنا سابقاً أنها تحصل في أربع آيات وهي قوله تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ (5)، وفي آية أخرى شبيهة بهذه الآية وفي نفس السورة، يقول فيها تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (6) وقوله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو

(1) الأنعام (92).

(2) الطاهر بن عاشور، (التحرير والتنوير)، ج 7، ص: 369، مصدر سابق.

(3) المرجع السابق ج 23، ص: 251.

(4) صالح بن إبراهيم البليهي، (الهدى والبيان في أسماء القرآن)، ط 2، (1404هـ)، ج 2 ص: 01.

(5) الأنعام (92).

(6) الأنعام (155).

الْأَلْبَابِ ﴿١﴾ وكذلك قال في سورة الأحقاف: ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِّلْمُحْسِنِينَ﴾ (٢).

فقد بينت هذه الآيات بركة القرآن الكريم، حيث فيها الحث على إنذار المخطئين للعودة إلى الطريق المستقيم، واتباع الكتاب للسير في بر الأمان، وتدبر آياته لزيادة إيمانهم وللتذكر وبشرى سارة للمحسنين. فما أغظكم كتاب الله الذي يكفل لقارئه سعادة الدنيا والآخرة.

رابعاً: مجيد:

هو اسم مفعول على وزن فاعل أي ماجد، والمصدر مجداً جمع أجماد. ووصف القرآن بأنه مجيد في مستهل سورة ق، حيث قال عز وجل: ﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾ (٣). جاء في تفسير هذه الآية عن الطاهر بن عاشور: "أن السورة افتتحت بقسم من الله سبحانه وتعالى بالقرآن ذي المجد والشرف على سائر الكتب، لأن العادة جارية في القسم ألا يكون إلا بالمعظم" (٤).

كما جاءت لفظة المجيد في اللغة العربية بمعنى: العز والشرف والكرم والرفعة والعظمة.

وجاء في قاموس المحيط: "المجد نيل الشرف والكرم، أو لا يكون إلا بالآباء أو كرم الآباء، مجد كنصر وكرم، مجداً ومجادةً، فهو ماجدٌ ومجيدٌ" (٥).

(١) ص: (29).

(٢) الأحقاف (12).

(٣) ق (01).

(٤) الطاهر بن عاشور، (التحرير والتنوير)، ج 26، ص: 276-277، كما ينظر التفسير المنير، ج 26، ص: 272، 273.

(٥) مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، ت (817هـ)، (القاموس المحيط)، باب الدال، تح مكتبة التراث، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، (ط 8 1426 هـ - 2005م)، ص: 318.

ومن معاني المجيد أنّها جاءت اسمًا من أسماء الله الحسنى، قال صاحب الهدى والبيان في أسماء القرآن: "ولهذا سمي الله نفسه بالمجيد في موضعين اثنين من القرآن في سورتي (هود والبروج)، وسمى الله القرآن مجيدا في موضعين اثنين، والأمر أمر الله، والخلق خلق الله يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد".⁽¹⁾

فحينما نقرأ في كتب التفسير نجد أن الله وصفه بالمجيد في سورة البروج، حيث قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾⁽²⁾، يقول تكذيبا منه جل ثناؤه للقائلين للقرآن: هو شعر وسجع، ما ذلك كذلك بل هو قرآن كريم.

جاء في تفسير الطبري "حدثنا بشر قال: حدثنا يزيد قال: حدثنا سعيد عن قتادة: قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ﴾ يقول: هو القرآن الكريم"⁽³⁾، وفي المصدر نفسه: "حدثنا أبو كريب قال: حدثنا بن لقمان عن أشعث بن إسحاق عن جعفر عن سعيد في قوله: ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾، قال كريم".⁽⁴⁾

يظهر لنا مما قاله العلماء أنّ المجيد صفة للقرآن الكريم في موضعين اثنين، وهذا دليل على عظمة هذا القرآن، لأنّ الله عزّ وجلّ أقسم به في سورة ق على أنّه مهيمٌ ومسيطرٌ على جميع الكتب السابقة، فهو باقٍ خالدٍ إلى يوم الدين.

خامسًا: الكريم

من صفات القرآن الكريم وهو صفة على وزن فاعيل، من كرم يكرم كرامة، وكرما وكرمة فهو كريم، وهي كريمة وجمعها كرام وكرماء.

(1) صالح بن إبراهيم البليهي، (الهدى والبيان في أسماء القرآن)، ج 2، ص: 43، مرجع سابق، بتصرف.

(2) البروج (21-22).

(3) ينظر: أبو جعفر الطبري، (جامع البيان في تأويل آي القرآن)، ج 24، ص: 86، مصدر سابق.

(4) نفسه، ج 24، ص: 286.

ومما تجدر الإشارة إليه أنه كريم شاع على ألسنة الناس، وهو وصف للقرآن بالكريم أكثر من بقية صفاته، مع أن كلمة (الكريم) لم تذكر صفة للقرآن إلا مرة واحدة في قوله جل وعلا: ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾⁽¹⁾.

فهذه صفة ملازمة للقرآن، فما أن يذكر القرآن إلا ونقول القرآن الكريم.

قال ابن عاشور في تفسيره: "الكريم النفيس الرفيع في نوعه، وهذا تفضيل للقرآن على أفراد نوعه من الكتب الإلهية مثل التوراة والإنجيل والزيور، فضله عليها بأنه فاقها، هذا وصف للقرآن بالرفعة على جميع الكتب حتى لا يستطيع... طعنا فيه"⁽²⁾.

وقال صاحب كتاب النكت والعيون: "والقرآن (كريم) أيضا لما فيه من كريم الأخلاق، ومعالي الأمور"⁽³⁾.

وورد في الجامع لأحكام القرآن: "سمي القرآن كريماً لأنه يكرم حافظه، ويعظم قارئه"⁽⁴⁾.

ومما ورد في كتب التفسير أن الله وصفه بالكريم: "ووصفه بالكريم فيه لطيفة، وهي أن الكلام إذا قرئ كثيراً يهون في الأعين والآذان، ولهذا ترى من قال شيئاً في المجلس لا يذكره ثانياً، قال فخر الدين الرازي: "ولو قيل فيه يقال لقائله لما تكرر هذا، بينما الله تعالى يقول (إنه لقرآن) أي: مقروء وقرأ، وقال عنه كريم أي: لا يهون بكثرة التلاوة، ويبقى أمد الدهر كالكلام الغض"⁽⁵⁾.

(1) الواقعة (77_80).

(2) الطاهر بن عاشور، (التحرير والتنوير) ج 27، ص: 329.

(3) أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي (الماوردي)، (ت 450هـ)، (النكت والعيون)، تح: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ج 5، ص: 463 بتصرف.

(4) ينظر: القرطبي، (الجامع لأحكام القرآن)، ج 27، ص: 186، مصدر سابق.

(5) ينظر: فخر الدين الرازي، (مفاتيح الغيب = التفسير الكبير)، ج 29، ص: 190-191، مصدر سابق.

سادسا: عزيز:

صفة للقرآن أو الكتاب على وزن فعيل، قال تعالى في سورة فصلت: ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾⁽¹⁾.

جاء في كتاب التحرير والتنوير أن: "العزيز هو النفيس وأصله من العز من النفيس وهي المنفعة لأن... النفيس يدافع عنه، ويحمي عن... وكما أن العزيز يَغْلِبُ ولا يُغْلَبُ"⁽²⁾.

وجاء في تفسير ابن عطية: "أن وصف الكتاب العزيز بالعزّة لأنه بصحة معانيه ممتنع عن الطعن فيه، والإزراء عليه وهو محفوظ من الله تعالى"⁽³⁾.

خلاصة القول:

بناء على ما سبق يظهر لنا أن من معاني العزيز: النفيس الذي لا مثيل ولا شبه له في أحكامه وحكمه، في مفرداته وأساليبه، فهذا من حكمة الله عز وجل في كتابه ليبقى هذا الكتاب أعز وأنفس ما في الوجود.

سابعا: حكيم

صفة على وزن فعيل، بمعنى فعول، أي: محكم كالفتيل بمعنى المفتول، والشهيد بمعنى المشهود.

والحكيم هو وصف للقرآن في عدة آيات، قال تبارك وتعالى: ﴿الْم تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾⁽⁴⁾ وقال أيضا: «الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾⁽⁵⁾، وقال:

⁽¹⁾ فصلت (42).

⁽²⁾ الطاهر بن عاشور، (التحرير والتنوير)، ج 25، ص: 71، مرجع سابق.

⁽³⁾ ابن عطية، (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) ج 5، ص: 19، مرجع سابق.

⁽⁴⁾ لقمان (01-02).

⁽⁵⁾ يونس (01).

﴿الرَّكِتَابُ أَحْكَمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾⁽¹⁾، وقال تعالى: ﴿يَس وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾⁽²⁾.

وجاء في سياق الحديث عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: عَلَّمَنِي كَلَامًا أَقُولُهُ، قَالَ: "قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا، سُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ" عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: عَلَّمَنِي كَلَامًا أَقُولُهُ، قَالَ: ((قُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيرًا، سُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ))⁽³⁾.

ومما يلفت النظر أننا حينما نقرأ في الآيتين من سورة يس نجد أن الله قد أقسم لمحمد صلى الله عليه وسلم بالقرآن المحكم، بعجيب النظم وبديع المعاني، على أن محمد صلى الله عليه وسلم بن عبد الله، فقال في تابع الآيتين ﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾، قال صاحب التفسير المنير "وهذا لئلا يشك أحد في كونه مرسلًا، وفي هذا رد على من ينكرون نبوته صلى الله عليه وسلم، ويتهمون به بأنه جاء بالقرآن من عند نفسه"⁽⁴⁾.

جاء في ضلال القرآن: "وهي أن موضوع الحكمة متكرر في هذه السورة فناسب أن يختار هذا الوصف من أوصاف القرآن في الفاتحة، هذه السورة الكريمة - سورة يونس -، ووصف الكتاب بالحكمة يلقي عليه في ضلال الحياة والإرادة فكأنها هو كائن حي متصف بالحكمة في قوله وفعله وتوجيهه"⁽⁵⁾.

(1) سورة هود (01).

(2) يس (01-05).

(3) مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري (النيسابوري)، (ت261هـ)، (المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم)، تح محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، رقم 2696، ج4، ص: 72.

(4) وهبة الزحيلي، (التفسير المنير) ج27، ص: 192-193، مرجع سابق.

(5) الطاهر بن عاشور، (التحرير والتنوير)، ج10، ص: 72-73، مصدر سابق.

ويقول ابن جرير الطبري: "ووصف القرآن بالحكمة لأن الكتاب المحكم الذي أحكمه الله وبينه لعباده، فهو ذو الحكمة الفاصلة بين الحق والباطل"⁽¹⁾.

ومما قيل عنه: "لأنه أحكمت آياته بعجيب النظم وبليغ المعاني، وأحكمت عن تطرق التبديل والتحريف والاختلاف والتباين"⁽²⁾.

خلاصة لما سبق من أقوال المفسرين والعلماء:

إنَّ كلَّ هذه الصفات التي وصف الله بها كتابه هي: صفاتٌ تليق بهذا الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه أو من خلفه تنزيل من حكيم حميدٍ، وذلك لأنَّه محكمٌ في نظمهِ وبلاغتهِ وأحكامه لا يستطيع البطله ولا السحره على الإتيانِ بمثلِ هذا القرآن ولو بأصغر وحدة منه، هذا يدلُّ دلالةً قاطعةً على عظمةِ هذا الكتاب.

⁽¹⁾ الطبري، (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، ج 6، ص: 526، مصدر سابق.

⁽²⁾ جلال الدين السيوطي، (الإتقان في علوم القرآن)، ج 1، ص: 163، مصدر سابق.

المبحث الثالث: الخطاب في القرآن الكريم وأنواعه.

إن من يقرأ القرآن الكريم يلحظ في تأمله للخطاب القرآني أن له أنواعا كثيرة، ووجوها متعددة، ذكرها علماءنا في كتبهم، فلقد رأينا أن هؤلاء العلماء قد اختلفوا في تعداد هذه الأوجه، لذلك أردنا أن نبين ذكر الأنواع التي تطرق إليها العلماء في كتبهم واتفقوا على أغليتها.

ذكر الزركشي في كتابه (البرهان)⁽¹⁾ ثلاثة وثلاثين وجها، وذكر السيوطي في (الإتقان)⁽²⁾ أربعة وثلاثين وجها، وذكر عيسى بن قاسم في كتابه المسمى (الفتح المحمدي في علم البديع البيان والمعاني): الخطاب في القرآن على أربعين وجها⁽³⁾. أردت أن أذكر هنا القدر الذي يكفي مقام البحث

1) خطاب العام والمراد به العموم

كقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ﴾⁽⁴⁾، ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾⁽⁵⁾، ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾⁽⁶⁾، ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾⁽⁷⁾، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾⁽⁸⁾، قال الفخر الرازي عن هذه الآية: اعلم أن قوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾، يقتضي أن الله تعالى أمر كل الناس

(1) بدر الدين محمد بن عبد الله، (الزركشي)، (البرهان في علوم القرآن)، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت (1433هـ)، ص: 13.

(2) جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، (الإتقان في علوم القرآن)، المكتبة الثقافية، ط1979، بيروت ج2، ص: 33.

(3) البرهان فوزي، عيسى بن قاسم (الشيخ) الفتح المحمدي، في علم البديع والبيان والمعاني، مخطوطه، ص: 5.

(4) يونس (44).

(5) الكهف (49).

(6) الروم: (54).

(7) المجادلة (07).

(8) البقرة (21).

بالعبادة، فلو خرج بعض الناس عن هذا الخطاب لكان ذلك تخصيصاً للعموم⁽¹⁾، ثم ذكر أن لفظ الجمع المعروف بلام التعريف يفيد العموم⁽¹⁾.

ومن هنا نستنتج أنّ لفظ العموم يبقى على عمومته ما لم يخصص، أو تصرفه قرينة عن عمومته.

(2) خطاب الخاص والمراد به الخصوص

كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾⁽²⁾، وقال أيضاً: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾⁽³⁾، وقوله: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾⁽⁴⁾.

خلاصة القول:

يتضح لنا من خلال قراءتنا للآيات السابقة أنّ الله تبارك وتعالى خاطب أناساً معينين بخطاب خاص، وهذا من حكمته تعالى أنّه يخاطب الناس عامةً، كما يخاطب فئة خاصة معينة، وهذا لتمييزهم وانفرادهم بخصوصيات أو امتيازات تميزهم عن غيرهم، سواء لهم أو عليهم.

(3) الخطاب العام والمراد به الخصوص:

كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ﴾⁽⁵⁾ ذكر معين الحق أن: "هذا الخطاب خاص بعبد الله بن سلام"⁽⁶⁾.

(1) أبو عبد الله محمد بن عمر بن حسين القرشي (فخر الدين الرازي) الطبرستاني الأصل، تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، دار الفكر، لبنان - بيروت -، ط1، السنة: 1401هـ - 1981م، ج2، ص: 93.

(2) آل عمران (106).

(3) المائدة (67).

(4) الدخان (49).

(5) البقرة (13).

(6) معين الحق الخطاب القرآني وأنواعه، دراسة بلاغية في ضوء الفتح المحمدي في علم البديع والبيان والمعاني، مجلة القسم العربي، جامعة بنجاب لاهور، باكستان، العدد: 22، سنة 2015، ص 62.

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾⁽¹⁾.

فالمراد هنا جنس الناس لا كل فرد فيه، فغير المكلف (غير البالغ) لا يدخل تحت هذا الخطاب، لأن البلوغ والعقل شرط في العبادة.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾⁽²⁾
قال الضحّاك: "وهو الأقرع بن حابس الدارمي التميمي"⁽³⁾.

وكقوله عز وجل: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا﴾⁽⁴⁾

فعموم كلمة الناس يدخل فيها جميع الناس في اللفظتين. جاء في كتاب البرهان: "أن المراد بعضهم لأن القائلين غير المقول لهم"⁽⁵⁾.

قال ابن الجزري: "الناس الأول: ركب عبد قيس، والناس الثاني: مشركو قريش"⁽⁶⁾.

4 خطاب الخاص والمراد به العموم

كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾⁽⁷⁾.

⁽¹⁾ النساء (01).

⁽²⁾ الحجرات (04).

⁽³⁾ بدر الدين الزركشي، (البرهان في علوم القرآن)، ص: 133، مصدر سابق

⁽⁴⁾ آل عمران (173).

⁽⁵⁾ بدر الدين الزركشي، (البرهان في علوم القرآن)، ج 2، ص: 218.

⁽⁶⁾ ابن جزري محمد بن أحمد بنت جزري الكلبي، (تفسير ابن جزري)، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 1993، ص: 101.

⁽⁷⁾ الطلاق (01).

جاء في كتاب الخطاب القرآني وأنواعه أن الله عز وجل: "افتتح الخطاب بالنبي صلى الله عليه وسلم، والمراد سائر من يملك الطلاق."¹

قال أبو السعود: "تخصيص النداء به صلى الله عليه وسلم، مع عموم الخطاب لأُمَّته لتشريف صلى الله عليه وسلم، وتحقيق جلالة منصبه، وتحقيق أنه المخاطب حقيقة، ودخولهم في الخطاب بطريق استتباعه صلى الله عليه وسلم، إياهم وتغليبه عليهم".⁽²⁾

خلاصة القول:

نستنتج أنّ الخطاب القرآني الموجه للنبي صلى الله عليه وسلم قد يكون موجّهاً لأُمَّته كما هو مذكورٌ ومبيّنٌ في الآية السالفة الذكر، فهذا الخطابُ موجهٌ لمن كان متزوجاً ويملك عقدة النكاح، وأراد تطليق زوجته، فعليه أن يلتزم بشرع الله في طلاقه، وفي تعامله مع الزوجة المطلقة، ألا يظلمها، ولا يخرجها من البيت إلا إذا ارتكبت فاحشة الزنا.

كما هو مبينٌ في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾.⁽³⁾ يقول الإمام القرطبي في هذا "الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم وتدخل فيه أُمَّته من بعده"⁽⁴⁾.

5 خطاب الجنس

كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾⁽⁵⁾

(1) معين الحق (الخطاب القرآني وأنواعه، دراسة بلاغية في ضوء الفتح المحمدي في علم البديع والبيان والمعاني)، إشراف: أ.د خالق داد مالك، مجلو القسم العربي، جامعة بنجاب، لاهور-باكستان-، العدد: 22، 2015ص: 63.

(2) أبو السعود، ابن محمد العمادي، (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، دار الفكر، ج5، ص: 223.

(3) التوبة (73).

(4) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر (القرطبي) (671هـ)، (الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي القرآن)، تح عبد الله بن عبد المحسن الزكي، مؤسسة الرسالة، ط1، السنة: 1427هـ - 2006م. ص: 8، ص: 204.

(5) البقرة (21).

فإن المراد جنس الناس لا كل فرد، وإلا فمعلوم أن غير المكلف لم يدخل تحت هذا الخطاب، وهذا يغلب في خطاب أهل مكة كما سبق، ورجح الأصوليون دخول النبي صلى الله عليه وسلم في الخطاب.

— ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ وفي القرآن سورتان، أولهما ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ إحداهما: في النصف الأول، وهي السورة الرابعة منه، وهي سورة النساء، والثانية: في النصف الثاني منه، وهي سورة الحج.¹

قال صاحب مفردات غريب القرآن: "والناس قد يذكر ويراد به الفضلاء دون من يتناوله اسم الناس تجوزاً، وذلك إذا اعتبر معنى الإنسانية وهو وجود العقل والذكر وسائر القوى المختصة به فإن كل شيء عدم فعله المختص به لا يكاد يستحق اسمه، كاليد فإنها إذا عدت فعلها الخاص بها في إطلاق اليد عليها كإطلاقه على يد السرير، ومثله بقوله تعالى: ﴿آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ﴾⁽²⁾ أي: كما يفعل من يوجد فيه معنى الإنسانية ولم يقصد بالإنسان عينا واحدا بل قصد المعنى، وكذلك قوله: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾، أي: من وجد فيهم معنى الإنسانية أي إنسان كان".⁽³⁾

قال: وربما قصد به النوع من حيث هو كقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾⁽⁴⁾.

(6) خطاب النوع

(1) معين الحق الخطاب القرآني وأنواعه، دراسة بلاغية في ضوء الفتح المحمدي في علم البديع والبيان والمعاني، ص: 63.

(2) البقرة (01).

(3) أبو القاسم الحسين (الراغب الأصفهاني)، (ت502هـ)، (المفردات في غريب القرآن)، تح صفوان عدنان الداودي، دار القلم، دمشق، ط1، 1412هـ، ص: 829.

(4) البقرة (251).

مثل قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾⁽¹⁾، قال معين الحق: "المراد ببني اسرائيل بنو يعقوب عليه السلام".²

7 خطاب العين

كقوله جل وعلا: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾⁽³⁾، وقوله: ﴿قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾⁽⁴⁾، وقال تعالى: ﴿وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾⁽⁵⁾، ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ مَتَوَفَّيْكَ وَارْفَعْكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرْكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلِ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾⁽⁶⁾.

خلاصة القول:

نرى من خلال ما سبق أن كل الأنبياء ناداهم الله عز وجل بأسمائهم، إلا محمدا صلى الله عليه وسلم الذي شرفه وكرمه بقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ﴾، هذا إن دل على شيء فإنما يدل على عظمة هذا النبي صلى الله عليه وسلم، وبيان أن مكانته عند الله عالية حيث لم يرق إليها نبي قبله. كما نجد هذا واضحا في كتاب الله عز وجل، فهو خطاب تعظيم وتشريف للنبي صلى الله عليه وسلم، كما أنه درس وتعليم للمؤمنين ألا ينادوه باسمه، وهذا مصداقا لقول الله تبارك وتعالى: ﴿لَا

(1) البقرة (40).

(2) معين الحق الخطاب القرآني وأنواعه، دراسة بلاغية في ضوء الفتح المحمدي في علم البديع والبيان والمعاني، ص: 63، مرجع سابق.

(3) البقرة (35).

(4) هود (48).

(5) الصفات (104 - 105).

(6) آل عمران (55).

تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلِيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ⁽¹⁾

8 خطاب المدح

ورد الخطاب بالمدح لأهل المدينة ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمَ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾⁽²⁾، أخرج ابن أبي حاتم عن خيثمة قال: ما تقرؤون في القرآن ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ فإنه في التوراة (يا أيها المساكين). وأخرج أبو عبيد عن ابن مسعود قال: إذا سمعت الله يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾، جاء في كتاب فضائل القرآن: "فأعزها سمعك، فإنه خير يأمر به، أو شر ينهى عنه".⁽³⁾

كما أن الله قد ميّزهم عن أهل مكة، نحو قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾، ولا شك أن المؤمنين من أهل مكة يدخلون في هذا الخطاب أيضا.

9 خطاب الذم

كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْرُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾⁽⁴⁾، ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾⁽⁵⁾، ولما تضمن هذا الخطاب - خطاب الذم - الذي لم يقع في القرآن في غير هذين الموضعين، كعكسه في حق المؤمنين الممدوحين بـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾، قال معين الحق: "على المواجهة، وفي جانب الكفار جيء بلفظ الغيبة إعراضا عنهم"⁶، كقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾⁽⁷⁾.

⁽¹⁾ النور (63).

⁽²⁾ التوبة (20).

⁽³⁾ القاسم بن سلام، (فضائل القرآن)، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، 1991م: ص: 31.

⁽⁴⁾ التحريم (07).

⁽⁵⁾ الكافرون (01).

⁽⁶⁾ ينظر معين الحق، الخطاب القرآني وأنواعه، ص 64، مرجع سابق.

⁽⁷⁾ البقرة (06).

يظهر لنا من خلال النصين أن خطاب الله عز وجل هنا هو خطاب ذم للكفار والمعاندين، وهو تذكير لهم بأنجزاء من جنس العمل، كما بين في الآية الثانية أن الكفار المعاندين لا تنفعهم الموعظة.

10) خطاب التهكم

يقال له أيضا خطاب السخرية والاستهزاء، وهو إظهار عدم اللامبالاة بالمستهزأ به، أو المتهكم به، ولو كان عظيمًا، قال صاحب مجمل اللغة: "مأخوذ من تهكمت البئر إذا تهدمت".⁽¹⁾

ومن ذلك قوله: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾.⁽²⁾ قال ابن كثير: "هو خطاب لأبي جهل"⁽³⁾، الذي كان يدعي بأنه لا أحد أكرم منه بين جليلها. يعني مكة.

جاء في تفسير ابن كثير "عن عكرمة قال: لقي الرسول صلى الله عليه وسلم أبا جهل لعنه الله تعالى فقال: إن الله أمرني أن أقول لك: ﴿أُولَىٰ لَكَ فَأُولَٰئُكُمْ أُولَىٰ لَكَ فَأُولَىٰ﴾"⁽⁴⁾ قال: فنزع ثوبه من يده وقال: ما تستطيع لي أنت ولا صاحبك من شيء، وقد علمت أني أمنع أهل البطحاء، وأنا العزيز الكريم، قال: فقلته الله تعالى يوم بدر، وأذله الله وعيَّره بكلمته ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾. وذكر القرطبي عن قتادة قوله: "أن هذه الآية مذكور على لسان خزنة جهنم".⁽⁵⁾

11) خطاب الكرامة

كقوله عز وجل: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾⁽⁶⁾، و﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ﴾، قال معين الحق: "قال بعضهم نجد الخطاب بالنبي في محل لا يليق به الرسول، وكذا عكسه، كقوله في الأمر بالتشريع العام: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ

⁽¹⁾ أبو الحسين أحمد (بن فارس)، (مجمل اللغة)، ج3، ص: 907. مصدر سابق

⁽²⁾ الدخان (49).

⁽³⁾ ابن كثير، (تفسير القرآن العظيم)، ط1 (1996)، ج3، ص: 571، مصدر سابق.

⁽⁴⁾ القيامة (34 - 35).

⁽⁵⁾ القرطبي، (الجامع لأحكام القرآن)، ج9، ص: 89. مصدر سابق

⁽⁶⁾ الأنفال (64).

اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ⁽¹⁾، وفي مقام خاص: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَرْوَاحِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ⁽²⁾﴾، وقال صاحب الخطاب القرآني وأنواعه: "وقد يعبر النبي أيضا في مقام التشريع العام، لكن مع قرينة إرادة التعميم"⁽³⁾، كقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ⁽⁴⁾ وَلَمْ يَقُلْ: إِذَا طَلَّقْتُ. وقوله ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِينَ⁽⁵⁾﴾.

إن ما يمكن استخلاصه من خلال الآيات السالفة الذكر: أنَّ لخطاب القرآني يتعدّد ويتنوّع حسب المخاطبين، ولكلّ فئة خطابٌ خاصٌّ بهم، فمرّة يكون خطاباً للترغيب وأخرى للترهيب.

12) خطاب الإهانة

نحو قوله تعالى: ﴿قَالَ اخْسِئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ⁽⁶⁾﴾، وقوله: ﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخِيلِكَ وَرَجُلِكَ وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدَّهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا⁽⁷⁾﴾، قالوا: ليس هذا إباحة لإبليس، وإنما معناه أن ما يكون منك لا يضر عبادي، كقوله: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ⁽⁸⁾﴾.

13) خطاب الجمع بلفظ الواحد

كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ⁽⁹⁾﴾، وقوله عز وجل: ﴿وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ⁽¹⁰⁾﴾، قال الرازي: "الألف واللام يحتمل أن تكون للجنس، وأن تكون للمعهود السابق، فلهذا ذكر المفسرون فيه قولين:

(1) المائدة (67).

(2) التحريم (01).

(3) معين الحق الخطاب القرآني وأنواعه، دراسة بلاغية في ضوء الفتح الحمدي في علم البديع والبيان والمعاني، ص 65، مرجع سابق.

(4) الطلاق (63).

(5) الحجر (46).

(6) المؤمنون (108).

(7) الإسراء (64).

(8) الحجر (42).

(9) الانشقاق (06).

(10) العصر (01-02).

أن المراد منه الجنس كقوله: (كثر الدرهم في أيدي الناس)، ويدلّ على هذا القول استثناء الذين آمنوا من الإنسان.

الثاني: أن المراد منه شخص معين، قال ابن عباس: "يريد جماعة من المشركين، كالوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل، والأسود بن عبد المطلب"⁽¹⁾ وكقوله: ﴿وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾⁽²⁾.

وعلى هذا فكلام الله عز وجل يفهم من السياق القرآني، وذلك بالرجوع إلى كتب التفسير وأسباب النزول لفهم مراد الله جل وعلا.

14 خطاب الواحد بلفظ الجمع

نحو قوله عز وجل: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾⁽³⁾ خاطب بذلك أبا بكر الصديق لما حرم مسطحا رفده حين تكلم في حديث الإفك، ومثله قوله تعالى: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾⁽⁴⁾، خاطب به النبي صلى الله عليه وسلم بدليل قوله: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾⁽⁵⁾.

وكقوله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ فَتَقَطُّوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾⁽⁶⁾، قال الخزرجي: "فهو خطاب له صلى الله عليه وسلم وحده، إذ لا نبي معه ولا بعده"⁽⁷⁾.

⁽¹⁾ فخر الدين الرازي، (التفسير الكبير) ج 32، ص: 86.

⁽²⁾ النساء (69).

⁽³⁾ النور (22).

⁽⁴⁾ النحل (127).

⁽⁵⁾ ينظر: بدر الدين الزركشي، (البرهان في علوم القرآن)، ج 2، ص: 235. مصدر سابق

⁽⁶⁾ المؤمنون (51-53).

⁽⁷⁾ ينظر: الخزرجي، أبو جعفر، (تفسير الخزرجي)، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت 1429هـ، ص: 25

وقوله: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾⁽¹⁾. جاء بيان ذلك في قول الصابوني: "وإنما قال للمرسلين، لأن من كذب رسولا فقد كذب الرسل كلهم"⁽²⁾.

15) خطاب الواحد بلفظ الاثنين

كقوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ﴾⁽³⁾ قال الزركشي في البرهان: "المراد مالك خازن النار"⁽⁴⁾.

ونقل القرطبي عن الخليل والأخفش: "أن من كلام العرب الفصيح أن مخاطب الواحد بلفظ الاثنين"⁽⁵⁾.

16) خطاب الاثنين بلفظ الواحد:

وذلك كما تقدم في قوله تعالى: ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾⁽⁶⁾

ومنه قوله جل وعلا: ﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى﴾⁽⁷⁾، جاء في تفسير ابن عطية: "أي ويا هارون، وفيها وجهان:

أحدهما، كما جاء في المحرر الوجيز: "أنه أفردته بالنداء لإدلاله عليه بالتربية. والآخر: لأنه صاحب الرسالة والآيات، وهارون تبع له"⁽⁸⁾.

يفهم من ذلك أنّ هارون لما كان أفصح من موسى، نكب فرعون عن خطابه، حذراً من لسانه.

⁽¹⁾ الشعراء (105).

⁽²⁾ محمد علي الصابوني، (صفوة التفاسير)، دار القرآن الكريم، بيروت، ط4، ج2، ص: 387.

⁽³⁾ ق (26).

⁽⁴⁾ ينظر: (البرهان في علوم القرآن)، ج2، ص: 239.

⁽⁵⁾ القرطبي، (الجامع لأحكام القرآن)، (1716) عند تفسيره: ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ﴾.

⁽⁶⁾ ق (24).

⁽⁷⁾ طه (49).

⁽⁸⁾ ابن عطية، (المحرر الوجيز)، دار الكتب العلمية، بيروت (1429هـ)، ج4، ص: 46.

قال القرطبي: في قوله تعالى: ﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى﴾ "خصه بالذكر لأنه صاحب الرسالة والكلام، وقيلك أنهما جميعا بلغا الرسالة، وإن كان هارون ساكتا، لأنه في وقت الكلام إنما يتكلم واحدا" (1).

ومثله: ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾ (2)، قال ابن عطية: "أفرد به بالشقاء لأنه المخاطب أولاً، والمقصود في الكلام. وقيل: لأن الله جعل الشقاء في معيشة الدنيا في جانب الرجال. وقيل: إغضاء عن ذكره المرأة، كما قيل: من الكرم ستر الحرم (3)، وكذلك قوله: ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (4).

وقال الزمخشري: "خاطب الإثنين ووجه النداء إلى أحدهما، وهو موسى لأنه الأصل في النبوة، وهارون وزيره وتابعه، ويحتمل أن يحمله خبثه ودعارته على استدعاء كلام موسى دون كلام أخيه لما عرف من فصاحة هارون، والرتة في لسان موسى" (5).

وقد رجّع صاحب أدب الخطاب في القرآن الكريم هذا القول وقال بأنه هو الراجح. (6)

17) خطاب الجمع بلفظ التثنية

وذلك كما تقدم في قوله تعالى: ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾ (7).

18) خطاب الجمع بعد الواحد

كقوله جل وعلا: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (8)، قال أبو حيان في البحر المتوسط: "وهو أمر لموسى عليه

(1) (صفوة التفاسير)، ج2، ص: 387، مرجع سابق.

(2) طه (117).

(3) الزركشي، (البرهان في علوم القرآن)، ص: 144، مصدر سابق.

(4) الشعراء (16).

(5) الزمخشري، (الكشاف)، ج2، ص: 539، مصدر سابق.

(6) ينظر: عبد الرحمن سعود إبداح، (أدب الخطاب في القرآن)، طبعة (2016)، دروب للنشر والتوزيع، ص: 27.

(7) ق (24).

(8) يونس (87).

السلام أن يتبوءا لقومهما ويختاره للعبادة، وذلك مما يفوض إلى الأنبياء، ثم نسق الخطاب عاما لهما ولقومهما باتخاذ المساجد والصلاة فيها، لأن ذلك واجب على الجمهور، ثم خصّ موسى عليه السلام بالتبشير الذي هو الغرض تعظيما له وللمبشر به⁽¹⁾، وكقوله: ﴿مَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾⁽²⁾، "جمع في الفعل الثالث ليدل على أن الأمة داخلون مع النبي صلى الله عليه وسلم"⁽³⁾، ومثله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ﴾⁽⁴⁾، وقوله: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾⁽⁵⁾.

19) خطاب الإثنين بعد الواحد

كقوله جل وعلا: ﴿قَالُوا أَجِئْنَا لِنُلْفِتَنَّا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ﴾⁽⁶⁾.

20) خطاب العين والمراد به الغير

كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾⁽⁷⁾، قال الزركشي في البرهان: "الخطاب للنبي والمراد المؤمنون، لأنه صلى الله عليه وسلم كان تقيا، وحاشاه من طاعة الكافرين والمنافقين"⁽⁸⁾، وقوله عز وجل: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ

(1) أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف بن علي الغرناطي، (البحر المتوسط)، دار الفكر، ط2، ج5، ص: 186.

(2) يونس (61).

(3) ينظر: عبد الحق معين، الخطاب القرآني وأنواعه، ص: 67.

(4) الطلاق (01).

(5) يونس (87).

(6) يونس (78).

(7) الأحزاب (01).

(8) ينظر: البرهان في علوم القرآن، ج2، ص: 242. والإنقان في علوم القرآن، ج2، ص: 34.

فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَفْرُءُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُتَمَتِّرِينَ ﴿١﴾، حاشاه صلى الله عليه وسلم من الشك في النزول.

21) الخطاب للغير والمراد به عين المخاطب

كقوله تبارك وتعالى: ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ (2).

يُفهم من هذا أنّ القرآن الكريم ليس موجَّهًا لأناسٍ معيّنين أو أمةٍ معيّنة فقط، وإنّما هو خطابٌ للأوليين والآخرين، وتذكيرٌ للحلف بالسلف.

22) الخطاب العام الذي لم يقصد به مخاطب معين

كقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ (3)، وقوله أيضاً: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسُ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾ (4)، ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبَّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ (5).

ففي الآيات السابقة لم يخصص الله عز وجل خطابه لفئة أو أناس معينين، بل ترك الخطاب عاما حيث لم يخصص الجنة لأناس معينين، أو النار لنفر معينين، بل جعل للإنسان سبيلين واضحين، طريق الجنة وطريق النار، فكل واحد يقر ويعترف بعمله أمام الله عز وجل.

23) خطاب التلوين وهو الالتفات:

قال معين الحق: "وسماه الثعلبي المتلون" (6)

(1) يونس (94).

(2) الأنبياء (10).

(3) الأنبياء (18).

(4) الفرقان (45).

(5) الأنعام (30).

(6) ينظر معين الحق، الخطاب القرآني وأنواعه، ص: 68، مرجع سابق

كقوله تعالى: ﴿قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى﴾⁽¹⁾، وقوله: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ﴾⁽²⁾.

24 خطاب الجمادات (خطاب من لا يعقل)

كقوله عز وجل: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي﴾⁽³⁾، وقوله: ﴿يَا جِبَالُ أَوْبِي مَعَهُ وَالطَّيْرُ﴾⁽⁴⁾، وكذلك قوله: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾⁽⁵⁾.

25 خطاب التشجيع والتحريض

كقوله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾⁽⁶⁾ فيه إعلان محبة الله تعالى للمقاتلين في سبيله، فهذا تحريض وتشجيع لهم على القتال، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّنْ فُورِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾⁽⁷⁾.

يفهم من هذا أنه هذا الخطاب هو خطاب تشجيع لهم على الصبر والتقوى والثبات.

26 خطاب التنفير

كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بَعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾⁽⁸⁾، قال الزركشي في البرهان: " فقد جمعت هذه الآية أوصافا وتصويرا لما يناله المغتاب، من

(1) طه (49).

(2) الطلاق (01).

(3) هود (44).

(4) سبأ (10).

(5) فصلت (11).

(6) الصف (04).

(7) آل عمران (125).

(8) الحجرات (12).

عرض من يغتابه على أفضع وجه، فالاستفهام هنا للتقريع والتوبيخ، ثم جعل ما هو الغاية في الكراهية موصولا بالحبّة، وأسند الفعل إلى ﴿أَحَدُكُمْ﴾، وقال صاحب البرهان: "مشعرا بأن أحدا لا يحب ذلك..."⁽¹⁾.

27 خطاب التشريف

مثل قوله تعالى: ﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾⁽²⁾ وقوله: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾⁽³⁾ وغيرها...

قال السيوطي في الإتقان: "كل ما في القرآن مخاطبة بـ: ﴿قُلْ﴾، فإنه تشريف منه تعالى لهذه الأمة بأن يخاطبها بغير واسطة لتفوز بشرف المخاطبة".⁽⁴⁾

28 خطاب التعجيز

قال تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾⁽⁵⁾، وقوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾⁽⁶⁾.

خلاصة القول:

يبين الله عز وجل في هاتين الآيتين وفي غيرها أن الإعجاز باق وقائم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، فمهما بلغ البشر ومهما حاول فلن يستطيع أن يأتي ولو بأقصر سورة بل آية مثل هذا القرآن في بلاغته وأسلوبه، ودقة تعبيره.

⁽¹⁾ ينظر: البرهان في علوم القرآن، ج2، ص: 251، بتصرف. مصدر سابق.

⁽²⁾ آل عمران (48).

⁽³⁾ الإخلاص (01).

⁽⁴⁾ الإتقان في علوم القرآن، ص: 34. مصدر سابق.

⁽⁵⁾ البقرة (23).

⁽⁶⁾ هود (13).

المبحث الرابع: خصائص الخطاب القرآني ومميزاته:

لقد اختص الله تبارك وتعالى أمة محمد صلى الله عليه وسلم بنزول القرآن على نبيها المكرم ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، من ظلمات الجهل إلى نور الإيمان والإسلام، حتى أصبحت خير أمة أخرجت للناس، وتميز كتاب الله عز وجل بخصائص عظيمة ومميزات سامية، من دون سائر الكتب المنزلة على الأنبياء السابقين، لذا أردت في هذا المبحث أن أبين بعض الخصائص والمميزات الخاصة بالخطاب القرآني:

المطلب الأول: عالمية الخطاب القرآني

إن القارئ لكتاب الله عز وجل يجد أن الخطاب القرآني عالمي، فهو يستوعب حياة الناس جميعاً وحينما شرع الله هذه الشريعة جعلها للناس كافة في الأرض كل الأرض، وفي كل زمان إلى يوم الدين قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾⁽¹⁾، وقال: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾⁽²⁾، فمن خلال الآيتين السابقتين يتبين لنا أنه خطاب للبشرية جمعاء إلى يوم القيامة، وبالتالي فلم يكن الخطاب القرآني لجنس دون جنس، أو لطبقة معينة، بل هو ذكر للعالمين كما ورد في الآية السابقة، وقد صرحت الآيات القرآنية بعالمية الخطاب، في كثير من الآيات، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾⁽³⁾، فهو خطاب يستوعب الحياة البشرية بأكملها، قال صاحب تفسير القرآن الكريم: "فهو ذكر للعالمين من الإنس والجن، يذكرون به خالقهم ورازقهم ومحبيهم ومميتهم، وماله عليهم من حق العباداة وواجب الشكر، ويتعظون به فيخافون ربه فلا يعصونه بترك فرائضه ولا بارتكاب ما حرمه عليهم، وذلك لمن شاء منهم أن يستقيم، على منهج الحق والهداية، واتباع هذي النبي صلى الله عليه وسلم".⁽⁴⁾

(1) الفرقان (01).

(2) التكوير (27).

(3) القلم (52).

(4) ينظر تفسير القرآن الكريم، ج 15، ص: 1313، بتصرف. مصدر سابق.

خلاصة لما سبق:

إن القرآن الكريم هو كتاب الله عز وجل الذي أنزله على نبيه صلى الله عليه وسلم ليكون دستوراً لجميع أفراد البشر على مختلف لغاتهم وثقافتهم وألوانهم دون تمييز، وهذا الأمر ليس ادعاءً، بل هو حقيقة تؤكد الكثرة من النصوص القرآنية.

المطلب الثاني: عربيته

إننا لما نقرأ في كتاب الله عز وجل نجد أنه أنزل باللغة العربية وذلك لأنها الركيزة الأساسية لفهم خطاب الله تعالى، فهو ليس كما يعتقد البعض أن القرآن خاص بالعرب دون غيرهم، وذلك لزعمهم أنه نزل بلغتهم، فهم نسوا أو تناسوا أن القرآن فوق لغة العرب كما قال الرافعي في كتابه: "ولقد صارت ألفاظ القرآن بطريقة استعمالها ووجه تركيبها كأنها فوق اللغة، فإن أحدا من البلغاء لا تمتنع عليه فصيح هذه العربية متى أرادها، وهي بعد في الدواوين والكتب، ولكن لا تقع له مثل ألفاظ القرآن في كلامه، وإن اتفقت له نفس هذه الألفاظ بحروفها ومعانيها، لأنها في القرآن تظهر في تركيب ممتنع فتترف به، ولهذا ترتفع إلى أنواع أسمى من الدلالة اللغوية أو البيانية التي هي طبيعية فيها، فتخرج من لغة الاستعمال إلى لغة الفهم، وتكون بتركيبها المعجز طبقة عقلية في اللغة"⁽¹⁾.

فإذا عدنا وقلبنا صفحات المصحف الشريف وجدنا أن فيه - القرآن الكريم - دليل قاطع على عربيته ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَنَزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾⁽²⁾

إذن فلا يقدح في عربية القرآن ولا ينبغي له ذلك، وهذا ما نراه في كلام أبي عبيدة النكير حينما قال: "إنما أنزل القرآن بلسان عربي مبين، فمن زعم أن فيه غير العربية فقد أعظم القول، ومن زعم أن كذا بالنبطية فقد أكبر القول"⁽³⁾.

⁽¹⁾ مصطفى صادق الرافعي، (إعجاز القرآن والبلاغة النبوية)، دار الكتاب العربي بيروت، لبنان 1410 هـ / 1990 م. ص: 226.

⁽²⁾ الشعراء (192 - 195).

⁽³⁾ ينظر: البرهان في علوم القرآن، ج2، ص: 164.

ومن هنا فإننا نميل إلى من قال بعربية القرآن، بدليل القاعدة الأصولية (لا اجتهاد مع النص)، وعليه فالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة يشبان عربية القرآن، قال ابن فارس بعد أن حكى قول أبي عبيدة هذا: "وهذا أن القرآن لو كان فيه غير العربية من غير لغة العرب شيء لتوهم متوهم أن العرب إنما عجزت عن الإتيان بمثله لأنه أتى بلغات لا يعرفونها".⁽¹⁾

كما ذهب الإمام الشافعي إلى أن جميع كتاب الله إنما أنزل بلسان العرب، حيث قال في (الرسالة): "والقرآن يدل على أن ليس من كتاب الله شيء إلا بلسان العرب"⁽²⁾.

ومما ورد عن ابن عباس وعكرمة وغيرهما، أنه وقع في القرآن ما ليس من لغة العرب⁽³⁾، فمن ذلك ﴿الطور﴾ جبل بالسريانية، و ﴿طفقا﴾ أي قصدا بالرومية، و ﴿القسطاس﴾ العدل بالرومية، و ﴿المهل﴾ عكر الزيت بلسان أهل المغرب، ﴿ناظرين إناه﴾ أي نضجه بلسان أهل المغرب.

وقد جمع أبو عبيد القاسم بن سلام فيما حكاه ابن فارس، جمع بين المذهبين في أدب رفيع حيث قال: "والصواب عندي مذهب تصديق القولين جميعا، وذلك أن هذه الأحرف أصولها أعجمية كما قال الفقهاء، إلا أنها سقطت إلى العرب فقربتها، وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب، فمن قال إنها عربية فهو صادق، ومن قال أعجمية فصادق".⁽⁴⁾

خلاصة القول:

إن نزول القرآن الكريم ليس كغيره من الكتب السماوية، إذ كان لا بُدَّ أن يكون بلغة من اللغات الحية التي يتكلم بها الناس عصر نزول القرآن، واللغة العربية كانت إحدى أهم تلك اللغات، هذا وقد ذكر الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم أن اللغة العربية هي لغة القرآن، ولذلك فقد جاء في سورة يوسف: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾⁽⁵⁾، فلم يترك لنا مجالا للشك، وما يمكن قوله، حتى وإن كان فيه كلمات غير عربية فقد عربها القرآن.

(1) عبد الجليل عبد الرحيم، (لغة القرآن)، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان، 1991، ص: 202.

(2) محمد بن إدريس الشافعي، الرسالة، تحقيق أحمد محمد شاكر، ص: 42.

(3) بدر الدين الزركشي، (البرهان في علوم القرآن)، ج1، ص: 288، مصدر سابق.

(4) نفسه: 291.

(5) يوسف (02)

المطلب الثالث: إعجازه

القرآن الكريم رسالة الله الخالدة، ومعجزة نبيه الكبرى، التي سقطت أمامها حجج الناكرين والمعاندين الجاحدين، ولا يزال الإعجاز باق إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها. فهو معجز في ألفاظه وأساليبه، ولتأثيره البالغ في النفوس، فهو معجز للإنس والجن، والعرب والعجم، والناس أجمعين. قال تعالى: ﴿قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾⁽¹⁾، هكذا تحداهم الله عز وجل في بداية الأمر بقوله: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾⁽²⁾، ثم تحداهم بأن يأتوا بعشر سور فقال تعالى: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾⁽³⁾، ولما عجزوا عن ذلك تحداهم أن يأتوا بسورة منه، حيث قال جل جلاله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾⁽⁴⁾، وفي آخر المراحل طالبهم بأن يأتوا بسورة تشبهه فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾⁽⁵⁾

قال السامرائي في كتابه: "فالقرآن تحدّى العرب على أن يأتوا بسورة مثله ويشمل هذا التحدي قصار السور كما يشمل طولها، فهو تحداهم بسورة الكوثر، الإخلاص، المعوذتين، النصر وقريش أو أية سورة يختارونها..."⁽⁶⁾

يقول فضل عباس: " فالقرآن معجز بكل ما تتسع له كلمة الإعجاز، وبكل ما يشتمل عليه القرآن من مجالات متعددة "⁽⁷⁾

(1) الإسراء (88).

(2) الطور (34)

(3) هود (13)

(4) يونس (38)

(5) البقرة (23)

(6) فاضل السامرائي، (التعبير الفني في القرآن)، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ص: 09.

(7) نفسه، ص: 136.

وعلى هذا فالقرآن الكريم معجز في ألفاظه وأسلوبه وكلماته، فهو لا يزال معجزاً إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

المطلب الرابع: فصاحة ألفاظه

إذا ما تأملنا وأمعنا النظر في ثنايا الخطاب القرآني وجدنا الإبداع ظاهراً في احتوائه على أفصح الألفاظ الرائعة المعبرة، التي يستحسنها السمع، فأبي مفردة منه تناولتها بالفحص وجدت حروفها متألّفة. وقد شهد جل علماء العربية بذلك، ومنهم الراغب، ذلك حينما قال: "فألفاظ القرآن هي لبّ كلام العرب وزيدته وواسطته وكرائمه، وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء في أحكامهم، وحكمهم، وإليها مفرغ حدّاق الشعراء والبلغاء في نظمهم ونثرهم، وما عداها وعدا الألفاظ المنفرّعات عنها والمشتقات منها هو بالإضافة إليها كالقشور والنوى بالإضافة إلى أطيب الثمرة، وكالحشالة والتبن بالإضافة إلى لبوب الحنطة"⁽¹⁾.

خلاصة القول:

إن في فصاحة القرآن وجه من وجوه إعجازه، ولفصاحته العالية، وبلاغته الرفيعة، قال الوليد بن المغيرة لما سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم: إِنَّ لِقَوْلِهِ الَّذِي يَقُولُ حَلَاوَةً، وَإِنَّ عَلَيْهِ لَطَاوَةً، هذا بدليل ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما: "أَنَّ الْوَلِيدَ بْنَ الْمَغِيرَةَ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَقَرَأَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ فَكَأَنَّهُ رَقَّ لَهُ، فَبَلَغَ ذَلِكَ أَبَا جَهْلٍ، فَأَتَاهُ، فَقَالَ: يَا عَمَّ! إِنَّ قَوْمَكَ يَرَوْنَ أَنَّ يَجْمَعُوا لَكَ مَالًا. قَالَ: لِمَ؟ قَالَ لِيُعْطُوكَهُ فَإِنَّكَ أَتَيْتَ مُحَمَّدًا لَتَعْرِضَ لِمَا قَبْلَهُ، قَالَ: قَدْ عَلِمْتُ قُرَيْشٌ أَيْ مِنْ أَكْثَرِهَا مَالًا، قَالَ: فَقُلْ فِيهِ قَوْلًا يَبْلُغُ قَوْمَكَ أَنَّكَ مُنْكَرٌ لَهُ أَوْ أَنَّكَ كَارٍ لَهُ قَالَ: وَمَاذَا أَقُولُ فَوَاللَّهِ مَا فِيكُمْ رَجُلٌ أَعْلَمَ بِالْأَشْعَارِ مِنِّي، وَلَا أَعْلَمَ بِرَجْزِهِ وَلَا بِقَصِيدَتِهِ مِنِّي، وَلَا بِأَشْعَارِ الْجِنِّ. وَاللَّهُ مَا يُشْبِهُ الَّذِي يَقُولُ شَيْئًا مِنْ هَذَا، وَاللَّهُ إِنَّ لِقَوْلِهِ الَّذِي يَقُولُ حَلَاوَةً، وَإِنَّ عَلَيْهِ لَطَاوَةً وَإِنَّهُ لَمُنْمِرٌ أَعْلَاهُ، مُعْدِقٌ أَسْفَلُهُ، وَإِنَّهُ لَيَعْلُو وَمَا يُعْلَا، وَأَنَّهُ لَيَحْطِمُ مَا تَحْتَهُ".⁽²⁾

⁽¹⁾ ينظر: الراغب الأصفهاني، (مقدمة مفردات القرآن)، ص: 40. مصدر سابق.

⁽²⁾ رواه البيهقي في دلائل النبوة- باب اعتراف مشركي قريش بما في كتاب الله تعالى من الإعجاز وأنه لا يشبهه. شَيْئًا مِنْ لَعَاتِهِمْ مَعَ كَوْنِهِمْ مِنْ أَهْلِ اللُّغَةِ وَأَرْثَابِ اللِّسَانِ ج2، ص: 199.

المطلب الخامس: بلاغة مفرداته

إننا إذا تأملنا في الخطاب وجدنا الإبداع ظاهراً في فصاحة ألفاظه الرائعة المعبرة، ألفاظ يستحسنها السمع، فكل لفظة من القرآن لها موقعها الخاص بها، قال ابن عطية: "كتاب الله لو نزع منه لفظة ثم أدير لسان العرب في أن يوجد أحسن منها لم يوجد، ونحن تبين لنا البراعة في أكثره، ويخفى علينا وجهها في مواضع، لقصورنا عن مرتبة العرب يومئذ في سلامة الذوق، وجودة القريحة وميز الكلام" (1). ومنه فألفاظ القرآن لها مكانتها ولها حرمتها التي لا تبيح لأحد أن يغير فيه حرفاً.

لذلك أردت في هذه النقطة أن أبين ما تقوم عليه بلاغة القرآن في النقاط التالية:

أولاً: اختيار الألفاظ ومناسبتها للمعاني:

فكل لفظة من ألفاظ الخطاب القرآني تختار بشكل دقيق ومميز لتؤدي المعنى بطريقة بليغة، ولنا أمثلة كثيرة في القرآن الكريم، لنا أن نذكر ما يمكن ذكره في هذا المقام:

فمن شواهد اختيار القرآن وانتقائه لألفاظه، أنه يكتفي بما يكون بين الرجل وزوجته بألفاظ غاية في النزاهة والشرف:

فمرة يكتفي عنه بالإتيان، وذلك في قوله تعالى: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ﴾ (2). ومرة يكتفي عنه بالرفث، وذلك في قوله تعالى: ﴿أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾ (3). وأخرى يكتفي عنه بالغشيان، وذلك في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَغَشَّاهَا﴾ (4).

وأخرى يكتفي عنه بالقربان، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ﴾ (5).

وأخرى يكتفي عنه باللمس، وذلك في قوله تعالى: ﴿أَوْ لَا مَسْتُتْمِ النِّسَاءِ﴾ (6).

(1) ابن عطية، (المحرر الوجيز)، ج 1، ص: 52، مصدر سابق.

(2) البقرة (233).

(3) البقرة (187).

(4) الأعراف (189).

(5) البقرة (222).

(6) النساء (43).

وأخرى يكني عنه بالمسّ، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرًا﴾⁽¹⁾.

وأخرى يكني عنه بالنكاح، وذلك في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾⁽²⁾.

وأخرى يكني عنه بالمباشرة، وذلك في قوله تعالى: ﴿فَالآنَ بَاشِرُوهُمْ وَأَبْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾⁽³⁾.

ثانيا: حسن نظمه وجودة السبك

فالنظم أكثر ما يشد ويجذب في خطاب القرآن، فقد فاق جميع أنواع الخطابات الأخرى، لأن الكلمة تحسن في موطن، في حين تظهر شنيعة في موقع.

حيث تجد لفظة واحدة في آية من القرآن، وفي بيت من الشعر، أتت في القرآن جزلة متينة، وفي البيت الشعري ركيكة ضعيفة، مثل خطاب الله لصحابة الرسول، قال تعالى: ﴿فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ﴾⁽⁴⁾.

كما أنك تجد هذه اللفظة-يؤذي- في قول المتنبي:

تَلَدَّ لَهُ الْمِرْوَةُ وَهِيَ تُؤْذِي وَمَنْ يَعَشَقُ يَلَدَّ لَهُ الْغَرَامُ⁽⁵⁾

يعد هذا البيت من أبيات المعاني الشريفة، إلا أن لفظة (تؤذي) جاءت فيه وفي الآية من القرآن، فحطت من قدر البيت لضعف تركيبها، عكس تركيب الآية، الذي وافق فيه اللفظ غرض الخطاب.

⁽¹⁾ آل عمران (47)، مریم (20).

⁽²⁾ البقرة (230).

⁽³⁾ البقرة (187).

⁽⁴⁾ الأحزاب (53).

⁽⁵⁾ ضياء الدين ابن الأثير، نصر الله بن محمد، ت (637)، (المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر)، تح أحمد الحوفي، بدوي طبانة، الناشر: دار نضمة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة . القاهرة، ج1، ص: 145-146 - بتصرف.

ذلك أن لفظة (تؤذي) إذا جاءت في الكلام ينبغي أن تكون مندرجة مع ما يأتي بعدها متعلقة به كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ﴾، لا كما جاءت في قول المتنبي في البيت المذكور سابقا. ومنه ندرك أن الخطاب القرآني تفوق بنظمه أولا على أعذب الشعر وأكثره بهاءً ورونقا وجزالة، فهو كما قال الرماني في كتابه: "أتى بطريقة مفردة خارجة عن العادة، لها منزلة في الحسن تفوق به كل طريقة"⁽¹⁾.

ومما يلفت النظر أن ألفاظ الخطاب القرآني جاءت متماسكة بشكل يشد بعضها بعضا، حيث لا يمكن الاستغناء عن كلمة من الآيات، وهذا لأن الكلمات في القرآن مختارة بقصد الخطاب إبلاغه، كما أنه - الخطاب القرآني - يأتي بصياغة مقصودة، وحروف محكمة، وفواصل لها ارتباط وثيق ودقيق بالمعاني، يقول الزركشي: "فالفواصل حروف متشاكلة في المقاطع، توجب حسن إفهام المعاني"⁽²⁾.

نمثل لذلك بالآية التي قال الله تعالى فيها: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾⁽³⁾، يقول الدكتور وهبة الزحيلي: "إن أولئك المتقين هم الذين يُصدقون بجميع ما أنزل على النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وعلى سائر الأنبياء والمرسلين، ويُصدقون أيضا تصديقا جازما لا شك فيه بالآخرة، وما تضمه من بَعَثِ الأجساد والأرواح معًا من القبور، وحساب وجزاء، وميزان وصراف، وجنة ونار، وهؤلاء الموصوفون بما ذكر من الإيمان الحق بالغيب، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والاعتقاد باليوم الآخر، والإيمان بالقرآن وبالكتب المنزلة قبله - (وهي التوراة والإنجيل والزيور والصحف) - هم على نور وهداية من ربهم، وعلى منزلة عالية عند الله، وهم الفائزون بالدرجات العالية في جنات الخلود"⁽⁴⁾.

فإذا نظرنا إلى مناسبة الفاصلة نجد أن جمال الفاصلة هنا في التقديم والتأخير، قال أحمد محمد عطية المنيراوي في كتابه: "حيث قدّم الإنفاق على غيره من صفاتهم، لأنه وصف إيجابي يدل على صفاء

⁽¹⁾ علي بن عيسى بن علي بن عبد الله، أبو الحسن الرماني، ت: (384هـ)، (النكت في إعجاز القرآن: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)، تح محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام، دار المعارف بمصر، ط 3، 1976م، ص: 111.

⁽²⁾ الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج 1، ص: 53.

⁽³⁾ البقرة (03).

⁽⁴⁾ وهبة الزحيلي، (التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج)، ج 1، ص: 75. مرجع سابق

نفوسهم، وقوة إخلاصهم، فإن المال شقيق الروح، فإذا أنفقوه في حالي السراء والضراء، كان ذلك دليلاً على التزامهم العميق بتعاليم دينهم وطاعة ربهم".⁽¹⁾

ثالثاً: تعدد أساليبه واتحاد معناه

إننا كلما نقرأ في كتاب الله عز وجل نجد أنه يأتي بالمعنى الواحد، وبألفاظ وطرق مختلفة تصل إلى درجة الإعجاز، فأعجز أبلغ البلغاء وأفصح الفصحاء، فلا يمل القارئ ولا يسأم السامع، بل يشعر بجمال التنوع في أسلوب الخطاب في الأمر والنهي، أو الإباحة، لنا أن نأتي بأمثلة للتوضيح:

أ- لقد عبر القرآن الكريم عن طلب الفعل من المخاطبين بعدة صيغ نلخصها فيما يلي:

- (1) يأتي أحياناً بصريح صيغة فعل الأمر نحو قوله تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾⁽²⁾، ومن هنا ندرك أن فعل الأمر يبقى على وجوبه إذا لم تصرفه قرينة.
- (2) الإخبار بأن الفعل المكتوب على المكلفين بصيغة الماضي، نحو قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾⁽³⁾.
- (3) يأتي بنفس فعل الأمر، نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾⁽⁴⁾.
- (4) وصف الفعل بالفرضية، وكونه فرضاً نحو: ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾⁽⁵⁾، وجاء في مقدمة سورة النور قوله عز وجل: ﴿سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾⁽⁶⁾، أي أوجبنا ما فيها من الأحكام والحدود.

(1) أحمد محمد عطية المنيراوي، (المناسبة بين الفواصل القرآنية وآياتها: دراسة تطبيقية على الجزء الأول من سورة البقرة)، رسالة ماجستير للباحث كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية غزة، فلسطين، ص: 45.

(2) البقرة (43).

(3) البقرة (183).

(4) النساء (58).

(5) الأحزاب (50).

(6) النور (01).

- (5) ترتيب وصف شنيع على ترك الفعل كقوله تعالى: ﴿وَلِيَحْكُمَ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أُنزِلَ اللَّهُ فِيهِمْ لَمْ يَحْكُمَ بِمَا أُنزِلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾⁽¹⁾.
- (6) الإخبار عن المكلفين بالفعل المطلوب منه، نحو قوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾⁽²⁾، قروء أي مطلوب منهن أن يتربصن.
- (7) الإخبار عن المبتدأ بمعنى يطلب تحقيقه من غيره نحو ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾⁽³⁾ أي: مطلوب من المخاطبين تأمين دخل الحرم.

- (8) ووصف الفعل بالفريضة نحو ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ﴾⁽⁴⁾، أي: من بذل المهور والنفقة

هذه جملة من الأمثلة التي ذكرها صاحب كتاب مناهل العرفان في كتابه، فقد اقتصرنا على ذكر بعضها.⁽⁵⁾

ب- أساليب الخطاب في النهي كثيرة، ومنها تعبيره عن النهي بالوسائل الآتية:

- (1) الإتيان بفعل النهي، مثل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَوَلَّيْكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾⁽⁶⁾.
- (2) فعل التحريم، كقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾⁽⁷⁾.

(1) المائدة (47).

(2) البقرة (228) ..

(3) آل عمران (97).

(4) الأحزاب (50).

(5) ينظر محمد عبد العظيم الزرقاني، ت (1367هـ)، (مناهل العرفان في علوم القرآن)، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط3،

ج2، ص: 319-320 بتصرف يسير.

(6) الممتحنة (09).

(7) الأعراف (33) ..

- (3) نفى الحل عنه، نحو قوله عز وجل: ﴿لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا﴾⁽¹⁾.
- (4) النهي عنه بلفظ لا، نحو قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾⁽²⁾.
- (5) وصفه بأنه ليس برا، نحو قوله: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى﴾⁽³⁾.
- (6) ووصفه بأنه شر، نحو قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ﴾⁽⁴⁾.
- (7) وذكر الفعل مقرونا بالوعيد، نحو قوله: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾⁽⁵⁾.
- (8) وذكر الفعل منسوبا إليه الإثم، نحو: ﴿فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ﴾⁽⁶⁾.
- (9) ونظم الأمر في سلك ما هو بالغ الإثم والحرمة والإخبار عن الفعل بأنه رجس ووصفه بأنه من عمل الشيطان والأمر باجتنابه ورجاء الفلاح في تركه وترتيب مضار مؤذية على فعله والأمر بالانتهاء عنه في صورة الاستفهام وتمثل لهذه الطرق كلها بتحريم الخمر والميسر في قوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رَجَسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾⁽⁷⁾.

(1) النساء (19).

(2) الأنعام (152).

(3) البقرة (189).

(4) آل عمران (180).

(5) التوبة (34).

(6) البقرة (181).

(7) المائدة (90-91).

ج - ومنها تعبيره عن إباحة الفعل بالطرق الآتية:

- (1) التصريح في جانبه بمادة الحل نحو ﴿أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ﴾⁽¹⁾. ومثله في سورة البقرة نحو قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾⁽²⁾.
- (2) الأمر به مع قرينة صارفة عن الطلب نحو ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾⁽³⁾.
- (3) نفي الإثم عن الفعل نحو ﴿فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾⁽⁴⁾.
- (4) نفي الحرج عنه نحو ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ﴾⁽⁵⁾ أي في ترك القتال أو في الأكل من البيوت.
- (5) نفي الجناح عنه في غير ما ادعى فيه الحرمة، نحو قوله عز وجل: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾⁽⁶⁾، أما من ادعى فيه الحرمة، فإن نفي الجناح عنه يصدق بوجوبه، نحو: ﴿فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾⁽⁷⁾.
- (6) إنكار تحريمه في صورة استفهام، نحو قوله عز وجل: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾⁽⁸⁾.
- (7) الامتنان بالشيء ووصفه بأنه رزق حسن، نحو قوله: ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾⁽⁹⁾.

خلاصة القول:

(1) المائدة (01).

(2) البقرة (168).

(3) الأعراف (31).

(4) البقرة (173).

(5) النور (61).

(6) المائدة (93).

(7) البقرة (158).

(8) الأعراف (32).

(9) النحل (67).

جاء القرآن الكريم بأساليب عديدة ومتنوعة في بيانه للأحكام، فمرة يتحدث عن الواجب بصيغة الأمر كما ذكرنا سابقاً، ومرة بأنه مكتوب على المؤمنين كما عرفنا عن فرضية الصيام، أو بذكر الجزاء الحسن لفاعله. كما أنه يتحدث عن النهي بأسلوب النهي لبيان الحرام، أو يستخدم أسلوب التوعيد لفاعله، أو بذكر العقوبة المترتبة عليه، أما الإباحة فتؤخذ من لفظ الحلال، أو رفع الجناح، أو الإذن بفعل الشيء، أو العفو عنه، لذلك يجب على كل من يريد استخراج واستنباط الأحكام من القرآن أن يفهم هذه الأساليب، فالفعل يكون واجباً أو مندوباً إذا جاء بصيغة دالة على الوجوب أو الندب، وكذلك إذا كان حراماً أو مكروهاً، ويكون الفعل مباحاً إذا جاء بلفظ يدل على ذلك كالإذن ونفي الحرج أو الجناح.

يستفاد من هذا كله أن القرآن منة من الله جل جلاله على الناس، ليستفيدوا من خلاله كثرة النظر في القرآن والإقبال عليه قراءة وسماعاً وتدبراً وعملاً.

المبحث الخامس: مقاصد الخطاب القرآني

يعتبر علم المقاصد الشرعية من أجل العلوم وأنفعها، وذلك لتعلقه بكتاب الله عز وجل، إذ لا يمكن إغفاله في فهم كلام الله وتفسيره أي: إعمال المقاصد واعتبارها في تفسير النص القرآني، فلا يمكن تدبر القرآن وفهمه فهما صحيحا بمعزل عن فهم مقاصده وغاياته، ولقد كانت لبعض المفسرين إشارات واجتهادات تدل على اعتبارهم للمقاصد في تفسير القرآن، سواء في ما فسروه من الآيات لفظا وتركيبا أو في ما استنبطوه واستخرجوه من أحكام قرآنية، هذا وقد وجدنا السابقين كالفقهاء والأصوليين والمحققين قد اهتموا بدراسة هذا العلم لاستخراج مكنون كنوزها، كما نرى ذلك واضحا من خلال تفسيرهم للآيات وشرحهم لسنة المصطفى صلى الله عليه وسلم، وتفصيل أحكام الدين. وجدير بنا في هذا المبحث أن نلقي نظرة على هذا العلم النفيس، فما المقصود مقاصد وما علاقته، وما علاقتها بالنظرية السياقية؟

المطلب الأول: مفهوم المقاصد:

المقاصد لغة:

مقاصد على وزن مفاعل، وهو مصدر ميمي، مأخوذ من الفعل قصد (ق ص د)، وترجع كلمة المقاصد في معناها اللغوي إلى الفعل (قَصَدَ) تقول: قَصَدَ، يَقْصُدُ، قَصْدًا. ومنه تنصرف جميع الاشتقاقات، كَالْقَصْدُ، وَالْقَاصِدُ، وَالْمَقْاصِدُ، وَالْإِقْصَادُ، وغيرها، ومن معانيها ما يلي:

01: استقامة الطريق: جاء في لسان العرب: "الْقَصْدُ: استقامة الطريق. قَصَدَ يَقْصُدُ قَصْدًا فهو قَاصِدٌ. وقوله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾⁽¹⁾؛ أي على الله تبيين الطريق المستقيم، والدعاء إليه بالحجج والبراهين الواضحة"⁽²⁾.

وقوله تعالى: ﴿وَمِنْهَا جَائِرٌ﴾⁽³⁾؛ أي: ومنها طريق غير قاصد.

02: التوسط وعدم مجاوزة الحد:

(1) النحل (9).

(2) ابن منظور، (لسان العرب)، دار صادر - بيروت - د ط، دس، ج 3، ص: 353، مصدر سابق.

(3) النحل (9).

وذلك ما جاء في قول الله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُأْذِنُ اللَّهُ ذَلِكُ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾⁽¹⁾.

وقوله -صلى الله عليه وسلم-: (وَالْقَصْدُ الْقَصْدُ تَبْلُغُوا)⁽²⁾؛ أي: عليكم بالقصد من الأمور في الأقوال والأفعال، والقصد هو الوسط بين الطرفين.

03: التوسط والاعتدال: جاءت لفظة (قَصَدَ) في القرآن في ستة مواضع، أغلبها تعني التوسط، والاستقامة، والاعتدال، وهي كالاتي:

اقْصِدْ: في قول الله تعالى: ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾⁽³⁾؛ ومعناه توسط فيه، والقصد ما بين الإسراع والبطء.

قَصْدٌ: في قوله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهْدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾⁽⁴⁾؛ أي على الله بيان قصد السبيل، فحذف المضاف وهو البيان، والسبيل هو الإسلام، ومعنى الآية: على الله بيان الإسلام بالرسول والحجج والبراهين، وقصد السبيل معناه استقامة الطريق، يقال طريق قاصد، أي مستقيم يؤدي إلى المطلوب.

قاصِداً: في قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضاً قَرِيباً وَسَفَراً قَاصِداً لَاتَّبَعُوكَ﴾⁽⁵⁾، أي سفراً سهلاً وغير شاق، ومعلوم الطريق.

مُقْتَصِدٌ: في قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾⁽⁶⁾، أي عدل في العهد، وفي البر بما عاهد عليه في البحر.

(1) فاطر (32).

(2) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الرقاق، باب: القصد والمداومة على العمل، رقم: 6463، ج8، ص: 98.

(3) لقمان (19).

(4) النحل (9).

(5) التوبة (42).

(6) لقمان (32).

مُقْتَصِدٌ: في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾⁽¹⁾؛ أي الملازم للقصد، وهو ترك الميل.

مُقْتَصِدَةٌ: موضع آخر، في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمَنْ تَحْتَ أَرْجُلِهِمْ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾⁽²⁾، أي: منهم قوم لم يكونوا من المؤذنين المستهزئين.

كما أن لها استعمالات أخرى متعددة منها: الاعتماد، والأتم، وتعدّ الحكمة من أقرب تلك المعاني للمقاصد، وورودها في القرآن أكثر.

المقاصد اصطلاحًا:

لما نقرأ في كتب العلماء السابقين نجدهم استعملوا ألفاظًا كثيرة لمدلول المقاصد: كالمهدف والغاية من الأحكام التشريعية، وهناك عدد من الألفاظ المستعملة. إلا أنه لم يحدد لها تعريفًا دقيقًا أو محددًا، ولم يكن لها مصطلح خاص بها عند علماء التراث، ولكنهم عبروا عنها بألفاظ مثل: الحكم والحكمة، والأسرار، والغايات، والأهداف، والأغراض الأمور بمقاصدها، مراد الشارع، أسرار الشريعة، رفع الحرج والضيق، العلل الجزئية للأحكام الفقهية... إلخ.

أما العلماء المعاصرون فجاءت تعريفاتهم متقاربة، بداية من الشاطبي، حتى الآن، ومن أهم هذه التعريفات:

- 1 عرفها الشاطبي بقوله: "ومقاصد الشرع هي المصالح التي تعود إلى العباد في دنياهم وأخراهم سواء أكان تحصيلها عن طريق جلب المنافع أو عن طريق دفع المضار"⁽³⁾.
- 2 وقال ابن عاشور: "مقاصد التشريع العامة، هي المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها"⁽⁴⁾.

(1) فاطر (32).

(2) المائدة (66).

(3) أبو إسحاق بن موسى بن محمد اللخمي (الشاطبي)، (ت 790هـ)، (الموافقات)، تح أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، ط 1 (1417هـ - 1997م)، ج 3، ص: 440.

(4) محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر (ابن عاشور)، التونسي (ت 1393هـ)، (مقاصد الشريعة الإسلامية)، تح محمد الحبيب بن الخوجة. الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، (1425هـ - 2004م)، ص: 251.

(3) وعرفها أحمد الريسوني في كتابه بقوله: "الغايات التي وضعت الشريعة لأجل تحقيقها لمصلحة العباد"⁽¹⁾.

(4) قال علال الفاسي: "المراد بمقاصد الشريعة الغاية منها، والأسرار التي وضعها الشارع عند كل حكم من أحكامها".⁽²⁾

خلاصة القول:

نرى مما سبق أن معنى المقاصد الشرعية عند علماء المقاصد يدور حول الغايات والأهداف التي قصدها الشارع الحكيم لتحقيق سعادة الإنسان ومصلحته في الدارين الدنيا والآخرة. ومنه وجب علينا اتباع الطريق المستقيم الوسط الذي لا إفراط فيه ولا تفريط، ولتحقيق الاعتدال والوسطية في الأمور كلها. وسنرى ذلك من خلا الدراسة التطبيقية لبعض النماذج المأخوذة من سورة النور.

صلة المقاصد بالقرآن الكريم:

قال الشاطبي في كتابه: "إن الكتاب قد تقرر أنه كلية الشريعة، وعمدة الملة، وينبوع الحكمة، وآية الرسالة، ونور الأبصار والبصائر، وأنه لا طريق إلى الله سواه، ولا نجاة بغيره، وهذا كله لا يحتاج إلى تقرير واستدلال عليه، لأنه معلوم من دين الأمة، وإذا كان كذلك لزم ضرورة لمن رام الاطلاع على كليات الشريعة، وطمع في إدراك مقاصدها واللاحاق بأهلها، أن يتخذ سميره وأنيسه، وأن يجعله جليسه على مر الأيام والليالي، نظراً وعملاً، لا اقتصار على أحدهما" ولا تقول: سأدرس القرآن دراسة نظرية! لا، ستدرس وتعمل "فيوشك أن يفوز بالبعية"⁽³⁾

يفهم من كلام الشاطبي، أنه يجب علينا من أراد فهم المقاصد فعليه بالقرآن الكريم. وذلك لما فيه من المقاصد الشرعية، جاءت - المقاصد - لإصلاح البشر في العاجل والآجل، أي في حاضر الأمور وعواقبها، كما أن من وراء ذلك حكماً وأسراراً، وضعها رب العزة جل وعلا، يظهر هذا جلياً لما يعيش

(1) أحمد الريسوني، (نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي)، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، ط2 (1412هـ - 1992م)، ص: 07.

(2) علال الفاسي، (مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها)، ط 5، دار الغرب الإسلامي (1993)، ص: 07

(3) الشاطبي، (الموافقات)، دار ابن القيم، دار ابن عفان، سنة النشر (1424هـ - 2003م)، ج4، ص: 143-144. مصدر

مع القرآن الكريم. لأنه- القرآن- هو أول مصدر من مصادر التشريع، فملتأمل في الخطاب القرآني يدرك أن فيه مقاصد كثيرة ومتنوعة، فمن بينها ما يلي:

المطلب الثاني: أقسام المقاصد الشرعية

لقد قسم علماء الأصول المقاصد إلى أقسام عديدة، واعتبارات مختلفة منها:

ورد في كتاب الإمام الشاطبي أنه قال: " تكاليف الشريعة ترجع إلى حفظ مقاصدها في الخلق، وفي هذه المقاصد لا تعدو ثلاثة أقسام: أحدهما أن تكون ضرورية، والثاني أن تكون حاجية، والثالثة أن تكون تحسينية"⁽¹⁾

أولاً: المقاصد الضرورية:

هي التي لا بد منها في قيام مصالح الدارين، وهي الكليات الخمس: حفظ الدِّين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال، والتي تثبت بالاستقراء والتنقيص في كل أمة وملة، وفي كل زمان ومكان.

قال الغزالي: "ومقصود الشرع من الخلق خمسة، وهي: أن يحفظ عليهم دينهم، ونفسهم، وعقلهم، ونسلهم، ومالهم... وهذه الأصول الخمسة حفظها واقع في رتبة الضروريات"⁽²⁾.

فحفظ الدين يكون: بإقامة أركانه وتثبيت قواعده. فشرعت لذلك أصول العبادات، كالشهادتين والصلاة، والزكاة، والصوم، والحج.

ومنه فإن مقصد حفظ الدين من أهم مقاصد الشريعة الإسلامية، تمثل لذلك بالأمثلة الآتية:

1) العبودية: فعلى المرء أن يدرك هذه الحقيقة التي من أجلها وجد في هذه الحياة الدنيا، فالله تعالى خلفنا لحكمة جليلة، وغاية نبيلة، وهي: عبادة الله وحده لا شريك له قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾⁽³⁾، يتبين لنا من خلال الآية أن الله لم يخلقنا للهو واللعب، بل خلقنا لعبادته، كما نفهم أيضاً أن عبادتنا لا تنفع الله شيئاً ولا تضره، لا تزيد في ملك الله شيئاً ولا تنقص منه، بل العبادة تنفع صاحبها. ومما يزيدنا توضيحاً وبياناً أن الله أمر نبيه بعبادته حتى الموت،

⁽¹⁾ الشاطبي، (الموافقات)، تح أبو عبيدة المشهور بآل سليمان، دار ابن عفان، ط1 (1417هـ - 1997م)، ج2، ص: 17.

⁽²⁾ أبو حامد محمد بن محمد (الغزالي) الطوسي، (ت5058هـ)، تح محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، ط1 (1413هـ - 1993م)، ص: 174.

⁽³⁾ الذاريات (56).

فال تعالى: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾⁽¹⁾، فتشريع العبادة لبنينا صلى الله عليه وسلم تشريع لنا، تبين لنا هذا من خلال سياق الآية السابقة. من هنا ندرك جيداً أن الغاية الكبرى، والهدف الأسمى إنما هو من العبادة

(2) من مقاصد الشريعة: محاربة الفساد، فكلمة الفساد لا تعني كما يفهمها بعض الناس أنها مقتصرة على الرشوة فقط، بل هي أعم، يعني لو تقول: فساد النيات، والعبادة كفساد الصوم مثلاً، أو فساد البيئة، الجو (التلوث)... إلخ.

(3) ومنه فإن من مقاصد الشريعة محاربة الفساد، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ

الْفُسَادَ﴾⁽²⁾، وقال أيضاً: ﴿لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾⁽³⁾

ومنه فإن الأمة تدرك وتعرف أن الفساد في الأرض لا تقبله النفوس، ولا ترضى به الأفئدة، وذلك لما ينجر عنه من منكرات وفواحش تعود على صاحبها بالخسران المبين في الدنيا والآخرة.

(4) التيسير ورفع الحرج: يرجع هذا الشريعة الإسلامية إلى الوسطية والاعتدال في الدين الإسلامي يفهم من سياق الآية الكريمة التي يقول فيها جل وعلا: ﴿كَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعَ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَّءُوفٌ رَحِيمٌ﴾⁽⁴⁾، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ((ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين إلا اختار أيسرها، ما لم يكن إثماً، فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه، وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه قط، إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم الله بها))⁽⁵⁾

(1) الحجر (99).

(2) البقرة (205).

(3) الأعراف (56).

(4) البقرة (143).

(5) يحيى بن شرف أبو زكريا (النووي)، (شرح النووي على مسلم)، باب مباحثته صلى الله عليه وسلم للأثم واختياره من المباح أسهله وانتقامه لله عند انتهاك حرماته، دار الخير، سنة النشر (1416 هـ - 1996 م)، ج 15، برقم: 2328، ص:

وجاءت الأحاديث النبوية الشريفة تؤكد وتبين هذا الاتجاه القرآني إلى التيسير فمن بينها: قوله عليه الصلاة والسلام: ((بُعِثْتُ بِحَنِيفِيَّةٍ سَمَحَةٍ))⁽¹⁾.

وقوله أيضا: ((إِنَّمَا بُعِثْتُ مُيسِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ))⁽²⁾.

وفي حديث آخر قال صلى الله عليه وسلم: ((يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا))⁽³⁾.

خلاصة القول:

إن الله عز وجل خلق خلقه وهو عليم بعباده شرع لهم الأحكام وجعلها مبنية على التخفيف والتيسير، وذلك لتمكينهم من أدائها حتى لا يملو، فمن ذلك مثلا: الترخيص في الصلاة قاعدا لمن تضرر في الصلاة قائما، والصلاة بالإيماء مضطجعا، أو مستلقيا لمن تؤذيه الصلاة قاعدا.

وكذلك الترخيص في الإفطار للحامل والمرضع إذا خافتا على أنفسهما أو ولديهما، وكذلك لمن كان مريضا أو على سفر، ومثله الترخيص للمسافر في القصر والجمع في الصلاة... إلخ. شرعت هذه العبادات في الإسلام، سهلة ميسرة في الأحوال والظروف المعتادة، أم في الحالات الطارئة والظروف الاستثنائية كما أشرنا فتأخذ هيئات وأحكام تناسب مع وضع المكلف في تلك الظروف والأحوال.

إن ما يكن أن نقوله هو أن كل هذا من مقاصد التيسير ورفع الحرج، ويتضح لنا أيضا عند استقراءنا لكتاب الله عز وجل أن الله رؤوف رحيم بعباده، وأنه - تعالى - يريد لهم الخير والسعادة وصلاح الحال والمآل في المعاش والمعاد.

⁽¹⁾ أبو محمد بن عبد الكريم، (الفرقان في بيان إعجاز القرآن)، مكتبة الملك فهد الوطنية، ط1، (1422هـ - 2002م)، ج1، ص: 141.

⁽²⁾ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن حنبل، (مسند الإمام أحمد بن حنبل)، ج7، ص: 90.

⁽³⁾ محمد بن إسماعيل أبو عبد الله (البخاري)، (الجامع المسند الصحيح المختصر من سور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه)، تح محمد بن ناصر الناصر، كتاب الأدب، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: ((يسرّوا ولا تعسّروا))، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ، ج8، ص: 31.

المقصد الثاني: حفظ النفس:

يكون ذلك بحفظ الأرواح من التلف عمومًا، والمقصود بالنفس التي قصد الشارع المحافظة عليها هي النفس المحترمة المعبر عنها بالمعصومة الدم في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾⁽¹⁾.

يقول صاحب الموافقات في كتابه: "وللنفس وسائل لحفظها من جانب الوجود ومن جانب العدم، فأما من جانب الوجود إجمالاً: إقامة أصله بشرعية التناسل، وحفظ بقائه بعد خروجه من العدم إلى الوجود من جهة المأكل والمشرب، وذلك ما يحفظه من داخل الملبس والمسكن، وذلك ما يحفظه من خارج".⁽²⁾

أما عن جانب العدم إجمالاً: فبتحريم الاعتداء على الأنفس والأعضاء، ووجوب القصاص، وتحريم الانتحار، وتعريض النفس للهلاك، والضرب على أيدي قطاع الطريق، وتشريع الرخص. خلاصة القول:

يعتبر الدين مصلحة ضرورية للناس، لأنه ينظم علاقة الإنسان بربه، وعلاقة الإنسان بأخيه ومجتمعه، ولذلك تعددت وسائل الحفظ بنفسه، وعلاقة الإنسان بأخيه ومجتمعه، ولذلك تعددت وسائل حفظ الدين من جانب الوجود، ومن جانب العدم، فمن جانب الوجود على سبيل الإجمال العمل به، والحكم به، والدعوة إليه، والجهاد من أجله. ومن جانب العدم، عقوبة المرتد، الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر... إلخ.

المقصد الثالث: حفظ العقل: المقصود بحفظ العقل:

لقد أنعم الله عز وجل على الإنسان بنعمة العقل، وميزه به عن الحيوان، فإذا فقد الإنسان عقله أصبح كالبهيمة يساق إلى حتفه وهو لا يشعر، لذلك شرع الله عز وجل المحافظة على سلامة العقل من المفسدات. فنجد أن الشرع حرم كل ما يفسد العقول ويذهبها، فتحريم الخمر معروف بالأدلة، وما هو أسوأ من الخمر، من المخدرات، وكل ما فيه إتلاف للعقل، قال تبارك وتعالى في كتابه الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ

(1) الإسراء (33).

(2) الشاطبي، (الموافقات)، ج4، ص: 347. بتصرف، مصدر سابق.

تُفْلِحُونَ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴿١﴾.

يفهم من الآيتين: أنَّ الخمر له تأثير سيء على الناس بوقوع العداوة والبغضاء التي تجري بينهم، وعليه فمن سكر وغاب عقله، فإنه يعتدي على الناس ويقع في المحرمات والمعاصي، وبالتالي يتقرب من الشيطان الذي يريد له ويتغياها، ولهذا نهى تعالى عن الخمر فقال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ (٢).

المقصد الرابع: حفظ النسل والعرض:

لما نقرأ في المقاصد الشرعية نجد أنها تتحدث عن الضروريات الخمس، أو الكليات الخمس، فمن بينها: المحافظة على النسل، الذي هو بقاء النوع الإنساني بواسطة التناسل، لأن الشرع يريد استمرار المسيرة البشرية، فنجد أنه شرع طرقاً للمحافظة على النسل، وعلى بقائه. فمن ذلك حثه على الزواج: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ (٣)، سنين ذلك في الدراسة التطبيقية لما نتحدث عن الزواج.

المقصد الخامس: حفظ المال:

حينما نستقري النصوص القرآنية والأحاديث النبوية نجد أن الإسلام اعتبر المال ضرورة من ضروريات الحياة الإنسانية، وشرع ما يشجع على اكتسابه وتحصيله، ويكفل صيانه وحفظ وتنميته، ومن ذلك:

الحث على السعي لكسب الرزق، وتحصيل المعاش فقد حث الإسلام على كسب الأموال باعتبارها قوام الحياة الإنسانية، واعتبر السعي لكسب المال الحلال إذا قرن بالنية الصالحة طريقاً للتقرب إلى الله قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾ (٤)،

(١) المائدة (90-91).

(٢) المائدة (91).

(٣) النور (32).

(٤) الملك (15).

وقال آية أخرى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾⁽¹⁾. وقال صلى الله عليه وسلم: ((نِعَمَ الْمَالُ الصَّالِحِ لِلْمَرْءِ الصَّالِحِ))⁽²⁾
قال ذلك لعمر بن العاص لما أسلم، وأراد صلى الله عليه وسلم أن يبعثه على جيش ليغنمه الله عز وجل بالمال الصالح، فعمرو لم يسلم من أجل المال، لكن النبي صلى الله عليه وسلم أراد أن يكافئه، فقال: ((يَا عَمْرُو! نِعَمَ الْمَالُ الصَّالِحِ لِلْمَرْءِ الصَّالِحِ))⁽³⁾.

فالمال الذي قصد الشارع حفظه هو المال المحترم في نظر الشارع، ويباح الانتفاع به، إذا جمع من طريقه المشروعة، وهو محترم ومصون، ومن تعدى عليه غرم، وألزم بقيمته أو مثله على حسب الأحوال والقواعد الشرعية وتجب حمايته، وبالتالي يكون المال الحلال كسبا طيبا مباركا، وينال صاحبه رضا الله عز وجل، ويفوز بدخول الجنة.

ثانيا: المقاصد الحاجية: تأتي في المرتبة الثانية تلي (المقاصد الضرورية).

عرفها الشاطبي بقوله: "هي التي يحتاج إليها الناس لرفع المشقة ودفع الحرج عنهم، وإذا فقدت لا تحتل بفقدائها حياتهم كما يقع في الضروريات، بل يصيبهم من فقدانها حرج ومشقة لا يبلغان مبلغ الفساد المتوقع في فقد الضروريات"⁽⁴⁾.

كما عرفها ابن عاشور بقوله: "ولنتقل إلى صنف الحاجي، وهو ما تحتاج الأمة إليه لاقتناء مصالحها وانتظام أمورها على وجه حسن، بحيث لولا مراعاته لما فسد النظام، ولكنه كان على حالة غير منتظمة فلذلك كان لا يبلغ مبلغ الضروري"⁽⁵⁾.

⁽¹⁾ الجمعة (10).

⁽²⁾ محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة، أبو عبد الله (البخاري)، (ت256هـ) (الأدب المفرد)، باب المال الصالح للمرء الصالح، برقم: 229، دار الصديق للنشر والتوزيع، ط4 (1418هـ - 1997)، ص: 127.

⁽³⁾ أبو الفدا إسماعيل بن عمر (ابن كثير) القرشي البصري، (ت774هـ)، (جامع المسانيد والسنن الهادي لأقوام السنن)، تح عبد الملك بن عبد الله الدهيس، دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، برقم: 8289، ج4، ص: 556.

⁽⁴⁾ الشاطبي، (الموافقات)، ج2، ص: 21، بتصرف.

⁽⁵⁾ محمد الطاهر بن عاشور، التونسي، (ت1393هـ)، (مقاصد الشريعة الإسلامية)، تح محمد الحبيب بن الخوجة، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية، قطر، (1425هـ - 2004م)، ج3، ص: 241.

وورد عن الإمام البوطي أنه قال: "وأما الحاجيات: فهي تلك التي قد تتحقق من دونها الأمور الخمسة، ولكن مع الضيق، فشرعت لتحسين أركانها أو لحاجة الناس إلى رفع الضيق عن أنفسهم كي لا يقعوا في حرج قد يفوت عليهم المطلوب"⁽¹⁾.

خلاصة الأقوال السابقة:

يبدو لنا من خلال التعريفات السابقة بأن ألفاظه مختلفة، ولكنها متفقة من حيث المعنى، وعلى هذا فإن اختلال الضروريات يؤثر على كل الناس، بخلاف اختلال الحاجيات ممكن يؤثر على بعض الناس، فإذا من ناحية الشمول والعموم فرق، ومن ناحية درجة التأثير، إذا اختلت الضروريات فإن الفساد أكبر بكثير، أولاً: سيكون الفساد شاملاً ومدمراً. ثانياً: سيعم جميع الناس، ويكون بدرجة أشد من فوات الحاجيات. ومما ينبغي الإشارة إليه هو الحاجيات تجري في العبادات والعادات والمعاملات والجنائيات على ما وجد في الضروريات من حفظ الكليات الخمس.

أمثلة عن المقاصد الحاجية:

1) فبالنسبة للعبادات، نجد الرخص والتخفيفات. يظهر ذلك في تشريع الرخص فقد شرع الفطر لمن كان مريضاً أو مسافراً قال تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾⁽²⁾ فرخص الله لهم الفطر رحمة بعباده. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إن الله تعالى وضع عن المسافر الصوم وشطر الصلاة، وعن الحامل أو المُرضع الصوم أو الصيام))⁽³⁾.

يفهم من سياق الحديث أن الله عز وجل لم يوجب الصوم أو الصيام على المسافر في حال سفره أو مرضه، بل يقضي الأيام التي أفطر فيها في أيام آخر، كما رخص له - المسافر - في الصلاة وأوجب عليه نصف الصلاة فقط، ووضع الصوم والصلاة عن الحامل والمرضع، ومنه فالمرأة تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة.

⁽¹⁾ محمد سعيد رمضان، البوطي، (ضوابط المصلحة في الشريعة الإسلامية). مؤسسة الرسالة، 1402 هـ - 1982 م)، ص: 111.

⁽²⁾ البقرة (184).

⁽³⁾ علي بن سلطان محمد القاري، (مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح)، سنة النشر: 1422 هـ / 2002 م، باب صوم المسافر، ج4، ص: 1400.

هذا من رحمة الله عز وجل بعباده، ومراعاة لحالاتهم، خوفاً من انقطاع العمل والتشاغل عن العبادة. (2) أما العادات: فقال عنها العز بن عبد السلام: "فالضروريات كالمأكل، والمشارب، والملابس، والمسكن، والمناكح، والمراكب الجوالب للأقوات وغيرها مما تمس إليها الضرورة، وأقل المجزئ من ذلك ضروري، وما كان في ذلك في أعلى المراتب كالمأكل الطيبات، والملابس الناعمة، والغرف العاليات، والقصور الواسعات، والمراكب النفيسات، ونكاح الحواريات والسرايري الفائقات، فهو من التتمات والتكمالات، وما توسط بينهما فهو من الحاجات" (1).

خلاصة لما سبق:

يفهم من كلام الشاطبي أن الحاجيات أقل من الضروريات، وعلى هذا الأساس فإنه قد يمكن الاستغناء عن الحاجيات لأنها من الكماليات والتتمات، ولا يمكن الاستغناء عن الضروريات، لأنها ضرورة لمطالبات الحياة، هذا أشار إليه الشاطبي في النص الذي قاله.

(3) أما في المعاملات: قال الشاطبي في كتابه: "ففي المعاملات نجد الكثير من أنواع العقود والتصرفات التي تقتضيها حاجات الناس، ولا يتوقف عليها حفظ النفس وغيرها من الضروريات كالبيع، والإيجارات، والقراض والمساقاة" (2).

نستنتج من كلام الشاطبي أن هذه العقود شرعت لاحتياج الناس إليها، فلو لم تشرع لم يلحق الضرر إلا بمن هو في حاجة إليها. وعلى هذا الأساس شرعت لتبادل المنافع بين الناس واحتياج بعضهم إلى بعض. فعلى سبيل المثال العامل يحتاج لصاحب المال لأخذ أجره عمله، وصاحب المال يحتاج للعامل لانتفاعه بما قام به العامل.

(1) عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام، (قواعد الأحكام في إصلاح الأنام)، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1 (1424هـ -

2003م)، ص: 341

(2) أبو إسحاق بن موسى بن محمد اللخمي (الشاطبي)، (الموافقات)، ج2، ص: 09. مصدر سابق.

4) الجنايات:

جاء في تفسير الرازي أنه قال: "ففي الجنايات نجد مثلاً الخيار بين القصاص والدية، فقد جعل الحق لولي المقتول عمداً في أن يعفو عن حقه في القود، فإذا حصل العفو للقاتل عن وجوب القصاص، فليتبع القاتل العافي بالمعروف وليؤد إليه ماله بإحسان، وبالإجماع لا يجب أداء غير الدية"⁽¹⁾

نستخلص من كلام الرازي أن لأهل المقتول الخيار بين القصاص وأخذ الدية، فقد جعل الحق لولي المقتول عمداً في أن يعفو عن حقه في أخذ القود، وأصل وجوب القود أو العفو قول الله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عَفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾⁽²⁾

ومنه فإنه يجب بالقتل العمد القصاص، وهو قتل القاتل. ولولي الدم أن يقتص، أو يأخذ الدية، أو يعفو وهو الأفضل إن تحققت به المصلحة، هذا ما جاء في سياق الآية التي قال تعالى فيها: ﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾⁽³⁾.

ثالثاً: المقاصد التحسينية:

تعريفها: قال الشاطبي: "هي الأخذ بما يليق من محاسن العادات وتجنب الأحوال المندسات التي تألفها العقول الراجحات ويجمع ذلك قسم مكارم الأخلاق"⁽⁴⁾.

وقال الرازي: "هي تقرير الناس على مكارم الأخلاق ومحاسن الشيم"⁽⁵⁾

خلاصة القولين: يظهر لنا من خلال التعريفين: أن التحسينات تقع في مرتبة الكمال للمرتبتين التي قبلها من الضروريات والحاجيات، فهي الأخذ بما يليق من المحاسن ومكارم الأخلاق، وهي تشمل: العبادات، العادات، المعاملات، الجنايات، العقوبات.

⁽¹⁾ ينظر: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي، الملقب بـ (فخر الدين الرازي) خطيب الري ت(606هـ)، (مفاتيح الغيب التفسير الكبير) دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1 (1426هـ-2005 م)، ج5، ص: 50.

⁽²⁾ البقرة (178).

⁽³⁾ البقرة (237).

⁽⁴⁾ ينظر: الشاطبي، (الموافقات)، ج2، ص: 12، مصدر سابق

⁽⁵⁾ ينظر: محمد سعد بن أحمد بن مسعود اليوبي، (مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة الشرعية)، دار الهجرة للنشر والتوزيع، م ع السعودية، ط1 (1418هـ-1998 م)، ص: 329.

ففي مجال العبادات: شرع الله عز وجل وجوب الطهارة كلها من النجاسات، وستر العورة، أخذ الزينة عند كل مسجد، والتقرب بنوافل الخيرات من الصدقات والقربات وغيرها.

وفي العادات قال الشاطبي: "الأخذ بآداب الأكل والشرب، ك: (التسمية في أوله، والأكل باليمين، وحمد الله بعد إتمام الأكل... إلخ)، وتجنب الإسراف، وترك المأكول والمشرب النجسة والخبثة".⁽¹⁾

وأما في مجال المعاملات: "كالامتناع من بيع النجاسات لأنه يستلزم مباشرتها ووزنها وكيلها ونحوه مما لا يليق، ويبيع فضل الماء لأنه مشعر بالبخل والأنانية وهما لا يليقان بالمسلم، وإنكاح المرأة نفسها، وعلى هذا يمكن القول: إن أصحاب العقول السليمة، والفطر المستقيمة مرفوض عندهم أن المرأة تزوج نفسها، المرأة لها ولي يحوطها، يحرسها، يسأل عن المتقدم والخاطب، عنده عقل يميز به مصلحتها، ينظر لها في أمرها، هذا أحسن لها ولا ما هو أحسن لها، ولذلك الولي عليه مسؤولية في الشرع".⁽²⁾

وأما فيما يخص الجنايات:

قال جمال الدين عطية: "وفي الجنايات كمنع قتل الحر بالعبد، أو قتل النساء والصبيان والرهبان في الجهاد"⁽³⁾، فهذه الأمور راجعة إلى محاسن زائدة على أصل المصالح الضرورية والحاجية، إذ ليس فقدانها بمحل بأمر ضروري ولا حاجي وإنما جرت مجرى التحسين والتزيين.

خلاصة الأقسام الثلاثة:

إن معرفة المراتب، وهذا التقسيم يفيدنا في فهم أيها يراعى أولاً؟ أيها يقدم عند التعارض؟ أيها تصرف له الجهود الأكثر في مراعاته وحفظه؟ أيها توجه له الاهتمامات الأكثر ويعتنى به أكثر؟ هذا إذن ما يظهره ترتيب هذه المقاصد. ومن هنا يمكن القول: إن الترجيح بين المصالح المتعارضة، يقدم الأهم ثم المهم، فتقدم المصالح الضرورية على الحاجية، والحاجية على التحسينية وهكذا.

⁽¹⁾ الشاطبي، (الموافقات)، ج2، ص: 23، بتصرف.

⁽²⁾ نفسه، ص: 23. بتصرف.

⁽³⁾ ينظر التفاصيل: جمال الدين عطية، (نحو تفعيل مقاصد التشريعية)، دار التنوير، الجزائر، ط2 (1425هـ-2004)، ص:

المطلب الثالث: طرق الكشف عن مقاصد الشرع (الأحكام الشرعية)

إن مما ينبغي توضيحه أن العلماء المسلمين اتفقوا على أن الأحكام الشرعية شرعت لتحقيق مقاصد سامية، سواء على مستوى الأفراد أو الجماعات، وعلى هذا ينبغي على المجتهد تحري هذه المقاصد في ممارسته الاجتهاد، على مقتضى ما يوافقها ويخدمها، لذلك فلا بد لنا من معرفة طرق الكشف عن هذه المقاصد:

أولاً: الاستقراء

لغة: مأخوذ من القرو، وهو القصد والتتبع، جاء في اللسان لابن منظور: "قرا إليه قرواً: قصد، والقرو: مصدر قولك: قروت إليهم أقرؤ قرواً، وهو القصد نحو الشيء. وقرا الأمر واقتراه: تتبعه، وقروت البلاد قرواً وقريتها قرياً واقتريتها واستقريتها؛ إذا تتبعتها تخرج من أرض إلى أرض، وقروت بني فلان واقتريتهم واستقريتهم: مررت به مواحداً واحداً، وهو من الاتباع"⁽¹⁾. ومنه نفهم أن الاستقراء هو التتبع والاستقراء والتقصي والبحث.

واصطلاحاً: عرفه سعيد العلوي بقوله: "الاستقراء هو أن نتصفح جزئيات كثيرة داخلية تحت معنى كلي، حتى إذا وجدت حكماً في تلك الجزئيات حكمت على ذلك الكلي به"⁽²⁾.

وعرفه سعد الدين العثماني: "الاستقراء هو صياغة قاعدة عامة من تتبع حالات جزئية كثيرة، أو تجميع أدلة جزئية متعددة لا يقوى أي منها وحده على إفادة القطع"⁽³⁾.

خلاصة لما سبق:

يتضح لنا من خلال التعريفين للاستقراء: أنه يعتمد على مبدأ اعتماد الكليات التشريعية، وتحكيمها في فهم النصوص الجزئية وتوجيهها، فهو نوع من رد المتشابهات إلى المحكمات، والفروع إلى الأصول.

(1) ينظر: ابن منظور، (لسان العرب)، مادة قرأ، ج 11، ص: 146. مصدر سابق.

(2) سعيد بن سعيد العلوي، (الاجتهاد والتعليل)، مقال بمجلة الاجتهاد، الصادرة: بيروت، العدد: 08، السنة: 2، ص: 91.

(3) حسين يوسف خريوش، (نظرات منهجية في علم أصول الفقه)، مقال بمجلة الفيصل السعودية، العدد: 123، ص: 27.

مثال: فقد قال: "والله - سبحانه - إنما حرم علينا الخبائث تنزيهاً لنا من المضار؛ وأباح لنا الطيبات كلّها لم يُحرم علينا شيئاً من الطيبات كما حرم على أهل الكتاب - بظلمهم - طيبات أُحِلَّت لهم؛ ومن استقرئ الشريعة في مواردها ومصادرها واشتمالها على مصالح العباد وفي المبدأ والمعاد، تبين له من ذلك ما يهديه الله إليه.

يفهم من القاعدة الأصولية: أن الأحكام التي ينشأ عن تطبيقها حرجٌ على المكلف، ومشقة في نفسه، أو ماله، فالشريعة هي التي تخفّف في تلك الأحكام. مثال حول القاعدة الأصولية: المشقة تجلب التيسير.

مثل: المرض، ومن تيسيراته سقوط بعض الفرائض كسقوط الوضوء عند الخوف على النفس أو على العضو أو الخوف من زيادة المرض وسقوط القيام وجواز الصلاة قاعداً، أو مضطجعاً وغير ذلك من رخص المرض.

دليلنا في ذلك قول الله عز وجل: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾⁽¹⁾، وقوله: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ﴾⁽²⁾، وقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾⁽³⁾.

فالآية بيّنت لنا أنّ ديننا دينُ اليسر والسهولة، دين السّماحة والتخفيف. ليس دين التكلف والمشقة، حتى لا يكون ملل ولا سأم، فهذا يعد من مقاصد الشريعة وقد سبق ذكر هذا في أقسام المقاصد، ومما يزيدنا فهما عن الآيات، السياق في الأحاديث المبينة للآيات السالفة الذكر، فمن بينها: عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا))⁽⁴⁾.

وعن عائشة (رضي الله عنها): ((ما خيّر النبي صلى الله عليه وسلم بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يَأْثِم، فإذا كان الإثم كان أبعدهما منه))⁽⁵⁾.

(1) البقرة (185).

(2) النساء (28).

(3) الحج (78).

(4) أحمد بن علي (ابن حجر العسقلاني)، (فتح الباري شرح صحيح البخاري)، باب ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا، دار الريان للتراث، سنة النشر (1407هـ - 1986م)، ج1، ص: 197.

(5) ابن حجر العسقلاني، (فتح الباري شرح صحيح البخاري)، باب إقامة الحدود والانتقام لحرمات الله، ج12، ص: 88.

خلاصة القول:

إن للاستقراء أهمية كبرى في مناهج البحوث العلمية حيث يتوقف عليه تأليف القواعد العلمية العامة، والتوصل إليها. فعالم اللغة العربية مثلاً يستطيع أن يعطي قواعد عامة في اللغة العربية ما لم يستقري، ويدرس مختلف المفردات والجمل في شتى استعمالات العرب اللفظية.

وعلى هذا يمكن القول: إن الاستقراء هو الذي يزودنا بالقواعد العامة التي نستعملها في التطبيقات العلمية عن طريق القياس لمعرفة أحكام الجزئيات، وذلك وفق الخطوات التالية: 1_ تعيين المطلوب 2- دراسة الجزئيات 3- استخراج النتيجة 4- وأخيراً وضع القاعدة العامة

ثانياً: معرفة علل الأمر والنهي

أشرنا فيما سبق إلى الاستقراء: هو تتبع نصوص الشريعة وتتبّع علل أحكامها، فمن خلال استقراءنا للنصوص تبين لنا أن هذا- معرفة علل الأمر والنهي - له علاقة بالاستقراء.

إلا أن الثاني كما قال صاحب مقاصد الشريعة: "معرفة علل الأمر والنهي يتمثل في كيفية التعرف على علل الأمر والنهي، أو الطرق التي تعرف بها العلة"⁽¹⁾.

1) النص الصريح المعلل (القرآن، الحديث)

- أ- وهي النصوص الواضحة الدلالة المعللة التي يضعف أن يكون المراد منها غير ما هو ظاهرها، مثل قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾⁽²⁾، وكتب بمعنى أوجب، أو فرض، والمقصود من الآية: التقوى ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.
- ب- ومن السنة: قوله صلى الله عليه وسلم للمغيرة: ((انظر إليها، فإنه أحرى أن يؤدّم بينكما))⁽³⁾

⁽¹⁾ ينظر: محمد سعد بن أحمد بن مسعود اليوبي، (مقاصد الشريعة، وعلاقتها بالأدلة الشرعية)، دار المحجة للنشر والتوزيع، ط1 (1418هـ-1998م)، م ع السعودية، ص: 129. بتصرف.

⁽²⁾ البقرة (183).

⁽³⁾ أخرجه الترمذي في كتاب النكاح (باب ما جاء في النظر إلى المخطوبة)، ج3، ص: 388 رقم: 1087.

يفهم من سياق الحديث أن نظر الرجل لمخطوبته يحقق مقاصد الزواج، التي منها: الاستمرار والألفة، والسكون... وغيرها. هذا ما سنبينه في الدراسة التطبيقية

3 الإجماع: لغة: "مصدر الفعل الرباعي أَجْمَعَ، وله معنيان، أحدهما:

- أ) العزم على الأمر والإحكام عليه، تقول: أجمعتُ الخروجَ، وأجمعتُ عليه، إذا عزمته عليه⁽¹⁾، ومنه قوله تعالى: ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ﴾⁽²⁾، وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((مَنْ لَمْ يُجْمِعِ الصِّيَامَ قَبْلَ الْفَجْرِ، فَلَا صِيَامَ لَهُ))⁽³⁾، أي: من لم يعزم عليه فينويه.
- ب) قال الفيروز آبادي في تعريفه للاتفاق: "ومنه قولهم: أجمع القوم على كذا، أي: اتفقوا عليه"⁽⁴⁾.

من خلال التعريفين نستنتج أن: الفرق بين المعنيين هو أن الإجماع بالمعنى الأول يتصور من الواحد، وبالمعنى الثاني لا يتصور إلا من اثنين فأكثر.

واصطلاحاً: عرفه صاحب الكليات بقوله: "يُطلق على اتفاق المجتهدين من أمة محمد بعد زمانه في عصر على حكم شرعي ومن عمم اقتصر على حكم، والإجماع: اتفاق جميع العلماء، والاتفاق: اتفاق معظمهم وأكثرهم"⁽⁵⁾.

(1) ابن منظور، لسان العرب، مادة جمع، ج 8، ص: 58، مصدر سابق.

(2) يونس (71).

(3) سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم (الطبراني)، (ت 360هـ)، (المعجم الكبير)، تح حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار الصميمي الرياض، ط2 (1415هـ-1994م)، ج 23، ص: 196.

(4) مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، (ت 817هـ)، (القاموس المحيط) تح التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف محمد نعيم العرقشوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط8 (1426 هـ - 2005 م)، ص: 701.

(5) أبو البقاء الحنفي أيوب بن موسى الحسيني القرعبي (الكفوي)، (ت 1094هـ)، (الكليات) معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تح عدنان درويش - محمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت، ص: 42.

خلاصة القول:

يعتبر الإجماع مصدراً من مصادر التشريع يؤخذ به وفق شروطه المطلوبة، فإنه حجة بإجماع المسلمين، ولم يخلف في ذلك أحد، ومن شذ يحفظ ولا يقاس عليه. تمثل لذلك ما ورد في الأثر: (أمتي لا تجتمع على ضلال). ومما رد عن ابن تيمية أنه قال: "إجماع هذه الأمة حجة، لأن الله تعالى أخبر أنهم يأمرون بكل معروف وينهون عن كل منكر، فلو اتفقوا على إباحة محرم أو إسقاط واجب، أو تحريم حلال أو إخبار عن الله تعالى، أو خلقه بباطل: لكانوا متصفين بالأمر بمنكر والنهي عن معروف" (1).

مثال على الإجماع: إذا نظرنا إلى الأمثلة المعاصرة نجدها كثيرة ومتعددة، منها: إجماع علماء المسلمين على حرمة تمثيل النبي صلى الله عليه وسلم وسائر أنبياء الله ورسله صلوات الله وسلامه عليهم في الأفلام والمسلسلات، والرسومات الكاريكاتورية وغيرها.

4 الإيماء

وهو لغة: "الإشارة" (2).

وقال ابن فارس في كتابه: "أن العرب تشير إلى المعنى إشارةً وتوميءُ إيماءً دون التصريح، فيقول القائل: لو أنَّ لي من يقبلُ مشورتي لأشَرْتُ وإنما يحث السامع على قبول المشورة" (3).

فالإيماء إذن ليس فيه لفظاً صريحاً، وإنما يفهم من خلال الإشارة والتلميح.

(1) تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني (ابن تيمية)، (مجموع الفتاوى)، (ت 728هـ)، تح عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: (1416هـ-1995م)، ج 28، ص: 125.

(2) ينظر: ابن منظور (لسان العرب)، مادة (ومي)، ج 15، ص: 415. مصدر سابق.

(3) ينظر: أحمد بن فارس، (الصاحبي في فقه اللغة وستن العرب في كلامها)، تح عمر فاروق الطباع، مكتبة المعارف، ط 1 (1993م)، بيروت، لبنان. ص: 246.

واصطلاحاً: عرّفها ابن مسعود اليوبي بقوله: "هو اقتران وصف بحكم لو لم يكن هو أو نظيره للتعليل لكان الكلام بعيداً من فصاحة كلام الشارع، وكان الإتيان بالألفاظ في غير موضعها، مع كون كلام الشارع منزهاً عن الحشو الذي لا فائدة فيه"⁽¹⁾.

خلاصة: نلاحظ من خلال التعريفين اللغوي الاصطلاحي، أن الأصوليين، اعتمدوا على السياق في بيان دلالة الإيماء والكشف عنها، إلا أنهم تفاوتوا في عدد أنواع وصور الإيماء، وذلك بحسب التبائن في الإدراك والأفهام، ومدى مراعاة القرائن في السياق، سنبين هذا من خلال بعض الأمثلة التالية:

1) ترتيب الحكم على الوصف بالفاء، كقوله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾⁽²⁾، يفهم من الآية أن إثبات قطع يد السارق معلن بالسرقة. وقوله: ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾⁽³⁾، وعليه ندرك أن جواز التيمم سببه فقد الماء، فكل ذلك تنبيه وإيماء على إضافة الأحكام إلى أسبابها.

2) ترتيب الحكم على واقعة حدثت، وذلك كأن تحدث واقعة فترفع لإلى النبي صلى الله عليه وسلم، فإن هذا الترتيب يومئ إلى أن ما حدث هو العلة في الحكم، ومثاله ما ورد في حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: أتى النبي صلى الله عليه وسلم رجل، فقال: هَلَكْتُ، قَالَ: ((وَلَمْ؟)) قَالَ: وَقَعْتُ عَلَى أَهْلِي فِي رَمَضَانَ، قَالَ: ((فَأَعْتَقْ رَقَبَةً)) قَالَ: لَيْسَ عِنْدِي، قَالَ: ((فَصُمْ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ)) قَالَ: لَا أَسْتَطِيعُ، قَالَ: ((فَأَطْعِمْ سِتِّينَ مِسْكِينًا)) قَالَ: لَا أَجِدُ، فَأُتِيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِعَرَقٍ فِيهِ تَمْرٌ، فَقَالَ: ((أَيْنَ السَّائِلُ؟)) قَالَ: هَا أَنَا ذَا، قَالَ: ((تَصَدَّقْ بِهَذَا)) قَالَ: عَلَى أَحْوَجَ مِنَّا يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَوَ الَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، مَا بَيْنَ لَابَتَيْهَا أَهْلُ بَيْتِ أَحْوَجَ مِنَّا، فَضَحِكَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى بَدَتْ أَنْيَابُهُ، قَالَ: ((فَأَنْتُمْ إِذَا))⁽⁴⁾.

فصدور هذا الحكم من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عقب حكاية الرجل، يومئ (يشير) إلى أن الجَماعَ في نهار رمضان هو العلة في العتق.

(1) ينظر: محمد سعد بن أحمد بن مسعود اليوبي، (مقاصد الشريعة، وعلاقتها بالأدلة الشرعية)، ص: 136. مرجع سابق.

(2) المائدة (38).

(3) النساء (43).

(4) أخرجه البخاري في صحيحه، (كتاب النفقات)، باب نفقة المعسر على أهله، برقم: 5368 ج9، ص: 513.

ومن أمثلة النهي عن فعل يكون مانعا لما تقدّم وجوبه علينا، كالنهي عن البيع وقت صلاة الجمعة يفهم من سياق الآية التي يقول فيها المولى تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكَُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾⁽¹⁾، ففي الآية تنبيه على أن المقصد من النهي عن البيع وقت النداء للجمعة هو أداء صلاة الجمعة على تمامها. يقول صاحب المحصول: "فسيقت هذه الآية لبيان حكم من أحكام يوم الجمعة وهو وجوب السعي إلى الصلاة. ولم يكن سياقها لبيان أحكام البيع وذكر البيع، لأن ذكر البيع والأمر بتركه في سياق بيان حكم السعي إلى الجمعة، لو لم يقدر كونه علة مانعة للسعي عن أداء الواجب وهو الصلاة، لَمَا كَانَ تَعْلُقُ بِالْمَعْنَى الَّذِي سَيَقُ الْكَلَامُ لَهُ"⁽²⁾.

خلاصة القول:

تبين لنا مما سبق أن لاكتشاف مقاصد الشريعة طرائق متعددة للوصول إلى معرفة أسرار الأحكام الشرعية، كالاستقراء، والنص الصريح، والإجماع والإشارة... إلخ. وهذه من نعم الله عز وجل على المسلمين، إذ يسر لهم الوصول إلى بعض حكمه البالغة والكشف عن بعض أسرار أحكامه الباهرة، وهو مطلب عسير في الشرائع السابقة، إذ غالبها أوامر صارمة ونواهٍ جازمة.

⁽¹⁾ الجمعة (09).

⁽²⁾ ينظر: فخر الدين الرازي، (المحصول في علم أصول الفقه)، تحطه فياض جابر العلواني، ط1 (1981م)، جامعة ابن السعود الإسلامية، ج2، ص: 213.

الفصل الثاني

أصول النظرية السياقية بين التراث العربي والفكر الغربي

المبحث الأول: مفهوم السياق وأصوله في التراث العربي

المبحث الثاني: السياق القرآني مفهومه وأنواعه

المبحث الثالث: سياق التنزيل

المبحث الرابع: نظرية السياق في الفكر اللغوي الحديث (عند الغربيين).

المبحث الأول: مفهوم السياق وأصوله في التراث العربي

قبل معرفة مدلول السياق لابد من الإشارة إلى أن السياق له مرادفات مثل المقام والحال والموقف والمقتضى والنظم وغيرها. سيأتي هذا في أصول النظرية السياقية في التراث العربي

المطلب الأول: المفهوم اللغوي للسياق.

ينظر إلى كلمة السياق على أنها مأخوذة من الجذر اللغوي (س وق)، والسَّوق، والسيّاق: مصدران من ساق يسوق سياقا وأصله السواق قلبت الواو ياءً لمناسبة الكسرة ولتحديد معنى السياق لابد لنا من الرجوع إلى أمهات الكتب والمعاجم:

1) تهذيب اللغة للأزهري:

ففي مادة (س وق): نقلا "عن ابن شُمَيْل قال: رأيت فلانا في السَّوق، أي في الموت، يساق سوقا، وإنّ نفسه لتساق، وساق من امرأته، أي أعطاه مهرها، وساق مهرها سياقا والسيّاق المهر [...]. وعن أبي عبيد: سقت الإنسان أسوقه سوقا، إذا أصبت ساقه، وتساقوت الإبل تساقوا إذا تتابعت، وكذلك تقاودت فهي متقاودة ومتساوقة، والسويق معروف"⁽¹⁾. فالسياق معناه التابع.

2) معجم مقاييس اللغة لابن فارس:

ومما قاله ابن فارس: "السين والواو والقاف أصل، وهو حدود الشيء يقال: ساق يسوق، والسيّقة ما سيق من الدواب، ويقال سقت امرأتي أي أعطيتها صداقها، وأسقته، والسوق مشتقة من هذا كما يساق إليها، مذكر شيء والجمع أسواق، وساق للإنسان وغيره، والجمع سوق، وإنما سميت بذلك لأن الماشي يساق عليها"⁽²⁾.

⁽¹⁾ ينظر: أبو منصور محمد بن أحمد، (الأزهري) (تهذيب اللغة)، تح عبد السلام هارون، دار المصرية، السنة (1384هـ - 1964م)، ج9، ص: 232-234.

⁽²⁾ أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، (معجم مقاييس اللغة)، تح محمد عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر، مادة (س وق)، ج3، ص: 117.

3) أساس البلاغة لزمخشري:

وورد في أساس البلاغة ما يفوق الخمس عشرة مرة معاني هذه المادة (س و ق)، إذ يقول فيها: "ساق النعم، فانسأقت، وقدم عليك بنو فلان فأقدتهم خيلاً واستقتهم إبلاً، ومن المجاز ساق الله إليك خيراً، وساق إليها المهر، وسأقت الريح السحاب [...] وتسأقت الإبل: تتابعت وهو يسوق الحديث أحسن سياق، وإليك يساق الحديث، وهذا الكلام مساقه إلى كذا، وجئت بالحديث على سوقه: على سرده"⁽¹⁾

4) لسان العرب لابن منظور:

جاء في لسان العرب لابن منظور أنه قال: "وقد انسأقت وتسأقت الإبل تسأوقاً إذا تتابعت، وكذلك تقاودت فهي متقاودة ومتسأوقة. وفي حديث أم معبد: فجاء زوجها يسوق أعنّاً، ما تسأوق أي ما تتابع، والمساوقة: المتابعة، كأنّ بعضها يسوق بعضها، والأصل في تسأوق تتسأوق كأنّها لضعفها وفرط هزلها تتخاذل ويتخلف بعضها عن بعض، وساق إليها الصّدّاق والمهر سياقاً وأساقه، وإن كان دراهمً والدنانير، لأنّ أصل الصّدّاق عند العرب الإبل، وهي التي تساق، فاستعمل ذلك في الدّراهم والدّنانير وغيرهما. وساق فلان من امرأته أي أعطاه مهرها، والسّيّاق: المهر"⁽²⁾

كما وردت كلمة السياق في قوله تعالى: ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾⁽³⁾، جاء في التفسير: سائقٌ، ملكٌ يسوقها إلى محشرها، وأساقها وأساقها فانسأقت، وأنشد ثعلب:

لَوْلَا فُرَيْشُ هَلَكْتُ مَعَدُّ
وَاسْتَأَقَ مَالُ الْأَضْعَفِ الْأَشَدُّ⁽⁴⁾

وسوّقها كساقها، قال امرؤ القيس:

⁽¹⁾ أبو القاسم جار الله محمود بن عمر بن أحمد (الزمخشري)، (أساس البلاغة)، تح محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، ط1، السنة: 1419هـ، 1998م، ج1، ص: 484.

⁽²⁾ أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري (ابن منظور)، (لسان العرب)، دار صادر - بيروت - د ط، دس، دار صادر - بيروت - لبنان، السنة: (1300هـ)، ج10، ص: 166.

⁽³⁾ ق (12).

⁽⁴⁾ محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل، جمال الدين (ابن منظور)، (لسان العرب)، ج10، ص: 166.

لَنَا غَنَمٌ نَسُوقُهَا غِرَارًا كَأَنَّ قُرُونًا مَنَابِتَهَا الْعِصَى⁽¹⁾

وقد انساقت وتساوقت الإبل تساقًا، إذا تتابعت وكذلك تفاودت فهي متفاودة ومتساوقة. وفي حديث أمّ معبد: " وجاء زوجها يسوق أعزنا⁽²⁾، ما تساق أي ما تتابع. والمساوقة للمتابعة كأن بعضها يسوق بعضا، والأصل في تَسَاوَقٍ، كأنها لضعفها وفرط هزالها تتخاذل، ويتخلف بعضها عن بعض.

وفي الصحاح ويقال: "وَلَدَتْ فَلَانَةُ ثَلَاثَةَ بَنِينَ عَلَى سَاقٍ وَاحِدٍ، أي بعضهم على إثر بعض، ليست بينهم جارية. وساق الماشية يَسُوقُهَا سَوَاقًا وَسِيقًا، فهو سَائِقٌ وَسَوَاقٌ، شَدَدٌ لِلْمَبَالِغَةِ.

قال الراجز:

قَدْ لَفَّهَا اللَّيْلُ بِسَوَاقٍ حُطَمَ لَيْسَ بِرَاعِيٍ إِبِلٍ وَلَا غَنَمٍ⁽³⁾

واستاقها فأنسقت. وسُقْتُ إلى امرأتي صَدَاقَهَا... وَالسَّيِّقَةُ: ما استاقه العدو من الدواب، مثل الوَسِيْقَةِ. قال أبو زيد: السَّيِّقُ من السحاب: الذي تسوقه الرِّيح وليس فيه ماء. ويقال: أَسَقْتُكَ إِبِلًا، أي أعطيتك إِبِلًا تَسُوقُهَا. والسَّيِّاقُ: نَزْعُ الرُّوح. يقال: رأيت فلانًا يَسُوقُ، أي يَنْزِعُ عند الموت.⁽⁴⁾

خلاصة القول:

تبين لنا من خلال استطلاعنا وقراءتنا في المعاجم السالفة الذكر أن مفردة السياق تحمل عدة معانٍ لغوية منها: التتابع، وحدو الشيء، والحق، والسرد، والانقياد، وجلب الشيء، وبهذا يتضح أن السياق يدور حول معنى التتابع والاتصال، فسياق الكلام تتابعه وأسلوبه الذي يجري عليه، واتصال

(1) ابن منظور، (لسان العرب)، ج10، ص: 166. مصدر سابق.

(2) الإمام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الحوارة الدمشقي (ابن القيم)، (ت571هـ)، (زاد المعاد في هدي خير العباد)، تح مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتاب العلمية، ص: 322.

(3) يوسف بن أبي سعيد الحسن بن عبد الله (ت3085هـ)، شرح أبيات سيويه، تح محمد علي الريح هاشم، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة مصر، (1394هـ - 1974م)، ج2، ص: 353.

(4) أبو نصر إسماعيل بن حماد (الجوهري) الفارابي، (ت393هـ)، تح أحمد عبد الغفور، دار القلم للملايين، بيروت، ط4 (1407هـ - 1987م)، ج4، ص: 99.

بعضه ببعض، فالعرب تهتم بالسياق، ويظهر لنا أن كل مشتقاته تدور في فلك هذا المعنى، وذلك حسب المقام الذي يكون فيه.

كما يظهر لنا عند تتبعنا للآيات القرآنية أن هذه اللفظة وردت باستعمالات متعددة في الخطاب القرآني منها:

قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقْلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾⁽¹⁾.

يقول الشنقيطي في كتابه أضواء البيان، مبيِّنًا معنى الآية: "أنَّ الله يحمل السحاب على الرِّيح، ثم يسوقه إلى حيث يشاء من بقاع الأرض، وأوضح هذا المعنى بآيات كثيرة، كقوله تعالى: ﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾⁽²⁾"⁽³⁾.

جاء في سياق هذه قوله تعالى: ﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَرِثًا﴾⁽⁴⁾.

جاء في تفسير الشيخ الطاهر بن عاشور: "السَّوقُ: تسيير الأنعام قدام رعاتها، يجعلونها أمامهم لترهب زجرهم وسياطهم فلا تتفلَّت عليهم. فالسَّوقُ: سير خوف وحذر"⁽⁵⁾، وقال في السياق: "مختلف المحامل التي تسمح بها كلمات القرآن وتراكيبه، وإعرابه ودلالته، من اشتراك، وحقيقة، ومجاز، وصريح، وكناية، وبديع، ووصل، ووقف. إذا لم تفض إلى خلاف المقصود من السياق، يجب حمل الكلام على جميعها"⁽⁶⁾.

يتبين لنا من كلام ابن عاشور أنه من المؤكد وجوب حمل الكلام على جميع المحامل، ومراعاة كل الأوجه، على ألا تخالف المقصود من السياق. حتى وإن وُجد هناك عارض للسياق فلا يُعتدُّ به.

(1) الأعراف (56).

(2) الشنقيطي، (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن)، ج 2، ص: 380-381. مرجع سابق.

(3) الأنفال (06).

(4) مريم (86).

(5) محمد الطاهر بن عاشور، (تفسير التحرير والتنوير)، ج 16، ص: 168. مرجع سابق.

(6) نفسه، ج 1، ص: 97.

وجاء قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرْزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾. (1)

وقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾. (2)

وقوله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾. (3)

وقوله تعالى: ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾. (4)

المطلب الثاني: السياق في الاصطلاح

رغم الاهتمام الشديد والأكبر لعلمائنا القدماء بالسياق وضرورته الملحة في الكشف عن دلالات الخطاب بشكل عام، والخطاب القرآني بصفة خاصة، إلا أنهم لم يتطرقوا إلى تعريفه تعريفا جازما.

يرى الباحث: عبد الرحمن المطيري أن السبب في عدم وضع المتقدمين تعريفا للسياق هو أن: "من أعضل المشكلات توضيح الواضحات، فتوضيح الواضح يزيده غموضا...، فهو يدور على معنى التابع والانتظام والاتصال، فعندما تضاف هذه الكلمة إلى الكلام يكون المعنى: تتابع الكلام وانتظامه واتصاله لأداء المعنى المراد، وهذا واضح لا يحتاج إلى توضيح" (5).

يقول صاحب البحث الدلالي عند الأصوليين: "قد يشيع المصطلح العلمي بين الدارسين إلى درجة الابتذال فيتوهم البعض أن المصطلح واضح مفهوم، فإذا ما حاولوا تحديد المعنى الذي ظنوا أنهم يفهمونه بدا الأمر عسير غاية العسرة، وغامضا أشد الغموض، ومن، ومن تلك المصطلحات اللغوية

(1) السجدة (27).

(2) فاطر (09).

(3) الزمر (73).

(4) ق (21).

(5) عبد الرحمن عبد الله سرور جرمان (المطيري)، (السياق القرآني وأثره في التفسير دراسة نظرية وتطبيقية من خلال تفسير ابن كثير)، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن، إشراف الدكتور خالد بن عبد الله القرشي، (1429هـ - 2008م)، ص: 72.

الشائعة الاستعمال، العvisة على التحديد الدقيق بشكل متفق عليه بين الدارسين مصطلح الكلمة، ومصطلح الجملة، ومصطلح السياق⁽¹⁾.

كما عرفه محمود السعمران بقوله: "إن سياق الحال والمآجرة هو جملة العناصر المكونة للموقف الطلامي أو الحال الكلامية"⁽²⁾.

قال صاحب (المعجم الوسيط): "سياق الكلام تتابعه وأسلوبه الذي يجري عليه"⁽³⁾.

أما عبده الراجحي فذهب إلى أنه: "مجموع الظروف التي تحيط بالكلام"⁽⁴⁾.

وعرفه العطار في حاشيته على جمع الجوامع قائلاً: "السياق ما سبق الكلام لأجله"⁽⁵⁾.

وهذا ابن دقيق العيد يقول: "أما السياق والقرائن فإنها الدالة على مراد المتكلم من كلامه"⁽⁶⁾. فالسياق في نظره يرجع إلى مراد المتكلم، وهو الغرض والمقصود.

خلاصة القول:

من خلال بحثنا وقراءتنا في الأقوال والتعاريف السالفة الذكر تبين لنا أن صاحب دلالة السياق وأثرها في توجيه التشابه اللفظي قد جاء بتعريف شامل مانع ملم حيث جمع فيه بين الأقوال وذلك حينما قال: "وبعد هذا البيان فإننا نخلص إلى تعريف للسياق، وهو أنه: الغرض الذي تتابع الكلام لأجله، مدلولاً عليه بلفظ المتكلم، أو حاله، أو أحوال الكلام، أو المتكلم فيه، أو السامع"⁽⁷⁾.

(1) د. محمد يوسف حبلى، البحث الدلالي عند الأصوليين، ص: 28.

(2) فوزي عيسى، رانيا فوزي، (علم الدلالة النظرية والتطبيق)، دار المعرفة الجامعية ط1، ص: 111.

(3) مجمع اللغة العربية، (المعجم الوسيط)، مادة (س وق)، مكتبة الشروق الدولية، ط4، (1425هـ، 2004م)، ص: 465.

(4) عبد النعيم خليل، (نظرية السياق بين القدماء والمحدثين)، ط12007، ص: 8.

(5) حسن العطار، (حاشية العطار على جمع الجوامع): دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ج1، ص: 320.

(6) حسن محمد بن محمود، العطار الشافعي، (ت 1250هـ)، (حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع)، دار الكتب العلمية، د ت، ج1، ص: 320.

(7) فهد بن شتوي بن عبد المعين الشتوي، (دلالة السياق وأثرها في توجيه التشابه اللفظي)، رسالة ماجستير، السنة: (1426هـ - 2005م)، إشراف د: محمد بن عمر بازمول، جامعة أم القرى، ص: 27.

أما الزركشي فقال عن السياق: "ليكن محط نظر المفسر مراعاة نظم كلامه الذي سيق له، وإن خالف أصل الوضع اللغوي لثبوت التجوز"⁽¹⁾، ولهذا ترى صاحب الكشف يجعل الذي سيق له الكلام معتمداً، حتى كأنه غير مطروح.

وقال السيوطي في الإتقان: "وعليه - المفسر - بمراعاة المعنى الحقيقي والمجازي، ومراعاة تأليف والغرض الذي سيق له الكلام"⁽²⁾.

وذهب تمام حسان تأكيداً للمعاني اللغوية التي تدل على التتابع أو الإيراد: "المقصود بالسياق، التوالي، ومن ثم ينظر إليه من ناحيتين، أولاهما: توالي العناصر ليتحقق التركيب والسبك. من هذه الزاوية يسمى بـ: (سياق النص)، والثانية: توالي الأحداث التي صاحبت الأداء اللغوي وكانت ذات علاقة بالاتصال ومن هذه الناحية يسمى السياق الموقف"⁽³⁾.

خلاصة القول:

إن ما يمكن استخلاصه من التعاريف السابقة: أن السياق هو: انتظام الكلام، وذلك بتوالي مفرداته، وتتابع ألفاظه، وحسن سبكه، باستعمال القرائن الدالة على مراد المتكلم، وباستعمال الكلمات التي تدل على المعنى.

المطلب الثالث: النظرية السياقية وأصولها في التراث العربي

أولاً: السياق عند علماء اللغة

لقد كان شرف السبق للعلماء العرب، حيث كانوا على وعي بمفهوم السياق، وهم أقدم من علماء اللغة المحدثين بتأصيل نظرية السياق، وإن لم تكن نظرهم متكاملة فقد أولوه عناية كبيرة بنوعيه اللغوي، وغير اللغوي، فهناك تعريف شامل للسياق ذكره محمد أحمد أبو الفرج، حيث قال: "هو ما

⁽¹⁾ الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله بن عبد الله (الزركشي)، (البرهان في علوم القرآن)، تح أبو الفضل إبراهيم، مكتبة التراث القاهرة، ج1، ص: 17.

⁽²⁾ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (السيوطي)، (الإتقان في علوم القرآن)، دار الكتاب العربي، (1419هـ - 1999م)، ج2، ص: 463.

⁽³⁾ تمام حسان: (قربنة السياق)، بحث قدم في الكتاب التذكاري للاحتفال بالعيد السنوي للكلية دار العلوم، "مطبعة عبير الكتاب، القاهرة، د ط، 1993، ص: 375.

يصاحب اللفظ مما يساعد على توضيح المعنى، وقد يكون التوضيح بما ترد فيه اللفظة من الاستعمال، وقد يكون ما يصاحب اللفظ من غير الكلام مفسراً للكلام⁽¹⁾.

يظهر لنا مما قاله أبو الفرج السياق هو: وضوح الكلام لدى السامع دون لبس أو غموض، بقصد وصول الفكرة، وذلك باستعمال الفاظ بسيطة ومفيدة وغير معقدة.

ثانياً: السياق عند اللغويين والنحويين:

لقد اعتنى اللغويون بالسياق واهتموا به أشد اهتمام حيث أولوه عناية كبيرة، وحينما نقرأ عنهم نجد أنهم تكلموا فيه منذ ظهور جمع اللغة والتععيد لها، فأبو عمر بن العلاء يوضح لنا ذلك عندما وجه له السؤال: "أكانت العرب تطيل؟ قال نعم لتبلغ، ثم قيل له: أفكانت توجز؟ قال نعم ليحفظ عنها"⁽²⁾.

ومنه ندرك أن العرب كانوا إذا تكلموا بالسياق الذي يتحدثون فيه، فكانت تطيل في التبليغ وإيصال الرسالة لتعميم الحديث، وكانت توجز لتسهيل الحفظ على المتلقي (السامع).

فهذا الخليل يظهر لنا اهتمامه بالعلاقة بين المتكلم والمخاطب، وذلك عند الحديث عن أن (قد)، جواب لمن قال: لما يفعل، فتقول في الجواب: قد فعل، وزعم الخليل أن هذا الكلام لقوم ينتظرون الخبر، فقال: "إن العرب قد تترك في مثل هذا الخبر الجواب في كلامهم، لعلمهم المخبر لأي شيء وضع هذا الكلام"⁽³⁾.

خلاصة لما سبق من الأقوال:

نلاحظ من خلال الكلام السابق أن الخليل اعتمد اعتماداً واضحاً على السياق اللغوي وغير اللغوي في تعييده النحوي لبيان مبنى التراكيب ودلالاتها. وإذا كان الخليل - في هذه الفترة المبكرة من التععيد النحوي - قد استخدم السياق بشقيه في بيان دلالة التراكيب على هذا النحو العلمي المبره، فمن الطبيعي أن يستفيد النحاة من بعده بهذه النظرات الثاقبة، ويبدو هذا واضحاً عند سيبويه.

(1) - أبو الفرج، (المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث)، ص: 116.

(2) محمد أحمد خضير، (التركيب والدلالة والسياق)، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، القاهرة، د ط، 2008، ص: 144.

(3) عمرو بن عثمان بن قنبر (سيبويه)، (الكتاب)، تح الأستاذ عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، بيروت ط 1، د ت ج، 3، ص: 103.

كما نجد سيبويه قد أعطى أهمية كبيرة للسياق بنوعيه اللغوي وغير اللغوي، من خلال بيان ما للسياق من أثر في مباني التركيب من حيث الذكر والحذف، أو التقديم والتأخير، والتوجيه النحوي، والحكم بصحة التركيب، فقد اعتمد سيبويه على الحذف والتقديم والتأخير بكثرة، وذلك جلي من خلال محاولاته الظاهرة في كتابه تحت عنوان (كتاب سيبويه) ومن الأمثلة التي تدل على استعانتة بالسياق اللغوي في بيان أحد العناصر المحذوفة في التركيب، والاستغناء عن تكرار كل في قول الشاعر:

أَكُلْ أَمْرِي تَحْسِبِينَ أَمْرًا وَنَارِ ثَوْقُدُ بِاللَّيْلِ نَارًا⁽¹⁾

بحر (نار) والتقدير (وكل نار) وذلك لذكره إياه في أول الكلام والتباسه على المخاطب⁽²⁾.

ورد في قول ابن جني: "قد حذفت العرب جملة والمفرد والحرف والحركة، وليس شيء من ذلك إلا عن دليل عليه، وإلا كان فيه ضرب من تكليف علم الغيب في معرفته"⁽³⁾، فالملاحظ في هذا الكلام أن العرب إذا حذفت أحد عناصر الجملة أو الجملة كاملة، وتركت قرينته، أو دليلا يدل على ذلك الحذف، فالحذف إما أن يكون لقرينة من سياق النص أو الموقف، ويتجلى ذلك في قول الله تعالى: ﴿وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾⁽⁴⁾، كما يمكن أن يقال: والحافظات فروجهن والذاكرات الله كثيرا، إلا أنه حذف ﴿فروجهن﴾ وتفاذى تكرار ﴿الله كثيرا﴾ لأن الآية تحمل المعنى المحذوف.

كما يأتي الحذف إذا وقع الكلام جوابا عن سؤال كقول الله تعالى: ﴿وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾⁽⁵⁾، أي أن الآية: خالق السماوات والأرض، حذفت هذه الجملة لدلالة السياق عليها، فالسياق هو الذي يوضح المعنى المقصود من النص القرآني.

(1) أبو عبد الله الحسين بن علي بن طلحة (الجزجاني)، (ت 899هـ)، (رفع النقاب عن تهذيب السهاب)، تح أحمد بن محمد السراج، عبد الله الجبراني، مكتبة الرشاد للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، (1425هـ - 2004م)، ج1، ص414.

(2) سيبويه، (الكتاب)، ج1، ص: 232، مصدر سابق.

(3) أبو الفتح عثمان (ابن جني)، (الخصائص)، ج2، تحقيق محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب ط3، القاهرة 1987، ص: 362.

(4) الأحزاب (35).

(5) لقمان (25).

مسألة التقديم والتأخير:

إذا نظرنا إلى مسألتَي التقديم والتأخير وجدنا أن عبد القاهر الجرجاني قد فصل فيها تفصيلاً إذ يقول في ذلك: " هذا باب كثير الفوائد، جم لمحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يفتر لك عن بديعة ويفضي بك إلى لطيفة، ولا تزال ترى شعراً يروقك سمعه، ويلطف لديك موقعه ثم تنظر فتجد أن سبب راقك ولطف عندك، أن قدّم شيء وحَوّل اللفظ من مكان إلى مكان "(1)

فالجرجاني يضيف نوعين من التقديم:

تقديم على نية التأخير

النوع الثاني: تقديم لا على نية التأخير.

أ) تقديم على نية التأخير: كتقديم الخبر على المبتدأ والمفعول على الفاعل كقولك: (منطلق زيد) و(ضرب عمرو زيد)، فالخبر منطلق لم يتغير حكمه الإعرابي رغم تقديمه، والمفعول عمرو لم يتغير وصفه الإعرابي.

ب) تقديم لا على نية التأخير: وذلك أن تجيء باسمين يحتمل كلّ واحد منهما أن يكون مبتدأ ويكون الآخر خبراً له، فتقدم تارة هذا على ذاك، وأخرى ذاك على هذا.

حيث نقول مرة: (زيد المنطلق)، وأخرى (المنطلق زيد)، فهنا تغير الرتبة يؤدي إلى تغيير الحكم الإعرابي، ومن أمثله كذلك قولك: (ضربت زيداً)، و(زيداً ضربته)، فلم تقدّم زيداً على أن يكون مفعولاً منصوباً بالفعل كما كان، ولكن على أن ترفعه بالابتداء، وتشغل الفعل بضميره، وتجعله في موضع الخبر. "ولقد حذر الجرجاني من أن نقف على العناية والاهتمام، وعدّها سبباً للتقديم دون أن ننقب عن دواعي الاهتمام ونفتش عن أسباب العناية "(2).

فعبد القاهر حينما يتطرق إلى مشكلة نحوية لا يبحث فيها بحدّ ذاتها ولكنه يتخذها منطلقاً إلى ما هو أعمق للوصول إلى دلالتها ودورها في تأدية النمط المنوط بالرسالة التي يستقبلها المتلقي، وليس بهدف أن يعلمنا الرفع والنصب والجزم فهذا مفروغ منه، "إنما ينبّهنا إلى معاني المعاني، وتقرير حال

(1) عبد القاهر (الجرجاني)، (دلائل الإعجاز)، مصدر سابق، ص: 84.

(2) المصدر نفسه ص: 95.

الأوضاع والمبادئ، وكيف تسري الأحكام في كل الأنحاء، وبيان ارتباط البلاغة بغرض المتكلم الذي يقصد إليه من كلامه والمعاني التي أراد إثباتها أو نفيها".⁽¹⁾

ثالثاً: السياق عند البلاغيين:

لقد انصب اهتمام البلاغيين بمبدأ فكرة (لكل مقام مقال)، و(مطابقة الكلام لمقتضى الحال)⁽²⁾ من أوضح ما قال به البلاغيون في سياق الموقف، يقول صاحب كشف اصطلاحات الفنون: "والحال في اصطلاح أهل المعاني هي الأمر الداعي إلى المتكلم على وجه مخصوص، أي الداعي إلى أن يعتبر مع الكلام الذي يؤدي به أصل المعنى خصوصية ما هي المسماة بمقتضى الحال، مثلاً كون المخاطب منكراً للحكم حال يقتضي تأكيد الحكم والتأكيد مقتضاها... "وعلى هذا النحو قولهم: علم المعاني علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق اللفظ مقتضى الحال، أي يطابق صفة اللفظ مقتضى الحال، وهذا هو المطابق بعبارات القوم، حيث يجعلون الحذف والذكر إلى غير ذلك معللة بالأحوال"⁽³⁾.

ومن النظم الذي يعتبر فيه حال المنظوم بعضه مع بعض القول الذي اشتهر عند البلاغيين والنقاد هو "لكل مقام مقال" الذي ورد في بيت للحطيئة يخاطب عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

فإنك خير من الزبرقان	أشد نكالا وأرجى نوالاً
تحنن عليّ هداك المليك	فإن لكل مقام مقالاً
ولا تأخذني بقول الوشاة	فإن لكل زمان رجالاً
فإن كان ما زعموا صادقاً	فسيقت إليك نسائي رجالاً ⁽⁴⁾

(1) ينظر: جعفر دك الباب، (الموجز في شرح دلائل الإعجاز)، مطبعة الأصيل، دمشق، 1980م، ص: 38.

(2) ابن جني، (الخصائص)، ج 1، ص: 249، مصدر سابق.

(3) محمد علي التهانوي، (كشف اصطلاحات الفنون)، تقديم وإشراف ومراجعة د: رفيق العجم، تح د علي دحروج، مكتبة لبنان، ناشرون، بيروت لبنان، ط 1، (1996)، ج 1، ص: 617، بتصرف.

(4) الحطيئة: أبو مئكة جرول بن أوس بن مالك العبسي المشهور بالحطيئة. (ديوان الحطيئة برواية وشرح ابن السكيت)، تح مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان -، ط 1، (1413هـ - 1993م)، البيت: 3، ص: 164.

ومنه نفهم أن المقام عندهم يشمل كل من المتكلم والمخاطب وما يكتنفه من ظروف ومناسبات، كالغرض من الكلام (القصد) ومكانه وزمانه ومراعاة أحوال المخاطبين.

يقول ابن رشيق متحدثاً عن الشاعر: "أول ما يحتاج إليه الشاعر - بعد الجد الذي هو الغاية، وفيه وحدة الكفاية - حسن التآني والسياسة، وعلم مقاصد القول، فإن نَسَبَ ذلَّ وخضع، وإن مدح أطرى وأسمع، وإن هجا أخل وأوجع، وإن فخر خب ووضع، وإن عاتب خفض ورفع، وإن استعطف حن ورجع، ولتكن غايته معرفة أغراض المخاطب كائناً من كان ليدخل إليه من بابه، ويدخله في ثيابه، فذلك هو سر صناعة الشعر، ومغزاه الذي به تفاوت الناس، وبه تفاضلوا"⁽¹⁾.

ومن هنا يظهر أنَّ الشاعر لا بد له من معرفة مقاصد الكلام، حتى ينتظم شعره ويحسن كلامه، هذا ما ذهب إليه ردّة الله بقوله: "ابن رشيق يربط قول الشعر بأغراضه التي هي عنده (المقامات التي يقال فيها)، بل ويجعل هذه المقامات على نوعين هما:

الأول: المقامات الفردية التي تتمثل في الأغراض الشعرية الذاتية للشاعر.

والثاني: المقامات الجماعية الاحتفالية، أي خطاب الشاعر للآخرين.

وقصد ابن رشيق من ذلك إنما يتعلّق بما أورده من وجوب معرفة الشاعر بعلم مقاصد القول، أي الأغراض (السياقات) التي ينبغي على الشاعر أن يراعيها عند إنشاء الشعر"⁽²⁾.

وقد أشار إلى ذلك بشر بن المعتمر، فقال: "ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين، وبين أقدار الحالات، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاماً، ولكل حالة من ذلك مقاماً، حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات..."⁽³⁾.

⁽¹⁾ أبو علي الحسن الأزدي (ابن رشيق القيرواني) (390-456هـ)، (العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده)، تح محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل - سوريا، ط5، (1401هـ-1981م)، ج1، ص: 199.

⁽²⁾ ردّة الله بن ردة بن ضيف الله (الطلحي)، (دلالة السياق)، ط1، (1424هـ)، رسالة دكتوراه جامعة أم القرى - مكة المكرمة، ص: 91.

⁽³⁾ ابن قتيبة، (أدب الكاتب)، تح محمد الدالي، مؤسسة الرسالة، ط1 (1982م)، بيروت، ص: 18.

خلاصة القول:

إن ما يقوي هذا الكلام ويعاضده -حسب رأينا- هو ما جاء به صاحب كتاب السياق والمعنى: "فلا يحدث الشخص المجنون مثلما يحدث العاقل، ولا يتكلم مع الكبير مثلما يتكلم مع الصغير، وعندما يكون المقام مقام فرح يختلف كلامه فيه عنه عندما يكون في مقام حزن، ففي مقام الحزن تكون لغته أكثر التزاماً، وتتخللها بعض النصوص الدينية كآية أو حديث يناسب ذلك المقام، في حين أن لغته في مقام الفرح تميل قليلاً إلى الهزل ولا يتقيد فيها بطريقة كلام أو وقوف أو ما شابه ذلك".⁽¹⁾

ومما يزيد توضيحاً لهذا المعنى قول صاحب مفتاح العلوم "فمقام التشكر يبين مقام الشكاية ومقام التهئة يبين مقام التعزية ومقام المدح يبين مقام الذم ومقام الترعيب يبين مقام الترهيب..."⁽²⁾

ويضيف صاحب اللغة العربية معناها ومبناها قائلاً: "وحيث قال: البلاغيون لكل مقام مقال، ولكل كلمة مع صاحبها مقام، وقعوا على عبارتين من جوامع الكلم تصدقان على دراسة المعنى في كل اللغات لا في العربية الفصحى فقط، وتصلحان للتطبيق في إطار كل الثقافات على حد السواء، ولم يكن (مالينوفسكي) وهو يسوق مصطلحه الشهير سياق الحال (context of situation) يعلم أنه مسبق إلى مفهوم هذا المصطلح بألف سنة أو ما فوقها"⁽³⁾.

ومما جاء في كتاب الأصول لتمام حسان أنه قال: "حتى إنه وجد مصطلح المقام الذي شاع في البلاغة العربية أصلح من مصطلح سياق الحال الذي يستعمله اللسانيون المحدثون"⁽⁴⁾.

رابعاً: السياق عند دارسي القرآن (المفسرين)

إن الناظر في كتب دارسي القرآن يجد أن المفسرين قد اهتموا بالسياق وأولوا عناية ظاهرة، ورعوه حق رعايته، وأنزلوه منزلته العالية في التفسير، فإذا رجعنا إلى مفهوم التفسير نجد أنه قد استقر عندهم

⁽¹⁾ عرفات فيصل المناع، السياق والمعنى دراسة في أساليب النحو العربي، الناشر: مؤسسة السياب، لندن، منشورات الاختلاف (الجزائر) - منشورات ضفاف لبنان، ط1: 2013، ص: 60.

⁽²⁾ يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي (السكاكي)، (مفتاح العلوم)، تح أكرم عثمان يوسف، مطبعة دار السعادة، بغداد، (1402هـ)، ص: 80.

⁽³⁾ تمام حسان، (اللغة العربية معناها ومبناها)، دار الثقافة، الدار البيضاء، 2001، ص: 372.

⁽⁴⁾ تمام حسان، (الأصول دراسة إستراتيجية لأصول الفكر اللغوي العربي)، دار الثقافة، ط1، الدار البيضاء، 1401هـ، ص:

على أنه: " العلم الذي يعرف به كتاب الله المنزل على نبيه محمد - صلى الله عليه وسلم - وبيان معانيه واستخراج أحكامه، واستمداد ذلك من علم اللغة والنحو والتصريف وعلم البيان وأصول الفقه والقراءات. ويحتاج إلى معرفة أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ "(1).

وعليه يتبين من خلال التعريف أن التفسير ملتقى الكثير من العلوم العربية المتنوعة كالنحو والصرف وعلم البيان وأصول الفقه... إلخ، حتى بات من الضروري الاعتماد عليها في التفسير.

والسؤال الذي يطرح هنا كيف كان العرب يفهمون القرآن قبل ظهور هذه العلوم؟

فنقول: إن ما كان سائدا قبل ظهور هذه العلوم هو سليقة العرب الأقحاح الفصحاء المتمكنين بفضل ما أوتوا من هذه السليقة، من إعراب للقرآن وإدراك مفرداته وأحكامه، وكذا مواضيع البلاغة والفصاحة سجية.

هذا ما يوضحه ابن خلدون في قوله: "وأما التفسير فاعلم أن القرآن نزل بلغة العرب وعلى أساليب بلاغتهم، فكانوا كلهم يفهمونه ويعلمون معانيه في مفرداته وتراكيبه... حتى صارت المعارف علومًا، ودونت الكتب، فكتب الكثير من ذلك ثم صارت علوم اللسان صناعية من الكلام في موضوعات اللغة وأحكام الإعراب والبلاغة في التراكيب، فوضعت الدواوين في ذلك، بعد أن كانت ملكات للعرب لا يرجع فيها إلى نقل ولا كتاب "(2).

ويواصل ابن خلدون كلامه عن علاقة هذه العلوم بعلم التفسير قائلا: " وصارت تتلقى من كتب أهل اللسان. فاحتيج إلى ذلك في تفسير القرآن "(3).

ومن المعلوم أن القرآن نزل باللغة العربية وفقا لأساليبها، يذهب بعض الباحثين إلى أن العرب عامة والصحابة خاصة كانوا يفهمون ما جاء فيه من جزئيات وتفاصيل، فضلا عن فهمهم له في جملته وكليته، وهو ما يوضحه ابن خلدون في كلامه السابق.

(1) الزركشي، (البرهان في علوم القرآن)، ج1، ص: 13

(2) عبد الرحمن، (ابن خلدون)، (المقدمة)، تح عبد الله البستاني، مكتبة لبنان، ط4، (1990م)، ص: 438-439 بتصرف.

(3) المرجع نفسه، ص: 439.

هذا وقد أشرنا إشارة خفيفة إلى اهتمام المفسرين بالسياق، ويحسن في هذه الدراسة أن نلقي الضوء على مدى عنايتهم بالسياق ومناهجهم في تناوله إجمالاً. فهذا شيخ المفسرين:

أ) الإمام ابن جرير الطبري:

جاء في تفسيره (جامع البيان في تأويل آي القرآن)، وهو يعلل بعض اختياراته التفسيرية بالسياق، مضمناً ذلك بمعنى السياق فيقول: "فإنما اخترنا ما اخترنا من التأويل طلب اتساق الكلام على نظام في المعنى"⁽¹⁾، وعلل ما يذهب إليه من اختيار لما يقتضيه السياق والمعنى.

قال محمود شاكر: "... لم يغفل عن هذا الترابط الدقيق بين معاني الكتاب، سواء كان ذلك في آيات الأحكام، أو آيات القصص أو غيرها من نصوص هذا الكتاب، فهو يأخذ المعنى في أول الآية ثم يسير معه كلمة كلمة، وحرفاً حرفاً، ثم جملة جملة، غير تارك لشيء منه، أو متجاوز عن معنى يدل عليه سياقها"⁽²⁾.

ب) الزمخشري في تفسيره (الكشاف):

يعد الزمخشري من أبرز المفسرين الذين اعتمدوا على السياق في تفسيرهم، ويدل ذلك على تمكنه من اللغة والبلاغة.

حيث صرح الزركشي بمنهجه وعنايته بالسياق فقال: "ولهذا ترى صاحب (الكشاف) يجعل الذي سبق له الكلام معتمداً، حتى كأن غيره مطروح"⁽³⁾.

وغالب تناوله للسياق من جهة العناية بالروابط ووجوه العلاقة والتراكيب والإعراب. ومثال ذلك ما ورد في تفسيره في قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾⁽⁴⁾.

(1) أبو جعفر محمد ابن جرير (الطبري)، (224هـ - 410هـ)، (تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، تح محمود محمد شاكر، مكتبة ابن تيمية - القاهرة، ط2، دس، ج2، ص: 480.

(2) القرطبي، (جامع البيان لأحكام القرآن)، تح شاكر، ج4، ص: 534، مصدر سابق.

(3) بدر الدين الزركشي، (البرهان في علوم القرآن)، ج1، ص: 317، مصدر سابق.

(4) البقرة (25).

قال: "فإن قلت: من المأمور بقوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ﴾؟ قلت: يجوز أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن يكون كل أحد.. وهذا الوجه أحسن وأجزل، لأنه يؤذن بأن الأمر لعظمه وفخامة شأنه محقوق بأن يبشر به كل من قدر على البشارة به، فإن قلت: علام عطف هذا الأمر ولم يسبق أمر ولا نهي يصح عطفه عليه؟ قلت: ليس الذي اعتمد بالعطف هو الأمر حتى يطلب له مشاكل من أمر أو نهي يعطف عليه، إنما المعتمد بالعطف هو جملة وصف ثواب المؤمنين، فهي معطوفة على جملة وصف عقاب الكافرين"⁽¹⁾.

فتأمل كيف وجه الخطاب في المسألة الأولى إلى السياق وهو التعظيم والتفخيم للأمر. ووجه المعنى في المسألة الثانية إلى السياق في مقابلة حال المؤمنين لحال الكفار.

ج) الراغب الأصفهاني في: (مفردات ألفاظ القرآن).

يعتبر الراغب الأصفهاني من أبرز المفسرين وأهل اللغة عناية ببيان السياق القرآني من خلال كتابه المفردات، خاصة أنه يجمع الكلمات الغريبة في القرآن ويبين معناها حسب سياقها الذي وردت فيه، وهو من أهم ما ينبغي الرجوع إليه في معرفة السياق.

ويؤكد عنايته بجانب السياق الزركشي فيقول: "وهذا - أي النظر إلى الآية بحسب السياق - يعتني به الراغب كثيراً في كتاب المفردات، فيذكر قيلاً زائداً على أهل اللغة في تفسير مدلول اللفظ لأنه اقتنصه من السياق"⁽²⁾.

وقال أيضاً في حديثه عن كتب غريب القرآن: (ومن أحسنها كتاب (المفردات) للراغب وهو يتصيد المعاني من السياق، لأن مدلولات الألفاظ خاصة"⁽³⁾).

يظهر من هذا الكلام أنّ الراغب الأصفهاني كان يتصيد المفردات الغريبة للاستدلال بمعانيها حسبما يقتضيه الحال للوصول إلى المقصود.

د) ابن عطية في تفسيره (المحرر الوجيز).

⁽¹⁾ الزمخشري، (الكشاف)، ج 1، ص: 64، مصدر سابق.

⁽²⁾ بدر الدين الزركشي، (البرهان في علوم القرآن)، ج 1، ص: 291، مصدر سابق.

⁽³⁾ نفسه، ص: 291.

يعتبر ابن عطية من أبرز المفسرين في العناية بالسياق واعتباره في التفسير، وقد اعتمد عليه في جانب بيان المعنى المراد، والعلاقات النحوية في الآية، وبيان الراجح على وجه الخصوص. ويؤكد ذلك أحد الدارسين لتفسيره، فيقول وهو يقارن بين تفسير ابن جرير وابن عطية: "... كما نرى توسعاً ملحوظاً - عند ابن عطية - في بيان الألفاظ اللغوية ومعانيها في الجملة، ومعنى الجمل نفسها في السياق العام الذي تنساق فيه الآية، ثم ينتفع انتفاعاً طيباً بما استقر من الدراسات الأدبية وبخاصة البلاغية"⁽¹⁾.

وقال صاحب (قواعد الترجيح عند المفسرين) في تقريره لقاعدة من قواعد السياق وهي (إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عنهما إلا بدليل)، ذكر من اعتمد على هذه القاعدة من المفسرين فقال: "ومنهم ابن عطية: فهي عنده من قواعد الترجيح الأساسية، ورجح بها كثيراً من الأقوال، وضعف بها كذلك كثيراً من الأقوال، في متن كتابه، فمن هذه المواضع التي رجح بهذه القاعدة فيها، قوله - معلقاً على قول خالف هذه القاعدة - : (وهذا تفسير من انتزع ألفاظ آخر الآية عما تقدمها، وارتبط بها من المعنى، وعمّا تأخر أيضاً)⁽²⁾.

ومن الأمثلة الدالة على اعتماده السياق في الترجيح ما ذكره في تفسير قوله تعالى: ﴿أَيُّودُ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّحِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾⁽³⁾ قال في المراد بالمثل في الآية: "حكى الطبري عن السدي أن هذه الآية مثل آخر لنفقة الرياء، ورجح هو هذا القول، وحكى عن ابن زيد أنه قرأ قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾⁽⁴⁾.

ثم قال ضرب في ذلك مثلاً فقال: ﴿أَيُّودُ أَحَدُكُمْ﴾ الآية. قال القاضي أبو محمد: وهذا أبين من الذي رجح الطبري، وليست هذه الآية بمثل آخر لنفقة الرياء، هذا هو مقتضى سياق الكلام⁽⁵⁾.

فنجدد قد خالف الطبري ورجح ما ذهب إليه ابن زيد اعتماداً على السياق.

⁽¹⁾ ينظر: السيد أحمد خليل، (دراسات في القرآن الكريم)، ط دار المعارف مصر (1972م)، ص: 50.

⁽²⁾ ينظر: ابن عطية (المحرر الوجيز)، ج2، ص: 356. و(قواعد الترجيح عند المفسرين)، ج1، ص: 129.

⁽³⁾ البقرة (266).

⁽⁴⁾ البقرة (264).

⁽⁵⁾ ابن عطية، (المحرر الوجيز)، ج1، ص: 330.

وللاشارة فإن الزركشي قد عقد بابا في كتابه (البحر المحيط في أصول الفقه) مبحثا سماه (دلالة السياق). وعد من أنكرها جاهلا بأمرها، يقول: "أنكرها بعضهم، ومن جهل شيئا أنكره..."⁽¹⁾

وهذا الإمام الشاطبي قد استعمل لفظ (المساق) للتعبير عن واجهة النص، وعلى مراعاة أول الكلام وآخره، وإن كل من أراد أن يفهم نصا ما، فعليه ألا يقطع من سياقه الذي ورد فيه.

قال مبينا ذلك: "أن المساقات تختلف باختلاف الأحوال والأوقات والنوازل، وهذا معلوم في علم المعاني والبيان، فالذي يكون على بال من المستمع والمتفهم... الالتفات إلى أول الكلام وآخره بحسب القضية، وما اقتضاه الحال فيها، لا ينظر في أولها دون آخرها، ولا في آخرها دون أولها، فإن القضية وإن اشتملت على جمل فبعضها متعلق ببعض، لأنها قضية واحدة نازلة في شيء واحد، فلا محيص للمتفهم عن رد آخر الكلام على أوله، وأوله على آخره، وإذ ذاك يحصل مقصود الشارع في فهم المكلف"⁽²⁾.

خلاصة القول:

من خلال قراءتنا في أهم معالم التفسير وأسباب النزول وجدنا أنهم كانوا مهتمين بالسياق، حتى أنهم وضعوا شروطا للمفسر، منها ضرورة توفره مجموعة من العلوم والمعارف، كعلم المناسبة والتناسب، وعلم الآلة، وأسباب النزول، هذا العلم الذي يعد من العناصر التي لم يغفل عنها المفسرون، ولم يحصروها في الحوادث المباشرة المتعلقة بنزول الآيات، بل شملت مختلف الظروف النفسية والاجتماعية والتاريخية...، إذ لا بد من استحضارها، لأنها تعين على فهم معاني الآيات، لأننا بمعرفة هذه الظروف يزول اللبس والإشكال في فهم كثير من النصوص.

كما تطرقنا في هذه النظرة من خلال البحث في كتب بعض المفسرين الذين اعتنوا بالسياق واهتموا به أشد اهتمام، وقد لاحظنا من الأقوال السالفة الذكر أهمية السياق عند من يتصدى للنص الديني، فبه تنبسط الأحكام، وبه يرجح المعنى المقصود من بين مجموعة المعاني التي يحتملها ظاهر النص.

⁽¹⁾ بدر الدين (الزركشي)، (البحر المحيط في أصول الفقه)، تح عبد القادر عبد الله العاني، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، ج6، ص: 52.

⁽²⁾ الشاطبي، (الموافقات في أصول الشريعة)، ج3، ص: 413.

هذا وقد سردنا بعض الشروط التي يجب أن تتوفر في المفسر لفهم مراد الله عز وجل، لأنه لا سبيل إلى معرفة مقاصد القرآن الكريم إلا بالرجوع إلى التفاسير وكتب اللغة وأسباب النزول وغيرها.

خامسا: السياق عند الأصوليين:

إن الباحث في كتب الأصول يرى أن الأصوليين اهتموا بالسياق وأولوه عناية كبيرة، فمنذ البدايات الأولى لتدوين علم الأصول وبناء أدواته، ورسم مفاصله ومهامه على يد المؤسس الأول "محمد بن إدريس الشافعي، إذ عنون بابا من أبواب رسالته الأصولية إذ قال: "باب الصنف الذي يبين سياقه معناه" (1).

فإذا تتبعنا هذا الموضوع في التراث العربي، فإننا نجد أن أول من تفتن إلى دور السياق في دراسة المعنى هو الإمام الشافعي، وإن مما جاء به في كلامه عن قوله تعالى: ﴿وَسَأَلُهُمُ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ، كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ (2).

قال الإمام الشافعي: "فابتدأ جل ثناؤه ذكر الأمر بمساءلتهم عن القرية الحاضرة البحر، فلما قال: ﴿إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ﴾ دلّ على أنه إنما أراد أهل القرية، لأن القرية لا تكون عادلة ولا فاسقة بالعدوان في السبت ولا غيره، وإنما أراد بالعدوان أهل القرية الذين بلاهم بما كانوا يفسقون" (3).

إذن: الوارد بعد الآية تبيان أن المقصود أهل القرية لا القرية، لأن القرية لا تكون عادلة ولا فاسقة.

وفي تبيين معنى قوله تعالى: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ فَلَمَّا أَحْسُوا بَأْسَنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ﴾ (4)، قال: "وهذه الآية في مثل معنى الآية قبلها، فذكر قصم القرية، فلما ذكر أنها ظالمة، بان للسامع أن الظالم إنما هم أهلها دون منازلها التي لا تظلم، ولما ذكر

(1) محمد بن إدريس (الشافعي)، (الرسالة)، تح وشرح أحمد محمد شاكر، ط1، دس، ص: 62.

(2) الأعراف (163).

(3) الشافعي، (الرسالة)، ص: 62 - 63. مصدر سابق

(4) الأنبياء (11 - 12).

القوم المنشئين بعدها، وذكر إحساسهم البأس عند القصم أحاط العلم أنه إنما أحسن البأس من يعرف البأس من الآدميين" (1).

أما الغزالي فقد وقف وقفات مهمة ركّز خلالها على أهمية القرائن المقالية والمقامية، التي يسميها ب: (قرائن الأحوال)، في تحديد المعنى إذ يقول: (والقرينة)، وإما لفظ مكشوف، كقوله تعالى: ﴿وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ (2)، والحق هو العُشْر.

وإما إحالة على دليل العقل، كقوله تعالى: ﴿وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ (3)، وقوله صلى الله عليه وسلم: ((قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن)) (4). وإما قرائن أحوال من إشارات ورموز وحركات وسوابق ولواحق، لا تدخل تحت الحصر والتخمين، يختص بدركها المشاهد لها، فينقلها المشاهدون من الصحابة إلى التابعين بألفاظ صريحة، أو مع قرائن من ذلك الجنس، أو من جنس آخر، حتى توجب علما ضروريا بفهم المراد أو توجب ظنا، وكل ما ليس له عبارة موضوعة في اللغة، فتتعين فيه القرائن" (5).

وأفرد الغزالي في كتابه (المستصفى) عنوانا خاصا للسياق سماه: (الضرب الرابع فهم غير المنطوق به من المنطوق بدلالة سياق الكلام ومقصوده) (كفهم تحريم "الشتيم" و(القتل) و(الضرب) من قوله تعالى: ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفٍّ وَلَا تَنْهَرُهُمَا﴾ (6).

وفهم تحريم مال اليتيم وإحراقه وإهلاكه من قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا﴾ (7).

(1) الشافعي، (الرسالة)، ص: 63، مصدر سابق.

(2) الأنعام (114).

(3) الزمر (67).

(4) صحيح مسلم بشرح النووي، ج16، ص: 204.

(5) أبو حامد بن محمد بن محمد (الغزالي)، (المستصفى من علوم الأصول)، دراسة وتح حمزة بن زهير حافظ، ج3، ص: 31-30.

(6) الإسراء (23).

(7) النساء (10).

وَفُهِمَ ما وراء الدِّرَّة والدِّينار من قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾⁽¹⁾. وقوله تعالى أيضا: ﴿وَمَنْ أَهْلَ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ﴾⁽²⁾، وكذلك قول القائل: "ما أكلت له برة، ولا شربت له شربة، ولا أخذت من ماله حبة" فإنه يدل على ما وراءه فإن قيل: هذا من قبيل التنبيه بالأدنى على الأعلى. قلنا: لا حرج في هذه التسمية، لكن يشترط أن يفهم: أن هذا بمجرد ذكر الأدنى لا يحصل هذا التنبيه، ما لم يفهم الكلام وما سيق له⁽³⁾.

كما تنبّه الغزالي أيضا إلى قرائن الأحوال أو ما يسمّى في الدّرس اللغوي الحديث بسياق الحال ودوره في تحديد المعنى قال: "إن قصد الاستغراق يعلم بعلم ضروري، يحصل عن قرائن أحوال ورموز وإشارات وحركات من المتكلم، وتغيرات في وجهه وأمور معلومة من عاداته ومقاصده، وقرائن مختلفة لا يمكن حصرها في جنس ولا ضبطها بوصف، بل هي كالقرائن التي يعلم بها خجل الخجل ووجل الوجل وجبن الجبان، وكما يعلم قصد المتكلم إذا قال: (السّلام عليكم)، إنّه يريد التّحيّة أو الاستهزاء واللّهو"⁽⁴⁾، يبيّن الغزالي بعض القرائن فيقول: "ومن جملة القرائن فعل المتكلم، فإنّه إذا قال على المائدة: (هات الماء) فهم أنّه يريد الماء العذب البارد، دون الحار المالح.

وقد تكون دليل العقل كعموم قوله تعالى: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾⁽⁵⁾، وقوله أيضا: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾⁽⁶⁾، وخصوص قوله تعالى: ﴿خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾⁽⁷⁾، إذ لا يدخل فيه ذاته وصفاته⁽⁸⁾.

(1) الزّلزلة (07)

(2) آل عمران (57)

(3) الغزالي، (المستصفى)، ج3، 411 - 412.

(4) المرجع نفسه، ص: 229.

(5) البقرة (29).

(6) هود (06).

(7) الزمر (62).

(8) الغزالي، (المستصفى)، ج3، ص: 229 - 230.

أمّا الزركشي (ت 794هـ) فقد قال: "ليكن محط نظر المفسّر مراعاة نظم الكلام الذي سيق له، وإن خالف أصل الوضع اللغوي لثبوت التجوّز، ولهذا نرى صاحب "الكشاف" يجعل الذي سيق له الكلام معتمداً، حتى كأنّ غيره مطروح"⁽¹⁾.

وفي حديثه عن الألفاظ ودلالاتها وطريق التوصل إلى فهم معناها يقول: "الثاني ما لم يرد فيه نقل عن المفسرين، وهو قليل، وطريق التوصل إلى فهمه النّظر إلى مفردات الألفاظ من لغة العرب، ومدلولاتها واستعمالاتها بحسب السّياق، وهذا ما يعتني به الرّاعب كثيرا في كتابه "المفردات"، فيذكر قيّدا زائدا على أهل اللغة في تفسير مدلول اللفظ، لأنّه اقتنصه من السّياق"⁽²⁾.

وأفرد الزركشي فصلا في كتابه "البحر المحيط في أصول الفقه" تحت عنوان "دلالة السّياق" قال: "أنكرها بعضهم، ومن جهل شيئا أنكره، وقال بعضهم إنّها متفق عليها في مجاري كلام الله تعالى. وقد احتج بها أحمد على الشافعي في أنّ الواهب ليس له الرّجوع من حديث (الَّذِي يَعُودُ فِي هَبْتِهِ كَالْكَلْبِ يَعُودُ فِي قَيْئِهِ)⁽³⁾، حيث قال الشافعي: هذا يدل على جواز الرّجوع، إذ قيء الكلب ليس محرما عليه. فقال أحمد: ألا تراه يقول فيه: (ليس لنا مثل السّوء، العائد في هبته...) "⁽⁴⁾ الحديث. وهذا مثل سوء فلا يكون لنا. وواصل كلامه في هذا الصّدّد حيث أردف قائلا: "واحتج بها في أنّ المراد بأنّه استيعابهم واجب، وسياق الآية يدل على الأوّل بقوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾"⁽⁵⁾، قال الزركشي: "فإنّ الله تعالى لما رأى بعض من لا يستحق الصّدقة يحاول أن يأخذ منها، ويسخط إذا لم يعط يقطع طمعه ببيان أنّ المستحق لها غيره، وهم الأصناف الثمانية"⁽⁶⁾.

(1) بدر الدين محمد بن عبد الله (الزركشي)، (البرهان في علوم القرآن)، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، ج 1، ص: 317.

(2) نفسه، ج 2، ص: 172.

(3) صحيح البخاري، (الهبة وفضلها)، باب: لا يحل لأحد أن يرجع في هبته وصدقته، رقمه: 2479، ج 2، ص: 924.

(4) أحمد بن حنبل، (مسند الإمام أحمد بن حنبل)، برقم: 1872، ج 3، ص: 365، مصدر سابق.

(5) التوبة (58).

(6) الزركشي، (البحر المحيط في أصول الفقه)، ج 6، ص: 52.

فهذه الأصناف الثمانية ذكرها الله تعالى جملة في سورة التوبة حيث قال: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾⁽¹⁾.

جاء في كتاب البحر المحيط في أصول الفقه: "وقال الشيخ عز الدين في كتابه الإمام: "والسياق يرشد إلى تبين المجملات وترجيح الاحتمالات وتقدير الواضحات، وكل ذلك يعرف الاستعمال فكل صفة وقعت في سياق المدح كانت مدحا وإن كانت ذما بالوضع، وكل صفة وقعت في سياق الذم كانت ذما وإن كانت مدحا بالوضع كقوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾⁽²⁾"⁽³⁾.

فعر الدين يؤكّد في كلامه على وظائف السياق في تحديد المعنى.

قال ابن القيم: "السياق يرشد إلى تبين المجمل، وتعيين المحتمل، والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام، وتقييد المطلق، وتنوع الدلالة، وهو من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم، فمن أهمله غلط في نظره، وغالط في مناظرته"⁽⁴⁾.

خلاصة القول:

مما تجدر الإشارة إليه أنّ ردة الله الطلحي قد لخص مفهوم السياق حيث قال: "يمكن تلخيص القول في مفهوم السياق في التراث العربي في النقاط الثلاث التالية:

الأولى: أنّ السياق هو الغرض، أي مقصود المتكلم في إيراد الكلام...

الثانية: أنّ السياق هو الظروف والمواقف والأحداث التي ورد فيها النص أو نزل أو قيل بشأنها.

الثالثة: أنّ السياق هو ما يُعرف الآن بالسياق اللغوي الذي يمثل الكلام في موضع النظر والتحليل، ويشمل ما يسبق أو يلحق به من كلام"⁽⁵⁾.

⁽¹⁾ التوبة (60).

⁽²⁾ الدخان (49).

⁽³⁾ الزركشي، المصدر السابق، ج6، ص: 52.

⁽⁴⁾ ابن القيم، (بدائع الفوائد)، تح علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد، دط، دت، ج4، ص: 1314.

⁽⁵⁾ ردة الله بن ردة بن ضيف الله (الطلحي)، (دلالة السياق)، ص: 50-51. مرجع سابق.

خلاصة القول:

من خلال الدراسة والبحث تجلّى لنا أن السياق في التراث العربي ينبغي أن يكون مشتملاً على جملة من المفاهيم، وهي: القصد، أي معرفة مقاصد الشارع، والغرض من سياق الكلام، وإدراك مراد المتكلم، وهذا يفهم من الإمام بالسياق اللغوي الذي يتضمن ما يسبق الكلام وما يلحقه، إضافة إلى الظروف والمواقف المحيطة بنص السياق.

المبحث الثاني: السياق القرآني (مفهومه وأنواعه)

أولاً: مفهوم السياق القرآني:

يعد السياق القرآني جزءاً من السياق بعمومه في معناه العام.

يعرفه المثنى عبد الفتاح بقوله: "هو تتابع المعاني وانتظامها في سلك الألفاظ القرآنية، لتبلغ غايتها الموضوعية في بيان المعنى المقصود، دون انقطاع أو انفصال"⁽¹⁾.

ثانياً: بيان أهمية السياق القرآني

السياق القرآني يختلف عن أي سياق آخر، وذلك أنه مكون من أربعة أسس من السياق. بعضها داخل في بعض ومبني عليه. وهذا من أعظم ما يتميز به القرآن الكريم، بل هو من مظاهر إعجازه وبلاغته.

فحينما نقراً ونبحث نجد العلماء القدامى قد تفتنوا إلى أهمية السياق في تفسير الآيات القرآنية الكريمة، وتتبع مفرداته.

يقول الزركشي: "حين أشاروا إلى قاعدة مهمة، وهي تفسير القرآن بالقرآن"⁽²⁾، ومن هنا ندرك أن تفسير القرآن بالقرآن هو أعلى درجات التفسير، لأن القرآن يفسر بعضه بعضاً، فما أجمل في سورة يأتي مفصلاً في سورة أخرى.

ونقل الإمام الشنقيطي إجماع العلماء على: "أن أشرف أنواع التفسير وأجلها تفسير كتاب الله بكتاب الله"⁽³⁾.

⁽¹⁾ المثنى عبد الفتاح محمود، (نظرية السياق القرآني: دراسة تأصيلية دلالية نقدية)، دار وائل للنشر، عمان الأردن، ط1، (2008)، ص:15.

⁽²⁾ الزركشي، (البرهان في علوم القرآن)، تح محمد أبو الفضل، دار الجيل، بيروت، 1988م، ج1، ص: 17.

⁽³⁾ الشنقيطي، (أضواء البيان)، ج1، ص: 02

وهذا الإمام الشافعي يقول مبيناً أثر دلالة السياق القرآني وارتباطها باللغة العربية: "وتبتدئ العرب الشيء من كلامها، يبين أول لفظها عن آخره، وتبتدئ الشيء يبين آخر لفظها منه عن أوله"⁽¹⁾.

وورد في كتاب تفسير غريب القرآن: "وكتابتنا هذا مستنبط من كتب المفسرين، وكتب أصحاب اللغة العالمين، لم نخرج فيه عن مذاهبهم، ولا تكلفنا في شيء منه بآرائنا غير معانيهم، بعد اختيارنا في الحرف أولى الأقاويل في اللغة وأشبهها بقصة الآية"⁽²⁾. فنجد أنه لم يتعصب، ويثني على من سبقوه حيث يجعل الرأي الراجح هو ما دلت عليه اللغة مستنداً إلى دلالة السياق"⁽³⁾.

يقول ابن القيم متحدثاً عن أهمية السياق في تعيين الدلالة: "السياق يرشد إلى تبين المحمل، وتعيين المحتمل والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام، وتقييد المطلق وتنوع الدلالة وهذا من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم فمن أهمله غلط في نظره وغالط في مناظراته"⁽⁴⁾.

أما ابن تيمية يقول: "فمن تدبر القرآن، وتدبر ما قبل الآية وما بعدها، وعرف مقصود القرآن، تبين له المراد، وعرف الهدى والرسالة، وعرف السداد من الانحراف والاعوجاج"⁽⁵⁾.

ثالثاً: أنواع السياق القرآني

إننا لما نتكلم عن أنواع السياق القرآني، فإنه يراد منه مقاصد القرآن الأساسية، والمعاني الكلية التي تسمى بالكليات في القرآن، والأساليب المطردة في القرآن التي تسمى بعادة القرآن.

يقول الطاهر بن عاشور في ذلك: "يحق للمفسر أن يتعرف عادات القرآن من نظمته وكلمه"⁽⁶⁾.

ويقول صاحب كتاب دلالة السياق: "السياق قد يضاف إلى مجموعة من الآيات التي تدور حول غرض أساسي واحد، كما أنه يقتصر على آية واحدة، ويضاف إليها، وقد يكون له امتداد في

(1) محمد بن إدريس الشافعي، (الرسالة)، تح وشرح أحمد محمد شاكر، (د.ط)، (د.ت)، ص: 5.

(2) ابن قتيبة، (غريب القرآن)، تحقيق السيد أحمد صقر، دار الكتب العلمية، بيروت، 1978م، ص: 02.

(3) ينظر: عبد الرحمن عبد الله سرور جرمان المطيري، (السياق القرآني وأثره في التفسير، دراسة نظرية وتطبيقية من خلال تفسير ابن كثير)، رسالة ماجستير في التفسير القرآن الكريم، 2008م، ص: 90. بتصرف

(4) ابن القيم الجوزية، (بدائع الفوائد)، نشر دار الرياض الحديثة، الرياض، (د.ت)، ج 4، ص: 09-10.

(5) ابن تيمية، (مجموع الفتاوى)، ج 15، ص: 94.

(6) ابن عاشور، (التحرير والتنوير)، تحت عنوان: (عادات القرآن)، من المقدمة العاشرة، ج 1، ص: 122.

السورة كلها، بعد أن يمتد إلى ما يسبقه ويلحقه، وقد يطلق على القرآن بأجمعه، ويضاف إليه، بمعنى أن هناك سياق آية، وسياق النص، وسياق السورة، والسياق القرآني، فهذه دوائر متداخلة متكافلة حول إيضاح المعنى⁽¹⁾.

خلاصة القول:

فالسياق القرآني إذن ليس كالسياقات الأخرى، فإذا تأملنا في الآية القرآنية يتضح لنا أنها تنشئ دلالة سياقية، وإذا ضمت إلى مجموعة من الآيات تخرج بدلالة أو دلالات سياقية أخرى ومجموع السورة ينشئ دلالات سياقية أخرى وبالنظر إلى مجموع القرآن كوحدة موضوعية واحدة، فهذا دليل على مظهر من مظاهر الإعجاز البياني للقرآن الكريم، والذي لا يوجد في غيره، ومنه فإن هذا النوع من السياق -السياق القرآني-، يمكن تقسيمه حسب الوجوه التالية:

المطلب الأول: سياق القرآن الكريم:

يتمثل هذا النوع من السياق في بيان مقاصده الأساسية وأغراضه ومعانيه الكلية.

فمن من الواضح أن القرآن الكريم أنزل لغايات ومقاصد جليلة وأغراض نبيلة، مبنية على مصالح العباد في دنياهم وأخراتهم، ومتضمنة لأسباب السعادة في الدنيا والآخرة.

قال ابن القيم في بيان قيمة معرفة المقصد وبيان مراد المتكلم: "والفقه أخص من الفهم، وهو فهم مراد المتكلم، وهذا قدر زائد على مجرد وضع اللفظ في اللغة، وبحسب تفاوت مراتب الناس في هذا، تتفاوت مراتبهم في الفقه والعلم"⁽²⁾.

ومما يدل على أن الغرض (القصد) هو الأصل في السياق ما ورد في حديث النبي صلى الله عليه وسلم: عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أَسْرَعُكُمْ لِحَاقًا بِي أَطْوَلُكُمْ يَدًا، قَالَتْ: فَكُنَّ يَتَطَاوَلْنَ أَيْتَهُنَّ أَطْوَلُ يَدًا، قَالَتْ: فَكَانَتْ أَطْوَلُنَا يَدًا زَيْنَبُ،

(1) ينظر: ردة الله الطلحي، دلالة السياق، ص: 88. مرجع سابق

(2) شمس الدين محمد بن أبي بكر (ابن القيم): (إعلام الموقعين عن رب العالمين)، تح محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى -مصر- مطبعة السعادة. ط1، السنة: 1955م، ص: 281.

لأنها كانت تعمل بيدها وتصدق⁽¹⁾، ومنه فإن المراد والمقصود من قول النبي صلى الله عليه وسلم، هنا حثهن على الصدقة، ولأنه لا عبرة بطول اليد.

قال ابن حجر: "قال المهلب في الحديث دلالة على أن الحكم للمعاني لا للألفاظ، لأن النسوة فهمن من طول اليد الجارحة، وإنما المراد بالطول كثرة الصدقة"⁽²⁾، ففي الآيات: فمثل قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى﴾⁽³⁾، وقوله: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى﴾⁽⁴⁾.

يظهر في آية يس على الرجل ذاته، أما التركيز في (آية القصص) فهو على سعي الرجل، إذ السياق في الأولى يركز في قصة موسى عليه السلام على ضرورة السعي لإنقاذه، والسياق في الثانية (سورة يس) يركز على الرجل المؤمن لأهمية موقفه من أهل قريته ودعوة الرسل، ومآل أمره.

وأما في النصوص وخاصة القصصية منها، فمثل قصة موسى عليه السلام مع فرعون والسحرة، بين سورة الشعراء وسورة الأعراف، فالملاحظ هنا اختلافات في بعض الألفاظ وفي ترتيبها، ففي سورة الأعراف مثل قوله تعالى: ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ﴾⁽⁵⁾، وفي سورة الشعراء قال تعالى: ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِّنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ﴾⁽⁶⁾.

قال صاحب دلالة السياق منهج مأمون لتفسير القرآن الكريم: "فنحن نلاحظ أن السياق في آيات الشعراء يركز على فرعون، ويهول من أمره في مقابلة اشتداد موسى عليه السلام عليه في الحاجة،

(1) مسلم بن الحجاج أبو الحسن، (المسند الصحيح بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم)، برقم: 2452، ج4، ص: 907.

(2) ابن حجر العسقلاني، (فتح الباري)، ج3، ص: 338. مصدر سابق.

(3) القصص (20).

(4) يس (20).

(5) الأعراف (107-112).

(6) الشعراء (32-33).

حتى بدا أنه غالبه، بينما في سورة الأعراف فإن السياق يخلو من هذا التركيز ولا يركز إلا على التفكير في كيفية الخلاص من موسى عليه السلام⁽¹⁾.

يتبين لنا من خلال ما سبق أنّ القرآن مبني على أغراض ومقاصد أساسية، وهذه الأغراض والمقاصد معتبرة في تفسير كلام الله تعالى كله، بل يجب الاعتماد عليها في كل سورة أو آية منه حسبما يقتضي المقام فيها.

قال السيوطي في الإتيقان: "وقال الغزالي: مقاصد القرآن ستة ثلاثة مهمّة، وثلاثة متممة الأولى تعريف المدعو إليه كما أشير إليه بصدرها، وتعريف الصراط المستقيم، وقد صرح به فيها، وتعريف الحال عند الرجوع إليه تعالى، وهو الآخرة كما أشير إليه: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، والأخرى تعريف أحوال المطيعين كما أشير إليه بقوله: ﴿الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾، وحكاية أقوال الجاحدين وقد أشير إليها بـ ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾، وتعريف منازل الطريق كما أشير إليه بقوله ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، انتهى كلامه.⁽²⁾

وقال الغزالي في خواص القرآن: مقاصد القرآن ستة، ثلاثة مهمة وثلاثة تتمّة، الأولى تعريف المدعو إليه، كما أشير إليه بصدرها، "وتعريف الصراط المستقيم، وقد صرح به فيها، وتعريف الحال، عند الرجوع إليه تعالى، وهو في الآخرة، كما أشير إليه بقوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾⁽³⁾.

هذا وقد أجمال ابن عاشور مقاصد القرآن الكريم كلها في ثمانية مقاصد: "الأول: إصلاح الاعتقاد، الثاني: تهذيب الأخلاق، الثالث: التشريع، الرابع: سياسة الأمة وصلاحتها وحفظ نظامها، الخامس: القصص وأخبار الأمم السالفة للتأسي بصالح أحوالهم، السادس: التعليم بما يناسب حاله عصر المخاطبين، السابع وما يؤهلهم إل تلقي الشريعة ونشرها، السابع: المواعظ والإنذار والتحذير والتبشير، الثامن: الإعجاز بالقرآن ليكون آية دالة على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم"⁽⁴⁾.

(1) عبد الوهاب رشيد أبو صفية الحارثي، (دلالة السياق منهج مأمون لتفسير القرآن الكريم)، (1409هـ-1989م)، عمان: الأردن ص: 88-89.

(2) جلال الدين السيوطي، (الإتيقان في علوم القرآن)، ج4، ص: 141، مصدر سابق.

(3) الفاتحة (05).

(4) ابن عاشور، (التحرير والتنوير)، ج1، ص: 08. مرجع سابق

ودليل اعتبار مقاصد القرآن كله ما ورد في سنة الرسول صلى الله عليه وسلم، وذلك حينما يتحدث عن سورة الفاتحة مثلاً بأنها أعظم سورة في القرآن، واعتبار سورة البقرة سنام القرآن، وسورة الإخلاص تعدل ثلث القرآن، حيث قال عنها رسول الله -صلى الله عليه وسلم: ((إنها لتعدل ثلث القرآن))⁽¹⁾، وسورة الزلزلة ربع القرآن، ويس هي قلب القرآن وهكذا، فهذا إنما يكون بالنظر لمعاني هذه السور بالنسبة لمعاني القرآن كله.

قال ابن عاشور في بيان ما تضمنته سورة الفاتحة: "القصد من القرآن إبلاغ مقاصده الأصلية، وهي إصلاح الدارين، وذلك يحصل بالأوامر والنواهي ولما توقفت الأوامر والنواهي على معرفة الأمر وأنه الله الواجب وجوده خالق الخلق لزم تحقيق معنى الصفات ولما توقف تمام الامتثال على الرجاء في الثواب والخوف من العقاب لزم تحقيق الوعد والوعيد. والفاتحة مشتملة على هذه الأنواع"⁽²⁾.

وقال صاحب روح المعاني فيما جمعته سورة البقرة: "والسورة الكريمة لكونها سنام القرآن ذكر فيها كليات الأحكام الدينية، من الصيام والصلاة والحج والجهاد على نمط عجيب"⁽³⁾.

وجاء في فتاوى ابن تيمية: "...كون ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾"⁽⁴⁾ تعدل ثلث القرآن، ما وجه ذلك؟ ... فقد قيل فيه وجوه، أحسنها -والله أعلم-: الجواب المنقول عن الإمام أبي العباس بن سريج، قال: معناه أنزل القرآن على ثلاثة أقسام: ثلث منها الأحكام، وثلث منها وعد ووعيد، وثلث منها الأسماء والصفات، وهذه السورة جمعت الأسماء والصفات"⁽⁵⁾.

(1) محمد بن محمد بن سليمان بن الفاسي ب ن طاهر السوسي الردواني المغربي المالكي، ت (1094هـ)، (جمع الفوائد من جامع الأصول ومجمع الزوائد)، تح وتخرىج أبو علي سليمان بن دريع، مكتبة ابن كثير، الكويت، دار ابن حزم بيروت، ط (1418هـ-1998م)، ج3، ص: 86.

(2) ينظر: ابن عاشور، (التحرير والتنوير)، ج1، ص: 75. مرجع سابق

(3) ينظر: الألوسي، (روح المعاني)، ج2، ص: 162.

(4) الإخلاص (01)

(5) أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، (مجموع الفتاوى)، دار عالم الكتب، ط (1412)، ج17، ص: 103.

خلاصة لقول:

نستخلص مما سبق أنّ السياق يرشد إلى المسلك الصحيح الذي يوصل إلى فهم مراد الله تعالى. والوصول إلى أغراض القرآن ومقاصده، لأنّ هذا الضابط من أهم الضوابط المتعلقة بالسياق، وهو يبين منزلة السياق في الوصول للمعنى.

المطلب الثاني: سياق السورة:

إنّ من أعظم دلائل الإعجاز في هذا القرآن العظيم، أنّه بني على سور متفرقة لكنها منتظمة في بناء واحد محكم، وأيّ سورة منها وحدة متكاملة متناسقة، يجمعها غرض واحد يسمى بوحدة السورة أو سياقها، ووحدة السورة أو سياقها العام هو الذي يطلع القارئ على مضمون السورة كلها، ولو تدبر القارئ وتفحص وتبصر في سورة واحدة لرأى قرآنا عجبا، وذلك بما سيتجلى له من ترابط السورة وقوة بنائها وانتظامها في خيط واحد، وكيف لا يكون ذلك وهو كلام رب العالمين الذي أتقن كل شيء.

يقول الدكتور محمد عبد الله دراز: "اعمد إلى سورة من تلك السور التي تتناول أكثر من معنى واحد، وما أكثرها في القرآن -فهي جمهرته- وتنقل بفكرك معها مرحلة مرحلة، ثم ارجع البصر كرتين: كيف بدئت؟، وكيف ختمت؟، وكيف تقابلت أوضاعها وتعاذلت؟، وكيف تلاقت أركانها وتعانقت؟، وكيف ازدوجت مقدماتها بنتائجها ووطأت أولها لأخرها؟"⁽¹⁾.

فهو يبين لنا هنا أن ننظر إلى الغرض الذي سبقت له السورة، وهذا يكون بالتركيز في معاني آياتها وننظر علاقة أول السورة بآخرها.

ومن اهتم بذلك ابن قيم الجوزية الذي كان بارعا في استخراج دقائق القرآن وأسراره. فقد بين سياق سورة التحريم فقال: "في هذه الأمثال من الأسرار البديعة ما يناسب سياق السورة، فإنها سبقت في ذكر أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، والتحذير من تظاهرن عليه، وأنهن إن لم يطعن الله ورسوله

⁽¹⁾ ينظر: عبد الله دراز، (النبا العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم)، دار القلم الكويت، د ط، ص: 144.

ويردن الدار الآخرة لم ينفعهن اتصاهن برسول الله، أما ما لم ينفع امرأة نوح ولوط اتصاهما بهما، ولهذا إنما ضرب الله في هذه السورة، مثل اتصال النكاح دون القرابة⁽¹⁾.

قال يحيى بن سلام⁽²⁾: "ضرب الله المثل الأولُ يحذر عائشة وحفصة، ثم ضرب لهما المثل الثاني يحرضهما على التمسك بالطاعة، ويدخل في سياق السورة الاستدلال بما غلب وروده في السورة...، ومن أمثلة ذلك ما ذكره ابن جرير الطبري في ترجيح ما ورد من القراءات في قوله تعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾⁽³⁾، ووردت قراءة بلفظ: ﴿إِبْرَاهِيمَ﴾⁽⁴⁾، فرجح الأولى بدلالة سياق السورة فقال: "والصواب من القراءة في ذلك عندنا قراءة من قرأ: ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ بكسر ألفها علي مثال إدراسين، لأن الله تعالى إنما أخبر عند ذكر موضع، ذكر فيه نبيا من أنبيائه - صلوات الله عليهم - في هذه السورة بأن عليه سلاما لا على آله، فكذلك السلام في هذا الموضع ينبغي أن يكون على إيلاس، كسلامه على غيره من أنبيائه.

كما أننا نجد أمثلة هذا السياق عند الإمام الطبري، وذلك في تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾⁽⁵⁾، حيث ذكر الخلاف في معنى الإحضار، هل المراد به الإحضار للعذاب أو الإحضار لمشاهدة الحساب؟، ثم قال: "وأولى القولين في ذلك بالصواب: قول من قال: إنهم لمحضرون العذاب، لأن سائر الآيات التي ذكر فيها الإحضار في هذه السورة، إنما عُني به الإحضار في العذاب، فكذلك في هذا الموضع"⁽⁶⁾.

(1) محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، (الأمثال في القرآن الكريم)، تح إبراهيم بن محمد، مكتبة الصحابة، طنطا، ط1، (1406.1986). ص: 05.

(2) هو أبو زكريا يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة البصري، نزيل المغرب، ولد سنة: (124هـ)، له اختيار في القراءة من طريق الآثار، وسمع أهل إفريقية منه تفسيره، وكتابه الجامع، قال عنه أبو عمرو الداني: كان ثقة ثبتا، عالما بالكتاب والسنة، وله معرفة باللغة والعربية أ. هـ، (ت 200 هـ)، ص: 118-119. (3) الصافات (130).

(4) ينظر: أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، (التيسير في القراءات السبع)، دار الكتاب العربي - بيروت 1404هـ، ج1، ص: 122.

(5) الصافات (158).

(6) أبو جعفر الطبري، (جامع البيان)، ج1، ص: 642.

فاستند الطبري على هذا المعنى من خلال سياق السورة، فقد ورد ذكر الإحضار في هذه السورة مرتين غير هذا الموضع: الأول: ﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾⁽¹⁾.

والثاني: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾⁽²⁾، وكليهما بمعنى الإحضار للعذاب، فيكون هذا الموضع بمعناهما.

ففي هذا العنصر اتضح لنا معنى سياق السورة، فقد ترد آيات غير واضحة المعنى، لكن عند التأمل والبحث والنظر في السورة كلها من أولها إلى آخرها فإننا قد نجد ما يزيل الغموض واللبس، ونذكر أن تقسيم القرآن إلى سور له مغزى ومقصد، وهذا من دلائل الإعجاز القرآني.

المطلب الثالث: سياق المقطع (سياق النص):

تتضمن السورة القرآنية نصوصا ومقاطع من الآيات متحدة المعاني، مترابطة المباني، لها أغراض محددة، وهذه الأغراض متناسقة ومتناسبة، تتلاحم فيما بينها، فيبني بعضها على بعض حتى تؤدي غرضا أو أغراضا خاصة لمجموع السورة تسمى بـ (وحدة السورة) أو (أغراضها) أو (مقاصدها).

هذا وتبرز أهميته في بيان وجه الصواب من أقوال العلماء، وذلك حين يكون السياق مبينا عدم صحة قول، ومبينا صواب غيره فيتبين الراجح من المرجوح، وبيان المحذوف بناء على سياق النص أو المقطع، والمقاطع والنصوص في السور تعالج غالبا قصة من قصص الأنبياء كقصص الأنبياء في سورة الشعراء أو موضعا من الأحكام كآيات الحج في سورة البقرة.

ومن أمثلة هذا العنصر من البحث: ما ذكره النحاس⁽³⁾، في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾⁽⁴⁾، في معنى هذه الآية قولان: قال ابن زيد: يبتدئ خلق الخلق ثم يعيدهم يوم القيامة. وعن

(1) الصفات (57).

(2) الصفات (127).

(3) هو: أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي النحاس، من أهل مصر رحل إلى بغداد، فأخذ عن المبرد والأخفش علي بن سليمان والزجاج وغيرهم، ثم عاد إلى مصر فأقام بها إلى أن مات سنة: 337هـ، وقيل سنة: 338هـ، له مصنفات كثيرة في إعراب القرآن والنحو، ينظر (معجم الأدباء)، ج1، ص: 617، و(طبقات المفسرين للداوودي)، ص: 72.

(4) البروج (13).

ابن عباس: "يبدئ العذاب في الدنيا ثم يعيده عليهم في الآخرة، قال أبو جعفر: وهذا أشبه بالمعنى، لأن سياق القصة أنهم أُحرقوا في الدنيا ولهم عذاب جهنم"⁽¹⁾.

إن ما يمكن استخلاصه أنّ الله عزّ وجلّ سيعيد خلق الأمم من جديد يوم القيامة، وهذا بدليل السياق القرآني ﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾⁽²⁾، فهذا دليل على إعادة الخلق مرة ثانية.

وكذلك من سياق المقطع في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَابًا مِّن سَجِيلٍ مِّنْ مَّضُودٍ﴾⁽³⁾.

قال أبو شامة⁽⁴⁾: "أي عالي مدائن قوم لوط، ولم يقدم لها ذكر، ولكن علم ذلك من سياق القصة"⁽⁵⁾.

ومن أمثلة الترجيح ما ورد في قوله تعالى: ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابٍ يَوْمَ إِلِيمٍ﴾⁽⁶⁾.

سياق الآية يرجح أن الضمير في: ﴿بَيْنِهِمْ﴾ يعود على قوم عيسى، قال الشيخ الطاهر بن عاشور: "وضمير بينهم مراد به الذين جاءهم عيسى لأنهم معلومون من سياق القصة من قوله: ﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلَفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾"⁽⁷⁾، فإنّ المجيء يقتضي مجيئاً إليه وهم اليهود"⁽⁸⁾.

(1) النحاس، (إعراب القرآن)، ج5، ص: 194.

(2) العنكبوت (64).

(3) هود (82).

(4) عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي، يلقب بأبي شامة لشامة كبيرة كانت فوق حاجبه الأيسر، ولد سنة: 599هـ، من مصنفاته: إبراز المعاني من حزر الأمان في القراءات السبع، مات سنة 665هـ. ينظر: (معرفة كبار القراء) ج2 ص: 673

(5) عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي أبو شامة، (إبراز المعاني من حزر الأمان في القراءات السبع). تح إبراهيم عطوة، مكتبة مصطفى. مصر العربية، ج2، ص: 550.

(6) الزخرف (65).

(7) الزخرف (63).

(8) محمد الطاهر بن عاشور، (التحرير والتنوير). ج13، ص: 241. مرجع سابق.

ومما ينبغي الإشارة إليه أنّ هذا السياق يوجد في القصص والتشريعات، وقد ضرب ابن كثير أمثلة في تفسيره، لقوله تعالى: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾⁽¹⁾.

تقول المرأة: ولست أبرئ نفسي، فإنّ النفس تتحدّث وتتمنّى، ولهذا راودته لأنّها أمّارة بالسوء، ﴿إِلَّا مَا رَحِمَ﴾، أي: إلّا من عصمه الله تعالى، ﴿إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

وهذا القول هو الأشهر والأليق والأنسب بسياق القصة ومعاني الكلام، وقد حكاها الماوردي⁽²⁾، في تفسيره، وانتدب لنصرة الإمام العلامة أبو العباس ابن تيمية فأفرده بتصنيف على حدة⁽³⁾.

وقد قيل: إنّ ذلك من كلام يوسف عليه السلام من قوله: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ﴾⁽⁴⁾، في زوجته ﴿بِالْغَيْبِ﴾⁽⁵⁾ الآيتين أي: إنّما رددت الرسول ليعلم الملك براءتي وليعلم العزيز ﴿أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ﴾ في زوجته ﴿بِالْغَيْبِ﴾، وقوله: ﴿أَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾⁽⁶⁾.

⁽¹⁾ يوسف (53).

⁽²⁾ هو القاضي أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري الشافعي، مفسر وفقه أصولي، ولي القضاء في بلدان شتى، كان موافقا للمعتزلة في مسألة القدر، واتهم بالاعتزال، قال السبكي رحمه الله: "هو ليس معتزلياً مطلقاً، فإنه" لا يوافقهم في جميع أصولهم مثل: خلق القرآن، كما دلّ عليه تفسيره في قوله -عز وجل: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٌ﴾ الأنبياء جزء من الآية: 02. وغير ذلك، ويوافقهم في القدر، وهي البلية التي غلبت على البصريين وعبثوا بها قديماً". أكثر من التصنيف فمن مصنفاته: تفسيره المسمى ب: (النكت والعيون)، والإقناع في الفقه، والأحكام السلطانية، وأدب الدنيا والدين وغيرها، (ت 450هـ). ينظر: (معجم الأدباء)، ج 4، ص: 314، و(طبقات الشافعية الكبرى)، ج 5، ص: 267.

⁽³⁾ ينظر: ابن تيمية، (مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية)، ج 10، ص: 257.

⁽⁴⁾ يوسف (52).

⁽⁵⁾ يوسف (52).

⁽⁶⁾ يوسف (52-53).

هذا القول هو الذي لم يحك ابن جرير⁽¹⁾ ولا ابن أبي حاتم⁽²⁾ سواه.

وقال ابن جرير أبو كريب: "حدثنا وكيع عن إسرائيل عن سماك عن عكرمة عن ابن عباس قال: لما جمع الملك النسوة فسألهن: هل راودتن يوسف عن نفسه؟ ﴿قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاودْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾⁽³⁾. قال يوسف: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾⁽⁴⁾، قال: فقال له جبريل عليه السلام: السلام. ولا يوم هممت بما هممت به. فقال: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾⁽⁵⁾، وهكذا قال مجاهد⁽⁶⁾، وسعيد بن جبير⁽⁷⁾ وعكرمة، وابن أبي الهذيل⁽⁸⁾، والضحاك⁽⁹⁾.

⁽¹⁾ أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الأملي الطبري، ولد في آمل طبرستان (224هـ)، استوطن العراق وأقام بها إلى حين وفاته، إمام متفنن مجتهد كان له مذهب متبوع ثم اندثر، وكان زاهداً ورعاً، ومصنفاته في غاية النفع، فمنها: جامع البيان في تأويل آي القرآن، وتاريخ الأمم والملوك، وتهذيب الآثار، والجامع وهو في القراءات، والتبصير في معالم الدين، وغيرها. (ت 310 هـ) ينظر: (معجم الأدباء)، ج 5، ص: 242.

⁽²⁾ أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس الحنظلي الرازي، شيخ الإسلام الحافظ ابن الحافظ، الثقة الثبت، إمام في التفسير والحديث والعبادة والزهد والصالح، وكان بحراً في العلوم، ولد (240هـ)، وصنف: التفسير المسند، والجرح والتعديل، والعلل، والرد على الجهمية، والزهد، ومناقب الشافعي، ومناقب أحمد، عده السبكي من الشافعية فذكره في طبقاته، ج 2، ص: 324، وعده ابن أبي يعلى من الحنابلة فذكره في طبقاته، ج 2، ص: 55، (ت 327هـ). ينظر (طبقات المفسرين للسيوطي)، ص: 52.

⁽³⁾ يوسف (51).

⁽⁴⁾ يوسف (52).

⁽⁵⁾ يوسف 53.

⁽⁶⁾ هو أبو الحجاج مجاهد بن جبر المكّي، المخزومي مولاها، ولد (21هـ) تابعي جليل، إمام مفسر. مقرئ، عرض القرآن على ابن مسعود رضي الله عنه ثلاث مرات يسأله عن كل آية، وعلى ابن عباس رضي الله عنهما ثلاث مرات أيضاً، له تفسير، توفي بمكة وهو ساجد (102هـ)، وقيل غير ذلك، (ينظر طبقات المفسرين للداودي)، ج 2، ص: 305.

⁽⁷⁾ هو سعيد بن جبير بن هشام الأسدي، مولاها أبو عبد الله وقيل أبو محمد، من سادات التابعين علماء وعملاء، إمام مفسر مقرئ فقيه، قرأ القرآن علي بن عباس رضي الله عنه، قتله الحجاج ظلماً سنة: (94هـ) أو (95هـ) ينظر: (سير أعلام النبلاء)، ج 4، ص: 321.

⁽⁸⁾ هو عبد الله بن أبي الهذيل، أبو المغيرة العنزي الكوفي، إمام ثقة قدوة عابد من كبار التابعين، توفي أثناء ولاية خالد القسري على العراق، وكان ذلك - ولاية خالد القسري - ابتداء من: (106هـ) إلى غاية (120هـ) ينظر: (سير أعلام النبلاء)، ج 4، ص: 170. بتصرف.

⁽⁹⁾ الضحاك بن مزاحم الهلالي، أبو محمد وقيل أبو القاسم، له باع كبير في التفسير والقصص، وكان من أوعية العلم، وليس بالمجود لحديثه، وهو صدوق في نفسه، وهو يروي التفسير عن ابن عباس ولم يلقه، وإنما لقي سعيد بن جبير في الري فأخذ عنه التفسير، ت: (102هـ)، وقيل غير ذلك. ينظر: (سير أعلام النبلاء)، ج 4، ص: 598.

خلاصة القول:

يظهر من خلال الأقوال السابقة أنّ يوسف هو المقصود، وهذا بدلالة السياق عندما اتُّهم بفعل الفاحشة، فقد برّاه الله عزّ وجل في القرآن، وهذا باستشهاد النسوة على ذلك، قال تبارك وتعالى: ﴿مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاودْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾⁽¹⁾.

هذا ما استشهد به ابن كثير، حيث قال: "والقول الأول أقوى وأظهر، لأن سياق الكلام كله من كلام امرأة العزيز بحضرة الملك، ولم يكن يوسف -عليه السلام- عندهم، بل بعد ذلك أحضره الملك"⁽²⁾.

المطلب الرابع: سياق الآية:

إننا حينما نتمعن في كتاب الله عز وجل نجد أن كل آية من كتاب الله عز وجل تحمل غرضاً مستقلاً، فإذا كان هناك خلاف في معنى آية، فإننا ننظر في السياق، كوجود لفظ مشترك في الآية لا يتضح معناه إلا بمعرفة سياق الآية، وفي سياق الآية يكون النظر في السابق واللاحق في الآية الواحدة، دون ما يسبقها أو يلحقها من آيات أخرى.

يعد سياق الآية من أهم أنواع السياق التي تناولها العلماء في تفسير القرآن والوقوف على معانيه، والترجيح بين المعاني التي يظهر بينها شيء من التعارض.

ولنا أن نضرب أمثلة في هذا النوع من أنواع السياق القرآني، فمن الأمثلة ما ذكره بعض المفسرين في المراد بالإحصان في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا أَحْصَيْنَ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ﴾⁽³⁾، المراد بالإحصان هنا ما رجحه ابن كثير والشنقيطي.

⁽¹⁾ يوسف (51).

⁽²⁾ ينظر: ابن كثير، (تفسير القرآن العظيم)، ج 4، ص: 394-395، مصدر سابق.

⁽³⁾ النساء (25).

قال ابن كثير في تفسير لهذه الآية: "أن المراد بالإحصان هنا: التزويج لأن سياق الآية يدل عليه حيث يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكَحِ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ فِتْيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ﴾⁽¹⁾. والله أعلم.

والآية الكريمة ساقها في الفتيات المؤمنات فتعين أن المراد بقوله: ﴿فَإِذَا أَحْصِنَّ﴾، أي: تزوجن كما فسره ابن عباس وغيره⁽²⁾.

وقال الشنقيطي⁽³⁾ في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا أَحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ﴾، أي: فإذا تزوجن، وقول من قال من العلماء، إن المراد بالإحصان في قوله: ﴿فَإِذَا أَحْصِنَّ﴾ الإسلام خلاف الظاهر من سياق الآية، لأن سياق الآية في الفتيات حيث قال: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا﴾⁽⁴⁾،⁽⁵⁾.

ومن هنا يتبين لنا أن ابن كثير والشنقيطي رحمهما الله، قد اتفقا على تحديد المعنى بدلالة سياق الآية.

ومن الأمثلة في تعيين غرض الآية، قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾⁽⁶⁾، مقصود هذه الآية هو بيان شرف النفقة، ومضاعفة ثوابها، وبالتالي فهو حث على الإنفاق في سبيل الله تعالى.

قال ابن عطية: "هذه الآية بيان مثل بشرف النفقة في سبيل الله، وبحسنها، وضمنها التحريض على ذلك"⁽⁷⁾.

(1) النساء (25).

(2) ينظر: ابن كثير، (تفسير القرآن العظيم)، ج 1، ص: 477، مصدر سابق.

(3) هو محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر بن المختار الجكني الشنقيطي، ولد (1305هـ)، له تفسير (أضواء البيان)، مات (1393هـ)، ودفن بمكة، ينظر: (مقدمة كتابه) للشيخ عطية محمد سالم.

(4) النساء (25).

(5) ينظر: الشنقيطي، (أضواء البيان)، ج 1، ص: 233.

(6) البقرة (261).

(7) ينظر: ابن عطية، (المحرر الوجيز)، ج 1، ص: 355.

قال ابن كثير في قوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾⁽¹⁾، "﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾" الفظ: الغليظ، والمراد به ههنا غليظ الكلام، لقوله بعد ذلك: ﴿غَلِيظَ الْقَلْبِ﴾، أي: لو كنت سيئ الكلام قاسي القلب عليهم لانفضوا عنك وتركوك، ولكن الله جمعهم عليك، وألان جانبك لهم تأليفا لقلوبهم⁽²⁾.

نجد أنه قصر دلالة كلمة (فظ) على خشونة الكلام رغم أن معناها الغليظ⁽³⁾ فتحمل عدة معان منها: غليظ اللسان وغليظ القلب، لأنه أتى في لحاقها غليظ القلب في قوله: ﴿غَلِيظَ الْقَلْبِ﴾ فقصر دلالة (فظا) على غليظ اللسان لئلا يكون في الكلام تكرار لا فائدة منه فينا في فصاحة القرآن.

خلاصة لما سبق:

من خلال قراءتنا في أنواع السياق القرآني تبين لنا عظمة القرآن في ترابطه وإحكامه، ومنه ندرك أن السياق يرشد إلى المسلك الصحيح الذي يوصل إلى فهم كلام الله. وهذا الضابط من أهم الضوابط المتعلقة بالسياق، وهو يبين منزلة السياق الذي عن طريقه يتم الوصول إلى المعنى الصحيح. كما أن السياق هو الذي يجعل الكلام متناسقا منتظما، وهذا هو المتوافق مع كتاب الله المحكم المعجز الذي انتظمت سوره وآياته وجمله. وتفسير كلام الله على وجه يراعي انتظامه أعظم مسلك في التفسير وأدعى إلى الوصول لمراد الله فيه، بينما الإعراض عن السياق يجعل الكلام متنافرا منقطعة أجزاءه مما يجعل كلام الله متنافرا وهو الذي يوقع في الخطأ في التفسير.

ولقد رأينا مجموعة من المفسرين اعتمدنا عليهم في هذا المبحث كابن كثير والشنقيطي والطبري... كلهم اعتمدوا في تفسيراتهم على السياق لفهم كتاب الله عز وجل، فاللهم علمنا بما ينفعنا يا رب العالمين.

⁽¹⁾ آل عمران: (159).

⁽²⁾ ابن كثير، (تفسير القرآن العظيم)، ج2، ص: 148.

⁽³⁾ ابن منظور، (لسان العرب)، ط3، (1414هـ)، فصل الفاء، مادة: فظظ، ج7، ص: 452..

المطلب الرابع: مرادفات السياق.

لقد استعمل العلماء مرادفات وأسماء أخرى لمدلول كلمة السياق منها ما يلي:

1- المقام (لكلِّ مقامٍ مقال):

لغة: قال ابن فارس: "القاف والواو والميم أصلان صحيحان، يدل أحدهما على جماعة ناس، وربما استعير في غيرهم، والآخر على انتصاب أو عزم"⁽¹⁾.
 واصطلاحاً: فقد عرفه تمام حسان بقوله: " هو الوجه الذي تتمثل فيه العلاقات والأحداث والظروف الاجتماعية التي تسود ساعة أداء المقال"⁽²⁾.

للتذكير فإن ابن كثير قد استخدم المقام بمعنى السياق، وذلك في حديثه عن قصة الشيطان مع آدم: " هذا مقام ذكر الله تعالى فيه شرف آدم على الملائكة، بما اختصه به من علم أسماء كل شيء دونهم، وهذا كان بعد سجودهم له، وإنما قدم هذا الفصل على ذاك، لمناسبة ما بين هذا المقام وعدم علمهم بحكمة خلق الخليفة، حين سألوا عن ذلك، فأخبرهم الله تعالى بأنه يعلم ما لا يعلمون، ولهذا ذكر الله تعالى هذا المقام ليبين لهم شرف آدم بما فضل به عليهم في العلم، فقال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾"⁽³⁾⁽⁴⁾.

2- نظرية النظم:

ورد تعريفه في مقاييس اللغة لابن فارس: النون والطاء والميم: أصل يدل على تأليف شيء وتأليفه، نظمت الحرز نظماً، ونظمت الشعر وغيره"⁽⁵⁾.

وقال الجرجاني: " وذلك أن نظم الحروف هو تواليها في النطق فقط، وليس نظمها بمقتضى عن معنى، ولا الناظم لها بمقتف في ذلك رسماً من العقل اقتضى أن يتحرى في نظمه لها ما تحراه. فلو أن واضع اللغة كان قد قال رضى مكان ضرب لما كان في ذلك ما يؤدي إلى فساد. وأما نظم الكلم فليس

(1) ابن فارس، (معجم مقاييس اللغة)، ج5، ص: 43.

(2) تمام حسان، (اللغة العربية معناها ومبناها)، ط3 (1418هـ - 1999م) عالم الكتب، ص: 337.

(3) البقرة (31).

(4) ابن كثير، (تفسير القرآن العظيم)، ج1، تح سامي بن محمد سلامة: دار طيبة للنشر والتوزيع - ط3 (1420هـ - 1999م)، ص: 222.

(5) ابن فارس، (معجم مقاييس اللغة)، ج5، ص: 443.

الأمر فيه كذلك، لأنك تقتضي في نظمها آثار المعاني، وترتيبها على حسب ترتيب المعاني في النفس. فهو إذاً نظم يعتبر فيه حال المنظوم بعضه مع بعض، وليس هو النظم الذي معناه ضم الشيء إلى الشيء كيف جاء واتفق⁽¹⁾.

وكذلك كان عندهم نظيراً للنسج والتأليف والصياغة والبناء والوشي والتحبير، وما أشبه ذلك مما يوجب اعتبار الأجزاء بعضها مع بعض، حتى يكون لوضع كل حيث وضع علة تقتضي كونه هناك، وحتى لو وضع في مكان غيره لم يصح⁽²⁾.

ويقول: "واعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي تُهَجَّت فلا تزيع عنها وتحفظ الرسوم التي رُسمت لك، فلا تخل بشيء منها"⁽³⁾.

مثاله قول الشنقيطي⁽⁴⁾: في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾⁽⁵⁾: "فإن الضمير يحتمل أن يكون عائداً على الإنسان، وأن يكون عائداً إلى رب الإنسان المذكور في قوله: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾"⁽⁶⁾ ولكن النظم الكريم يدل على عوده إلى الإنسان وإن كان هو الأول في اللفظ بدليل قوله بعده: ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾"⁽⁷⁾، فإنه للإنسان بلا نزاع ولا شك، وتفريق الضمائر بجعل الأول للرب والثاني للإنسان لا يليق بالنظم الكريم⁽⁸⁾، فاستخدم النظم بمعنى السياق المراد، وهذا لا يليق بالسياق القرآني الكريم.

3- دلالة الحال، (مقتضى الحال أو قرينة الحال):

هذا عند من يعمّم مفهوم السياق أما من يخصصه بالسباق واللاحق فيجعل القرينة قسيمة له.

(1) الجرجاني، (دلائل الإعجاز)، ج 1، ص: 49.

(2) نفسه، ص: 49.

(3) نفسه، ص: 81.

(4) محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، (1325 - 1393 هـ / 1907 - 1973 م)، مفسر مدرّس من علماء شنقيط (موريتانيا) له كتب، منها: أضواء البيان في تفسير القرآن، منع جواز الجاز، دفع إيهام الاضطراب عن أي الكتاب. ج 6، ص: 44-45.

(5) العاديات (07).

(6) العاديات (06).

(7) العاديات (08).

(8) الشنقيطي، (أضواء البيان)، ج 1، ص: 33-34.

مثال ذلك: سال عقبة بن عامر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أخت له نذرت أن تحج حافية غير مختمرة؟ فقال: ((مرها فلتختمر ولتصم ثلاثة أيام))⁽¹⁾.

يفهم من الحديث أنّ المرأة لا يجوز لها أن تحجّ إلا بلباس ساتر ومحتشم، وأن النذر لا يقع في اللباس الغير محتشم، كما أشار إلى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((مرها فلتختمر))، وإنّما النذر يقع في الثانية، تسير وتركب إن تعبت وعجزت، وتصوم ثلاثة أيّام عن نذرها.

4- القرينة: ورد تعريفها عند الكفوي بقوله "هي ما يوضح عن المراد لا بالوضع، بل تؤخذ من لاحق الكلام الدال على خصوص المقصود، أو سابقه"⁽²⁾.

وهذا عند من يعمم مفهوم السياق أما من يخصه بالسباق واللاحق فيجعل القرينة قسيمة له.

5- الغرض (مقصود الكلام):

ومما جاء عن الغزالي أنه قال في قوله تعالى: ﴿فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾⁽³⁾: فإنه أوجب السعي، والتعريض على البيع مانع. فكان تحريمه لكونه مانعا. فلا جرم انعقد البيع وفارق البيع المنهي عنه لعينه.

فإن قيل: وبم عرف هذا؟ وهلا قيل: السعي إلى الجمعة مقصود بالإيجاب، والمنع من البيع أيضا مقصود؟

فإنّه فهم ذلك من سياق الآية فهما لا يتمارى فيه.

فإن قيل: السياق عبارة بمحملة، فما معنى السياق؟ وما مستند هذا الفهم؟

قلنا: المعنى به: أن هذه الآية في سورة الجمعة إنما نزلت وسيقت لمقصد: وهو بيان السعي وحضور الجمعة، قال الله - تعالى - ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ

(1) أبو عبد الله أحمد بن شعيب بن علي الخرساني (البدائي)، (ت303 هـ)، (السنن الكبرى)، حققه وخرّج أحاديثه حسن عبد المنعم سلمي، كتاب النذور، برقم: 4788، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، (1421هـ-2001م)، ج4، ص: 452.

(2) أبو البقاء (الكفوي)، (ت1094هـ)، (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية)، (الكلبيات)، تح عدنان درويش - محمد المصري - ن: مؤسسة الرسالة - بيروت. ص: 734. بتصرف

(3) الجمعة (09).

اللَّهُ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ⁽¹⁾، قال الغزالي: "وما نزلت الآية لبيان أحكام المبيعات ما يحل منها وما يحرم. فالتعرض للبيع - لأمر يرجع إلى البيع في سياق هذا الكلام - يخلط الكلام ويخرجه عن مقصوده، ويصرفه إلى ما ليس مقصوداً به"⁽²⁾.

6- المناسبة:

إذا رجعنا إلى كتاب مقاييس اللغة فإننا نجد يعرف المناسبة بقوله: "النون، والسين، والباء، كلمة واحدة، قياسها اتصال شيء بشيء، منه النسب، سمي لاتصاله، وللاتصال به تقول: نسبت أنسب. وهو نسب فلان. والنسب: الطريق المستقيم، لاتصال بعضه من بعض"⁽³⁾.

ويقول البقاعي عن المناسبة: "هو علم تعرف منه علل ترتيب أجزاء القرآن"⁽⁴⁾.

فهو إذن قد علل ترتيب أجزاء القرآن من علم السياق.

7- اللسان: أطلق بعض العلماء مصطلح اللسان على السياق، وقد أطلق في القرآن على

كلام الله تعالى قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾⁽⁵⁾

من خلال البحث والقراءة وجدنا أن الحافظ بن حجر قد استعمل اللسان بمعنى السياق، هذا ما نجده في قول الحافظ ابن حجر⁽⁶⁾ شارحاً ما روته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: أَنَّ امْرَأَةً سَأَلَتْ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ غُسْلِهَا مِنَ الْمَحِيضِ فَأَخْبَرَهَا كَيْفَ تَغْتَسِلُ ثُمَّ قَالَ: ((خُذِي فِرْصَةً مِنْ

(1) الجمعة (06)

(2) أبو حامد الغزالي، (شفاء الغليل في بيان الشبه والمخيل ومسالك التعليل)، تح حمد الكبيسي، -، مطبعة الإرشاد - بغداد - ط: (1390 هـ - 1981)، ص: 50 - 51.

(3) ابن فارس، (معجم مقاييس اللغة)، ج5، مصدر سابق ص: 223 - 424.

(4) البقاعي، (نظم الدرر)، ص: 05.

(5) النحل (103).

(6) أحمد بن علي بن محمد الكناي العسقلاني، أبو الفضل، شهاب الدين، ابن حجر: من أئمة العلم والتاريخ. (773 - 852 هـ = 1372 - 1449 م)، من تصانيفه: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لسان الميزان، بلوغ المرام من أدلة الأحكام، فتح الباري في شرح صحيح البخاري، ص: 177-178.

مَسْنِكَ فَتَطَهَّرِي بِهَا قَالَتْ وَكَيْفَ أَتَطَهَّرُ بِهَا فَاسْتَتَرَ كَذَا ثُمَّ قَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ تَطَهَّرِي بِهَا قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَجَذَبْتُ الْمَرْأَةَ وَقُلْتُ تَتَّبِعِينَ بِهَا أَثَرَ الدَّمِّ⁽¹⁾ قال: " وفيه الاكتفاء بالتعريض والإشارة إلى الأمور المستهجنة، وتكرير الجواب لإفهام السائل، وإنما كرره مع كونها لم تفهمه أولاً، لأن الجواب به يؤخذ من إعراضه بوجهه عند قوله: (توضئي) أي في المحل الذي يستحي من مواجهة المرأة بالتصريح به، فاكتفى بلسان الحال عن لسان المقال، وفهمت عائشة - رضي الله عنها ذلك عنه فتولت تعليمها . وبوب عليه المصنف في الاعتصام (الأحكام التي تعرف بالدلائل) " ⁽²⁾ قوله: فاكتفى بلسان الحال . يعني بالسياق عن النطق.

⁽¹⁾ أخرجه البخاري، في كتاب: الحيض، باب ذلك المرأة نفسها إذا تطهرت من الحيض، وكيف تغتسل، وتأخذ فرصة ممسكة، فتتبع أثر الدم، ج 1، ص: 70.

⁽²⁾ ابن حجر العسقلاني، (فتح الباري شرح صحيح البخاري) دار المعرفة - بيروت - ط (1379هـ)، ج 1، ص: 416،

المبحث الثالث: أسباب النزول (سياق التنزيل) مفهومه وأهميته

المطلب الأول: مفهوم أسباب النزول وبيان أهميته.

يعتبر سياق التنزيل، أو علم أسباب النزول من العلوم الضرورية لفهم القرآن الكريم وتفسيره، إذ لا يمكن للمفسر أن يستغني عن هذا العلم، لأن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب، هذا ما نجده في قول ابن تيمية: "ومعرفة سبب النزول يعين على فهم الآية".⁽¹⁾

ومما ورد من الإمام الشاطبي: "أن معرفة التنزيل لازمة لمن أراد علم القرآن"⁽²⁾.

ومنه فإن المفسر لا بد له من هذا العلم المتعلق بأسباب النزول، حتى يعلم من نزلت فيه الآية، ومعرفة المتقدم من المتأخر لإصدار الحكم. وحتى يعلم ملابسات النزول فلا بد من تعريف هذا العلم، فما مدلول هذا المصطلح- أسباب النزول-؟ وماهي أنواعه؟ وما طرق معرفته وما فوائده؟ كل هذه التساؤلات سنجيب عنها في هذا المبحث.

تعريف أسباب النزول: يتألف لفظ سبب النزول من كلمتين مركبتين.

الأولى: أسباب جمع سبب، وسبب في اللغة كل ما يتوصل به إلى غيره، قال الفيروز أبادي: والسبب الحبل وما يتوصل به إلى غيره، ويجمع على أسباب، وأسباب السماء مراقبتها، أو نواحيها، أو أبوابها، وقطع الله به السبب أي الحياة، وقوله تعالى: ﴿فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ﴾⁽³⁾، إشارة إلى قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلَيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾⁽⁴⁾

ويقول صاحب فوات الوفيات: "جعلت فلانا لي سببا إلى فلان في حاجتي وودجا أي وُصلة ودريعة"⁽⁵⁾.

⁽¹⁾ تقي الدين أحمد بن عبد الحليم (ابن تيمية)، (601-728)، (مقدمة في أصول التفسير)، دار مكتبة الحياة بيروت، لبنان، ط (1490هـ - 1980م)، ص: 16.

⁽²⁾ الشاطبي، (الموافقات)، ج3، ص: 347، مصدر سابق.

⁽³⁾ ص: (10).

⁽⁴⁾ الطور (38).

⁽⁵⁾ محمد شاكر الكتيبي، (فوات الوفيات)، (ت 664هـ)، تح إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

وقوله عز وجل: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴾⁽¹⁾ فالمعنى أن الله تعالى أعطاه من كل شيء معرفة وذريعة يتوصل بها، فأتبع واحدا من تلك الأسباب وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقَدْ لِي يَا هَامَانَ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى﴾⁽²⁾ قال الفيروز آبادي في تفسير هذه الآية أي: ﴿لعلني أبلغ الأسباب والذرائع الحادثة في السماء، فأتوصل بها إلى إله معرفة ما يدعيه موسى﴾⁽³⁾.

خلاصة القول:

يتضح لنا من المعنى اللغوي أن السبب هو الطريق الموصل إلى معرفة الحقائق، وهذا ما نجده في سياق الحديث الذي يقول فيه النبي صلى الله عليه وسلم: فإن هذا القرآن سبب، المعرفة بيد الله، وطرفه بأيديكم"⁽⁴⁾.

الثانية: النزول، مصدر من نزل، ينزل، نزولا، وهذا الانحطاط من علو، تقول العرب: نزل في مكان كذا، حط رحله فيه.

وفي هذا فال الراغب: "النزول في الأصل هو الانحطاط من علو، يقال نزل عن دابته في مكان كذا، حط رحله فيه، وأنزله غيره"⁽⁵⁾.

أما في الاصطلاح: (سبب النزول).

فقد عرفه مناع القطان، حيث قال: "والذي يعرف سبب النزول مما يأتي: "وهو ما نزل قرآن بشأنه وقت وقوعه كحادثة أو سؤال"⁽⁶⁾.

(1) الكهف (84).

(2) القصص (38).

(3) الفيروز آبادي، (بصائر التمييز في لطائف الكتاب العزيز)، ج3، ص: 169.

(4) أخرجه ابن حبان في صحيحه، كتاب العلم، ذكر نفى الظلال عن الآخر بالقرآن رقم: 122.

4 الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص: 799.

(6) مناع القطان، مباحث في علم القرآن، ص: 259.

وقال السيوطي: " بأنه ما نزلت الآية أيام وقوعه"، فيخرج بهذا ما ذكره الواحدي في سورة الفيل، من أن سببها قدوم الحبشة، لأنها من باب الإخبار عن الوقائع الماضية، كقصة قوم نوح وعاد وثمود، وبناء بناء البيت ونحو ذلك⁽¹⁾.

ويذكر الحسن بن خلويه أن مصطلح سبب النزول يقتصر إطلاقه على أمرين: "حادثة ينزل القرآن بشأنها، أو أن يسأل النبي صلى الله عليه وسلم، فنزل القرآن الكريم بالجواب"⁽²⁾.

فأما الحادثة التي نزل القرآن بشأنها، فهي كسبب نزول قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾⁽³⁾.

نزلت في شأن خولة بنت ثعلبة حينما ظاهر منها زوجها أوس بن الصامت، فنزلت سببها آيات الطهارة في مطلع سورة المجادلة⁽⁴⁾.

وأما سؤاله صلى الله عليه وسلم، فهو كسبب نزول قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾⁽⁵⁾. فقد نزل في شأن اختلاف المسلمين في غنائم بدر وسؤالهم النبي صلى الله عليه وسلم عن حكمها⁽⁶⁾.

خلاصة القول:

إن علم أسباب النزول جاء يبين من نزلت فيه الآية، كما جاء ليبين الحكم الفصل فيما كان يتلقاه النبي صلى الله عليه وسلم من أسئلة، فقد كان ينتظر قراءات تنزل بشأن الحادثة كما ذكرنا ما نزل في شأن خولة بنت ثعلبة مع زوجها، كما أن سبب النزول يعين على فهم كتاب الله عز وجل، ومعرفة النص السابق من اللاحق لإصدار الحكم.

(1) علي بن أحمد الواحدي النيسابوري أبو الحسن أسباب النزول، ص: 259.

(2) الحسن بن خلوي بن حسن (الموكل)، (أسباب النزول وأثرها في تفسير القرآن)، دراسة تطبيقية على سورة البقرة، حولية كلية المعلمين، العدد الثامن، عام 1426، ص: 16.

(3) المجادلة (01).

(4) ينظر تفصيل الحادثة في كتاب أسباب النزول للواحدي، ص: 433.

(5) الأنفال (01).

(6) ابن جرير الطبري (جامع البيان)، ج4، ص: 102، مصدر سابق.

المطلب الثاني: فوائد معرف أسباب النزول.

لقد استنبط العلماء فوائد كثيرة من معرفة أسباب النزول، نذكر منها ما يلي:

- (1) توضح الحكمة الباعثة على تشريع الحكم، وإدراك مراعاة الشرع للمصالح العامة في علاج الحوادث رحمة بالأمة، ويظهر ذلك في كثير من الأحكام كتحریم الخمر وتشريع اللعان وأحكام الطلاق، فما من حكم شرعه الله تعالى إلا وله غاية ومقصد، راعى فيه مصالح عباده، من جلب مصلحة أو درء مفسدة. ويظهر هذا جلياً في القرآن الكريم، مثل سبب تحریم الخمر أن الحكمة والعلة من تحریمهما أنها تذهب العقل، ويترتب على ذلك العداوة والبغضاء والصد عن ذكر الله وعن الصلاة.
- (2) جاء في صحيح مسلم أن: ((الوقوف على المعنى الصحيح للآية، ورفع الإشكال الذي يكتنفها)). فبعض الآيات إذا فسرت بدون معرفة سبب نزولها فغنّها تفسر على غير وجهها الصحيح، والأمثلة في هذا الشأن كثيرة منها قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾⁽¹⁾. فهذا اللفظ يدل في ظاهره أن الإنسان يصلي إلى أي جهة شاء، ولا يجب عليه أن يولي وجهه شطر المسجد الحرام لا حضر ولا في سفر، ولكن عندما يقف المفسر عند سبب نزولها يزول اللبس ويعلم أن هذه الآية نزلت في نافلة السفر خاصة، أو فيمن صلى باجتهاده، ثم بان له خطؤه، تبين له أن المراد التخفيف على خصوص المسافر في صلاة النافلة، أو على المجتهد في القبلة إذا صلى وتبين له خطؤه. فعن ابن عمر رضي الله عنه: " أن هذه الآية نزلت في صلاة المسافر على الراحلة أينما توجهت، وقيل: عميت القبة على قوم وصلوا إلى أنحاء مختلفة، فلما أصبحوا تبينوا خطأهم فعذروا".
- (3) دفع توهم الحصر: ومعناه أنه يبين خطأ تخصيص حكم النص، بل أريد به العموم.

(1) البقرة (115).

قال الشافعي: في معناه في قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعُمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلًا لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾⁽¹⁾. إن الكفار لما حرموا ما أحل الله، وأحلوا ما حرم الله، وكانوا على المضادة والمحادثة، جاءت مناقضة لفرضهم فكأنه قال: "لا حلال إلا ما حرمتهم، ولا حرام إلا ما أحللتهم، فيكون القصد إثبات التحريم فيها لا إثبات حل ما سواها".⁽²⁾

4) معرفة سبب النزول خير سبيل لفهم معاني القرآن، كتخصيص الأحكام الوارد بصيغة العموم كقوله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾⁽³⁾.

فظاهر الآية أن الوعيد عام لكل من فرح أو أوتي أو أحب أن يحمد بما لم يفعل، ولكن الوقوف على سبب نزول الآية يعلم أن الوعيد خاص بمن نزلت فيهم. روي أن مروان بن الحكم لبوابه: اذهب إلى ابن عباس، فقال له: لئن كان كل امرئ منا فرح بما أوتي وأحب أن يحمد بما لم يفعل يعذب، لنعذبن أجمعون، قال ابن عباس مالكم ولهذا الآية، إنما أنزلت في أهل الكتاب، ثم تلا قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾⁽⁴⁾. إلى قوله: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾، قال ابن عباس: "فسألهم النبي صلى الله عليه وسلم عن شيء فكتموه وأخبروه بغيره، فخرجوا وقد أروه أن قد أخبروه بما سألهم عنه فاستحمدوا ذلك إليه وفرحوا بما أوتوا هي كتمان ما سألهم عنه"⁽⁵⁾. فمن يرى أن العبرة بخصوص السبب يتبين له أن الوعيد خاص بمن نزلت فيهم من أهل الكتاب، مع أن لفظها عام.

⁽¹⁾ الأنعام (145).

⁽²⁾ الزركشي، (البرهان في علوم القرآن)، ج 1، ص: 20.

⁽³⁾ آل عمران (188).

⁽⁴⁾ آل عمران (178).

⁽⁵⁾ رواه البخاري في كتاب التفسير، باب: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ﴾، ج 5، ص: مصدر سابق: 184.

5) معرفة من نزلت فيه الآية حتى لا يشتبه بغيره، وبالتالي يتهم البريء ويبرأ المريب، ومثال هذا أن مروان بن الحكم⁽¹⁾ اتهم عبد الرحمان بن أبي بكر⁽²⁾، بأنه نزل فيه قوله تعالى: "﴿وَالَّذِي قَالَ لَوْلَا إِلَهِهُ أَفْ لَكُمْ﴾"⁽³⁾، فردت عليه أم المؤمنين عائشة بقولها: ((ما أنزل الله فينا شيئاً من القرآن إلا أن الله أنزل عذري))، وفي رواية قالت: ((لو شئت أن أسمى الذي نزلت فيه لسميته))⁽⁴⁾.

يتضح لنا من كلام عائشة رفع التهمة وتبرئة المتهم، ولعلها سبب عدم تسميتها لمن نزلت فيه الآية هو أنه من ستر مسلماً ستره الله، وحتى لا يقع فيما لا يحمد عقباه.

6) تيسير الحفظ والفهم لأن ربط الأسباب بالمسببات، والحوادث بالأشخاص، والأحكام بالحوادث، والأزمنة بالأمكنة، يرسخها في العقل، ويسهل استذكارها وتذكر معانيها. هذه بعض الفوائد ذكرناها في هذا المبحث ليتضح لنا ولندرك الأهمية البالغة لمعرفة أسباب النزول في تفسير القرآن الكريم على وجهه الصحيح.

المطلب الثالث: صيغ التعبير عن أسباب النزول

للعلماء في معرفة صيغ أسباب النزول طريقتان: صريح ومحمّل. فأما الطريقة الأولى (الصريح) ما كان نصاً صريحاً في السبب وله صورتان:

⁽¹⁾ مروان بن الحكم، هو مروان بن الحكم بن أبي العاص أبو عبد الملك القرشي الأموي، كان كاتب عثمان واليه الخاتم فحانه وأجلبوا سبب على عثمان، ثم نجأ هو، وسار مع طلحة والزبير للطلب بدم عثمان، فقتل طلحة يوم الجمل، ونجأ - لا نجى - ثم ولي المدينة غير مرة لمعاوية، وكان أبوه قد طرده النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى الطائف ثم أقدمه عثمان إلى المدينة لأنه عمه. ولما هلك ولد يزيد، أقبل مروان، وانضم إليه بنو أمية وغيرهم، وحارب الضحّاك الفهري، فقتله، وأخذ دمشق، ثم مصر، ودعا بالخلافة، وكان ذا شهامة، وشجاعة، ومكر، ودهاء، مات (65 هـ). ينظر: سير أعلام النبلاء، ج3، ص: 476.

⁽²⁾ هو عبد الرحمان بن أبي بكر الصديق، شقيق أم المؤمنين عائشة حصر بدرًا مع المشركين، ثم أسلم وهاجر قبيل الصبح، وكان من الرماة المذكورين، مات (53 هـ). ينظر: سير أعلام، ج2، ص: 471.

⁽³⁾ الأحقاف (27).

⁽⁴⁾ ينظر: تفاصيل القصة في صحيح البخاري، (كتاب التفسير)، باب ﴿وَالَّذِي قَالَ لَوْلَا إِلَهِهُ أَفْ لَكُمْ﴾، ج6، ص: 42.

أولاً: أن يقول الراوي سبب نزول الآية كذا وكذا، فيصرح بلفظ السبب، ورد عن عماد الدين محمد رشيد أنه قال: "وهذه الصيغة أصرح ما يكون في السببية، إلا أنني لم أجد لها مثالا في كتب أسباب النزول، ولم يمثل لها من تكلم في علوم القرآن، من مشاهير العلماء، ويبدو أنها صيغة نظرية والله أعلم".⁽¹⁾

ثانياً: أن يأتي الراوي بفاء تعقيبية داخلية في مادة النزول، بعد ذكر حادثة أو سؤال، كأن يقول: حدث كذا وكذا، فنزلت الآية، أو يقول: سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن كذا فنزلت الآية، أو فنزل قوله تعالى.

إن ما يمكن استخلاصه من خلال القولين، أن هاتين الطريقتين واضحتين، وصريحتين في السببية. الطريقة الثانية: ما كان محتملا للسببية، ولأمر آخر، ومنه فالحتمل صيغته ليست قوية في الدلالة على السببية.

مثال ذلك: كأن يقول الراوي: نزلت هذه الآية في كذا، أو يقول: أحسب أن هذه الآية نزلت في كذا.

ومنه فهذه الصيغة تحتمل السببية وتحتمل معنى آخر، وهو ما ذكره الراوي داخل في معنى الآية.

المطلب الرابع: طرق معرفة أسباب النزول.

لا سبيل ولا مجال للرأي في عرفة أسباب النزول إلا بالنقل الصحيح عن الصحابة الذين عاشوا نزول القرآن، ووقفوا على أسباب نزوله، قال الواحدي: "ولا يحل القول في أسباب نزول الكتاب إلا بالرواية والسماع من شاهدوا التنزيل، ووقفوا على الأسباب"⁽²⁾.

يفهم من كلام الواحدي أنه لا يجوز ولا يحل القول في أسباب نزول كلام الله عز وجل إلا بالرواية الصحيحة والنقل الصحيح عن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك لأنهم تلقوه مشافهة

⁽¹⁾ عماد الدين محمد الرشيد، أسباب النزول وأثرها في بيان النصوص، دراسة مقارنة بين أصول التفسير وأصول الفقه، دار الشهاب، (1420 هـ - 1999 م)، ص: 47.

⁽²⁾ الواحدي أسباب النزول، ص: 43، مصدر سابق.

وسماعاً منه، هذا ما ذهب إليه محمد بن سيرين⁽¹⁾، حيث قال: "سألت عبيدة⁽²⁾ عن آية من القرآن، فقال: اتق الله وقل سداداً، ذهب الذين يعلمون فيمن أنزل القرآن"⁽³⁾.

نفهم مما قاله الواحدي، أنه التثبت والتروي في نقل الحقائق، سواء في سبب النزول، بل في كل خبر، وهذا نفهمه من سياق الحديث الذي يقول فيه صلى الله عليه وسلم: ((اتقوا الحديث إلا ما علمتم فإنه من كذب علي متعمداً فليتبوا مقعده من النار))⁽⁴⁾.

خلاصة لما سبق:

إنه إذا كان طريق معرفة أسباب النزول، بالنقل الصحيح عن الصحابة وصح السند، وتواترت الرواية، وكانت صيغة صريحة في السببية فهو مقبول، ويؤخذ به، ويستند عليه ويعمل بما فيه، ويبقى حكمه حكم الموقوف، وشرط قبولهما صحة السند، وكان من أئمة التفسير الآخذين عن الصحابة.

المطلب الخامس: علاقة السياق بأسباب النزول:

إن الدارس في مجال التفسير والعلوم المتصلة بالقرآن ليجد أن أسباب النزول مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالسياق، بل هو أصل فيه كما قررت سابقاً.

هذا مما لا ينكره عاقل أن الله جل جلاله أنزل كتابه الكريم لهداية العباد إلى طريق الرشاد وهو السبب العام لنزوله، غير أن هناك آيات نزلت لأسباب خاصة، يقول الشاطبي موضحاً فائدة أسباب النزول بمعناها العام المرتبط بالسياق وتلازم الصلة بين السياق وأحوال التنزيل: "إن المساقات تختلف باختلاف الأحوال، والأوقات والنوازل، وهذا معلوم في علم المعاني والبيان"⁽⁵⁾، فهو هنا اعتبر معرفة

⁽¹⁾ تابعي جليل، أبو بكر محمد (ابن سيرين)، مولى مالك بن أنس، كان أبوه من سبي عين النمر، كان عالماً فقيهاً عابداً، قال مورك العجلاني: ما رأيت رجلاً أفقه في ورعه ولا أروع في فقهه من محمد بن سيرين (ت 110 هـ)، ينظر صفوة التفاسير، ج 3، ص: 241.

⁽²⁾ تابعي جليل، أبو عمرو السلماني أسلم قبل وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يلقه، كان عالماً فقيهاً، قال عنه ابن سيرين ما رأيت رجلاً أشد تقياً من عبيدة، وكان من أصحاب علي وابن مسعود، (ت 72 هـ)، ينظر تهذيب الكمال، ج 19، ص: 266.

⁽³⁾ ينظر الواحدي، أسباب النزول، تح السيد أحمد سقر، ص: 43.

⁽⁴⁾ أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، (مسند الإمام أحمد)، شرحه ووضع فهرسه أحمد محمد شاكر، دار الحديث القاهرة، ج 3، برقم: 3025، ص: 319.

⁽⁵⁾ الشاطبي (الموافقات)، ج 4، ص: 266.

أسباب النزول من الضوابط المعول عليها في الفهم، فقال: "معرفة أسباب التنزيل لازمة لمن أراد علم القرآن، والدليل على ذلك أمران:

أحدهما: أن علم المعاني والبيان الذي يعرف به إعجاز نظم القرآن فضلا عن معرفة مقاصد كلام العرب، إنما مداره على معرفة مقتضيات الأحوال: حال الخطاب من جهة نفس الخطاب، أو المخاطب، أو المخاطب، أو الجميع، إذ الكلام الواحد يختلف فهمه بحسب حاله، وبحسب مخاطبيه، وبحسب غير ذلك... ومعرفة الأسباب رافعة كل مشكل في هذا النمط، فهي من المهمات في فهم الكتاب ولا بد، ومعنى معرفة السبب هو معنى معرفة مقتضى الحال.

فبالمثال يتضح المقال. جاء في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا﴾⁽¹⁾ فإن الآية لا يمكن معرفة سياقها ومعناها الحقيقي إلا بمعرفة الحال التي نزلت فيه، وهو أن اليهود كانوا يقولونها للنبي ويقصدون بها الاستهزاء والطعن، كما أخرج ابن جرير وغيره عن قتادة قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا﴾ هو قول كانت اليهود تقوله استهزاءً، فزجر الله المؤمنين أن يقولوا كقولهم⁽²⁾

وينشأ عن هذا الوجه: الوجه الثاني: وهو أن الجهل بأسباب التنزيل موقع في الشبه والإشكالات، ومورد للنصوص الظاهرة مورد الإجمال حتى يقع الاختلاف، وذلك مظنة وقوع النزاع، مرتبطة وحدها دون غيرها، وهي تنضوي تحت السبب العام لنزول القرآن الكريم وهو الهداية، وتنقسم هذه الأسباب إلى قسمين، كما ذكرنا سالفًا ونظرًا لأهمية معرفة سبب نزول الآية للوصول إلى تفسيرها والوقوف على قصدها، يقول صاحب كتاب أسباب نزول القرآن: "وأولى ما تصرف العناية إليها، لامتناع معرفة تفسير الآية وقصد سبيلها، دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها."⁽³⁾

ويقول الشيخ مقبل بن هادي الوادعي: "إن من بين الدوافع التي دفعته إلى تأليف كتابه (الصحيح المسند من أسباب النزول) هي: "الرغبة في التعرف على أسرار هذا التشريع العظيم وما في أسباب

(1) البقرة (104).

(2) الطبري، (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، تح عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط 1 (1422هـ - 2001م)، ج 2، ص: 375.

(3) على بن أحمد الواحدي، (أسباب نزول القرآن)، تح كمال بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط 1 (1411هـ - 1991م)، ص: 10.

النزول من العبر وحل المشاكل التي قد ضاق أصحاب ذرعا ... وفي أسباب النزول الكثير الطيّب من بيان مراحل الدعوة والتوجيهات الإلهية⁽¹⁾.

خلاصة القول:

يظهر لنا مما سبق أن بين أسباب النزول وعلوم القرآن عامة علاقة مشتركة، فكما أن أسباب النزول تعين على معرفة السياق، فإن السياق وسيلة مؤثرة في بيان الأصح من أسباب النزول .

(1) مقبل بن هادي الوادعي، (الصحيح المسند من أسباب النزول)، مكتبة صنعاء الأثرية، صنعاء، اليمن، ط1 (1425هـ-).

2004م)، ص: 13

المبحث الرابع: نظرية السياق في الفكر اللغوي الحديث (عند الغربيين)

المطلب الأول: لمحة تاريخية عن نظرية السياق عند الغربيين:

ينظر إلى (نظرية السياق) على أنها الحجر الأساس في (المدرسة اللغوية الاجتماعية) التي تنسب إلى الباحث الإنجليزي جون روبرت فيرث (John Robert firth) (1890م-1960م) ببريطانيا، يقول أحمد مختار عمر: " فقد عرفت (مدرسة لندن) بالمنهج السياقي الذي أكد على الوظيفة الاجتماعية للغة"⁽¹⁾.

فمن الجدير بالذكر في هذا المقام أن نشير إلى أن مدرسة لندن التي ضمت باحثين سبقوا فيرث وعاصروه، ولم يكونوا أقل شيء منه. فلنا في ذلك وقفة مع هؤلاء الباحثين:

وقد سبقت نظريته- فيرث- بمحاولة الأنثروبولوجي (مالينوفسكي-malinofasqi-) ت (1942).

وكلاهما قد حدد المعنى بموجب السياق الذي يستعمل فيه، رأى أنه لا يمكن للنصوص أن تؤدي معنى، ما لم تُعرف الحال التي كان عليها المتكلم حتى نطق، لأن سياق الحال (Context of Situation) أو الظروف المحيطة بالحدث اللغوي جزء متمم لهذا الحدث.⁽²⁾

وكما هو شأن الحال أن كل عالم يستفيد ممن سبقه لا محالة، نرى ذلك من خلال البحث أن فيرث استفاد من ملاحظة سابقه، وساغ منها نظرية لغوية اجتماعية مكتملة، وأول ملاحظاته بدأت من أعمال الأنثروبولوجيين، وبخاصة أعمال مالينوفسكي.

ولكن ترجع فكرة سياق الحال من حيث ملامح التنظير الأولى إلى (ويجر 1885) إذ استعمل مصطلح سياق الموقف (Situation teori)⁽³⁾.

⁽¹⁾ ينظر: أحمد مختار عمر، (علم الدلالة)، عالم الكتب، القاهرة ط 5، 1988، ص: 06. بتصرف

⁽²⁾ ينظر: محمود السعرا، (علم اللغة)، ص: 253.

⁽³⁾ : عبده الراجحي، (فصول في علم اللغة)، دار المعرفة الجامعية، القاهرة: 1998م، د ط، ص: 73.

ويعترف فيرث أنه استفاد من أبحاث ويجنر اللغوية التي عنوانها ب: (دراسات في أسس حياة اللغة)⁽¹⁾.

وفي أبحاثه يقول ويجنر: (السياق هو الأساس أو المحيط الذي تعتمد عليه الحقيقة في توضيحها وفهمها، وأنه لا يتضمن عند الاتصال اللغوي الكلمات فقط، بل الصلات والظروف المحيطة والحقائق السابقة والأشخاص الذين نتحدث معهم)⁽²⁾.

ولكن المعالم الأساسية للنظرية تشكلت مع (برونسلاو مالنوفسكي الذي استخدم مصطلح سياق الموقف سنة 1923م في مقال بعنوان " مشكلة المعنى في اللغات البدائية" ألحقه بكتاب معنى المعنى لأوجدن وريتشاردز)⁽³⁾.

كما أن اللغويين المحدثين يعزون نظرية السياق إلى: (برونسلاو مالنوفسكي) ، إذ تناول اللغة في دراسته لأثرها في المجتمعات البدائية- كما ذكرنا-، بوصفها صيغة من الحركة، وليست أداة انعكاس جامدة، "فاللغة الحية يتحكم فيها السياق- كما يستعملها الناس- وأن وظيفة اللغة تتجاوز إيصال الفكرة والانفعال، فهي نوع من السلوك، مما يعلل الأخذ بالمقام (الموقف الكلامي)، أو (القارئ الحالية)، وهي جميع ما يحيط بالنص. فالكلام والموقف مرتبطان ببعضهما في أداء المعنى بما يسمى: سياق الموقف"⁽⁴⁾.

فالكلام والموقف -عنده- مرتبطان ببعضهما ارتباطاً لا ينفصم، وسياق الموقف لا غنى عنه لفهم الألفاظ.

(1) جاد الرب: محمود جاد الرب: (علم اللغة نشأته وتطوره)، دار المعارف، القاهرة، 1985م، ص: 148.

(2) ينظر: مذكور عاطف، (علم اللغة بين التراث والمعاصرة)، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 1987د ط. ص: 243.

(3) بالمر: (علم الدلالة)، تح صبري إبراهيم السيد، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 1995 د ط، ص: 74.

(4) ينظر: محمود السعران، (علم اللغة)، ص: 388.

ومن الجديد الذي اقترحه مالمينوفسكي توظيف مصطلح (سياق الحال context of situation) توظيفاً خاصاً في إطار ما يُعرَف بالسياق الثانوي أو ما يدور حول النص من سياقات غير لغوية تسهم بدورها في إضاءة جوانب هذا النص⁽¹⁾.

يقول صاحب علم الدلالة: "وعلى هذا فدراسة معاني الكلمات تتطلب تحليلاً للسياقات والمواقف التي ترد فيها حتى ما كان منها غير لغوي، "ومعنى الكلمة -على هذا- يتعدد تبعاً لتعدد السياقات التي ترد فيها أي تبعاً لتوزيعها اللغوي (Linguistic distribution)"⁽²⁾.

ومما ينبغي التنبيه إليه أن (فيرث) اقتفى أثر (مالمينوفسكي)، وطور نظريته، ورفض المناهج البعيدة عن الواقع اللغوي في دراسة اللغة. وتمثل نظريته في دراسة المعنى من خلال السياق بعناصره اللغوية والاجتماعية، إذ "المعنى لا ينكشف إلا من خلال تسييق الوحدة اللغوية، أي: وضعها في سياقات مختلفة"⁽³⁾.

فمعنى الكلمة عند السياقيين هو استعمالها في اللغة، يوضح أحمد مختار عمر بقوله: "معظم الوحدات الدلالية تقع في مجاورة وحدات أخرى، وأن معاني هذه الوحدات لا يمكن وصفها أو تحديدها إلا بملاحظة الوحدات الأخرى التي تقع مجاورة لها"⁽⁴⁾.

رأى كمال بشر أن: "المعنى في نظرية (فيرث) مركب من الوظائف اللغوية: الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية، وسياق الحال الشامل لكل ما يتصل بالمتكلم والمخاطب، والظروف الملائمة والبيئة، ومن ذلك الصمت والضحك والإشارة"⁽⁵⁾.

فقد نظر (فيرث) إلى المعنى على أنه نتيجة علاقات متشابكة متداخلة، فهو ليس وليد لحظة معينة لما يصاحبها من صوت وصورة، ولكنه أيضاً حصيلة المواقف الحية التي يمارسها الأشخاص في

(1) ينظر: فرانك بالمر، (علم الدلالة)، ص: 98.

(2) ينظر: أحمد مختار عمر، (علم الدلالة)، ص: 69.

(3) ينظر: فرانك بالمر، (علم الدلالة)، ص: 61. وعلي زوين، (علم اللغة بين التراث والمعاصرة)، ص: 238.

(4) أحمد مختار عمر، (علم الدلالة)، ص: 68-69.

(5) كمال بشر، (دراسات في علم اللغة)، ج2، ص: 175.

المجتمع، " فالجمل تكتسب دلالتها في النهاية من خلال ملابسات الأحداث أي من خلال سياق الحال " (1).

يقول عبد الرحمن الحاج صالح: " والمعنى عند (فيرث) هو كل مركب من مجموع العلاقات السياقية. نجد الصوتيات والنحو وعلم المعجم وعلم الدلالة تدرس كلها مكوناتها الخاص " (2)، ومنه فإن المعنى كل متداخل العناصر، لذلك لا بد من إدراك عناصره لإدراكه، ولا يتأتى ذلك إلا بتحليل السياقي كم سنوضح، وهو ما جعل (فيرث) يهتم بالظواهر الصوتية.

ومن خلال الدراسة تبين لنا أنه تأثر بنظريات اللغويين الهنود القدامى، ومن أبرزهم اللغوي الشهير (بايني)

يشير (فيرث) إلى أهمية أبحاثهم قائلا: " لولا النحاة والصوتيون الهنود الذين عرفنا إياهم العالم الإنجليزي المعروف (وليام جونز) لصعب علينا الآن أن نتصور مدرستنا الصوتية التي ظهرت في القرن التاسع عشر " (3)

كما يدعو (فيرث) إلى الاهتمام بالظواهر الصوتية في الكلام، إذ يقول: " ويجب عند معالجتنا للصوت الإنساني ألا نقع في الخطأ السائد من فصل الصوت عن بقية السلوك الجسماني للإنسان، واعتباره رمزا خارجيا لأفكار دخيلة، ويجب ألا نعتبره منفصلا عن العالم المسمى دون تفكير خارجيا " (4)

نظرية (فيرث) لا تنظر إلى الصوت على أنه مجرد معطى فيزيائي فقط بل يرى: " أن الهواء الذي نتكلم به والهواء الذي نتنفسه لا يجوز اعتبارهما مجرد هواء خارجي، إنه هواء داخلي كذلك. نحن لا

(1) ينظر: د. محمود السمران، (علم اللغة)، 341.

(2) Traduction Durand j. et D. Boulonais, librairie Larousse, paris, 1980 Lyons johno, semantique, Linguistique, p 235.

(3) الحاج صالح عبد الرحمن، (مدخل إلى علم اللسانيات الحديث)، مجلة اللسانيات، معهد العلوم اللسانية والصوتية، جامعة الجزائر، 1971، مج 1، ص: 93.

(4) محمد أحمد أبو الفرج، المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث، دار النهضة العربية، ط 1، 1966، ص: 119-120.

نعيش في مجرد حقيقة من الجلد ولكن في حيز معين. مما يمكن أن يسمى مجال الحياة الذي ننجح إلى حد ما في أن ندفعه إلى الاضطرابات" (1).

ويذكر صاحب كتاب اللغة العربية معناها ومبناها: "بأن فيرث يبين في أبحاثه علاقة الظواهر الصوتية النبرية والتنغيمية بالدلالية، حيث أن وجود النبر والتنغيم بالذات من بين الظواهر المذكورة في الكلام المسموع دون المكتوب، ويجعل الأول أقدر في الكشف عن ظلال المعنى ودقائقه من الثاني" (2).

وبهذا نلاحظ أن (فيرث) قد وجه اهتماماته بشكل مهم إلى الفنولوجيا من ناحية، وإلى الدلالة من ناحية أخرى، كما أنه لم يول اهتمامه إلا قليلا في النحو والصرف.

أما هاليداي (Halliday) الذي هو تلميذ فيرث فقد عمل على تطوير فكرة السياق، وذلك عبر تأكيده على ضرورة إضافة عبارة ذات صلة لنصبح الظروف أو الملابس ذات الصلة، وليس كل شيء محيط بالحدث الكلامي، يقول: "من المهم أن نقيّد فكرة السياق وذلك بأن نظيف لها كلمة ذات صلة (Relevant)، لأن سياق الحال لا يعني كل شيء في المحيط المادي، كتلك التي تظهر فيما إذا كنا نسجل بالصوت والصورة حدثا كلاميا مع كل المشاهد والأصوات المحيطة بنا..." (3).

فمن خلال البحث والقراءة في الكتب نلاحظ أن هاليداي استطاع أن يقوم بما لم يقم به أستاذه (فيرث)، وهو تقديم وصف واضح لنظريته في اللغة والتحليل اللغوي، فإنه "شرع في نشر كتابات متتابع منذ 1961، لإعطاء وصف كامل ومتناسك ومصحوب بأمثلة لنظرية فيرث بصدها شيئا أكثر من أنه مسها مس خفيفا" (4).

ظهر لنا من خلال القراءة أنّ النظرية اللغوية لدى (هاليداي) جاءت استمرارا لمفاهيم فيرث في علم اللغة، حيث حملت اسم (علم اللغة الفيثري الجديد)، كما أطلق عليها أيضا (قواعد النظام والفئة)

(1) محمد أحمد أبو الفرج، (المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث)، مرجع سابق، ص: 120.

(2) تمام حسان، (اللغة العربية معناها ومبناها)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1973، ص: 47.

(3) عواطف كنوش مصطفى، (الدلالة السياقية عند اللغويين)، دار السياب، ط1، لندن، 2007، ص: 199.

(4) روبنز، (موجز تاريخ علم اللغة)، ص: 350.

وحالياً يشار لنظرية (هاليداي) بوصفه القواعد النظامية أو علم اللغة النظامي، وهذا ما أشار عليه صاحب موجز تاريخ علم اللغة.⁽¹⁾

المطلب الثاني: أهم الانتقادات الموجهة للنظرية إلى النظرية السياقية الغربية:

نرى أن (بالمر) قد رد عليهم قائلاً: "من السهل أن نسخر من النظريات السياقية وأن نستبعدنا باعتبارها غير علمية، ولكن من الصعب أن ترى كيف يمكننا أن نستبعدنا دون إنكار الحقيقة الواضحة القائلة: إن معاني الكلمات والجمل مرتبطة بعالم الخبرة"⁽²⁾

هذا هو شأن البحث، لأن الباحث يتلقى الانتقادات كما يتلقى التأييد والقبول، يقول أحمد مختار عمر في ذلك: "وقد أيدت الدراسات الأنثروبولوجية والمباحث الفلسفية، والاتجاه السياقي في دراسة اللغة ودلالاتها، فقد قرر (برتراند راسل) أن الكلمة تحمل معنى غامضاً لدرجة ما، ولكن المعنى يكشف فقط عن طريق ملاحظة استعماله الاستعمال يأتي أولاً وحينئذ يتقطر المعنى منه"⁽³⁾.

خلاصة القول:

إن ما يمكن أن نقوله في نهاية هذا البحث: هو أن كل هذه الآراء المختلفة إلا أنها نابعة من الرغبة في إيجاد نظرية شاملة للغة، بحيث تكون قادرة على تحليل مختلف الظواهر اللغوية، لكن كل هذا لا ينقص من قيمة النظرية الفيثية، لأنها أمدتنا تقنيات إجرائية جديدة لتحليل الملفوظات اللغوية، كان لها الأثر في الكثير من الدراسات.

المطلب الثالث: أنواع السياق

لقد نوع المتكلمون في علم السياق وقسموه إلى عدة أنواع على توجهات شتى فبعضهم نوعه كالآتي:

– السياق اللغوي. (Linguistic Context).

⁽¹⁾ ينظر: روبنز، (موجز تاريخ علم اللغة)، ص: 351، مرجع سابق.

⁽²⁾ بالمر، (علم الدلالة) ص: 65، مرجع سابق.

⁽³⁾ أحمد مختار عمر، (علم الدلالة)، ص: 72، مرجع سابق.

- السياق العاطفي. (Enotional context).

- سياق الموقف. (Context of situation).

- السياق الثقافي. (Cultural context).

أولاً: السياق اللغوي: وهو النظم اللفظي للكلمة وموقعها من ذلك النظم، الذي يشمل الكلمات والجمل الحقيقية السابقة واللاحقة للكلمة، والنص الذي ترد فيه، أي موقعها من الجملة والنص وما يُكسبها من توجيه دلالي⁽¹⁾.

بناءً على ما سبق، فإن السياق اللغوي يشتمل على المكونات الآتية:

أ) السياق الصوتي: ويتعلق بدراسة الصوت داخل سياقه، يقول صاحب الدلالة السياقية عند اللغويين: "أما السياق الصوتي فهو الذي يوصل إلى المعنى الحاصل من الصوت في السياق المنطوق، أو المكتوب"⁽²⁾.

كما يرى صاحب مقالات في اللغة والأدب أن: "للصوت مهمة في المنطوق إذ يميز المنطوق عما يشابهه بما به من أصوات، فقد يكون المعنى المنطوق متوقفاً على صوت واحد من أصواته كالفرق بين نال ومال"⁽³⁾.

ومنه نستنتج أن السياق الصوتي: وهو السياق الفونيمي الذي يشكل الكلمة، فمثلاً: (نال الولد جائزة من أبيه) من الناحية الفونيمية لها سياق فونيمي يشارك في تحديد معنى مفرداتها، فنال: سياقها الفونيمي هو تأليفها من الفونيمات: ن ال مرتبة بهذه الطريقة، ومتى تغيّر أحد هذه الفونيمات

أو اختلف ترتيبها تبع ذلك تغيير في المعنى، قارن:

عند استبدال الصوت (ن) في أول (نال) نحصل على:

(1) ينظر: أولمان، (دور الكلمة في اللغة)، ص: 54-55.

(2) ينظر: عواطف كنوش، (الدلالة السياقية عند اللغويين)، ص: 54.

(3) ينظر: تمام حسان، (مقالات في اللغة والأدب)، ج 1، ص: 331.

قال: (اختلفت عن نال بصوت (ق)

صال: (اختلفت عن نال بصوت (ص)

وعند استبدال الصوت (ال) في آخر الكلمة نحصل على:

نام: (اختلفت عن نال بصوت (م)

ناب: (اختلفت عن نال بصوت (ب)

والولد: عندما نستبدل صوت (و) فيها تتغير اللفظة ويتغير معناها ونحصل على:

البلد: (اختلفت عن الولد بصوت (ب).

الجلد: (اختلفت عن الولد بصوت (ج).

وعندما نغيّر صوتي (و)، و(ل) في كلمة (ولد) نحصل على:

الأبد: (اختلفت عن الولد بصوتي أ، ب).

الأمم: (اختلفت عن الولد في صوتي، و، م).

وعندما نغير صوت: (د) نحصل على:

الولج: (اختلفت عن الولد بصوت (ج).

الولع: (اختلفت عن الولد بصوت (ع).

ومن هنا نستنتج أنّ تغيير الحرف يغيّر المعنى كاملاً، كما أشرنا في الأمثلة السابقة.

ب) السياق النحوي: ويتعلق بالضبط الذي يضبط المعنى. وهو الذي يدرس البنية النحوية التي

ترد فيها الكلمة بوصفها وحدة نحوية ⁽¹⁾.

⁽¹⁾ ينظر: تمام حسان، (مقالات في اللغة والأدب)، ص: 60، مرجع سابق.

فالمستوى النحوي (التركيب) له أهمية كبيرة في الدرسين: العربي والغربي، يقول تمام حسان: "...إذ به نعرف نسق المعاني ونحدد أجزاءها، وبه أيضا نربط بين معناها، ولولا هذا النظام من العلاقات الشكلية والمعنوية التي تنتظم النص لما كان ما نتفوه به كلاما يعرب عن معنى" ⁽¹⁾

للتوضيح: يمكن النظر إلى دلالاته من حيث أنّها:

أ) دلالات نحوية عامة، وهي المعاني العامة المستفادة من الجمل والأساليب، مثل دلالة الجملة على:

الخبر: خالد مسافر.

النفي: لم يسافر خالد.

التأكيد: إنّ خالدًا لكريم.

الاستفهام: متى تسافر.

النهي: لا تؤدّ بنفسك إلى التهلكة.

الأمر: راجع دروسك.

وغير ذلك من عرض وتمن وترج وإنذار ونداء وشرط...إلخ.

ب) دلالات نحوية خاصة، كدلالة تركيب الجملة على معان نحوية مثل:

الفاعلية: نام الولد.

المفعولية: نوّمتُ الولد.

الحالية: رأيت الولد نائما.

الابتداء: الولد نائم.

⁽¹⁾ ينظر: تمام حسان، (اللغة العربية معناها ومبناها)، ص: 288.

التمييز: حُسن علي ولدا.

(ج) معاني تراكيب النحو، فلكل تركيب معنى نظمي يختلف عن التراكيب الأخرى، وقد بيّن ارتباط المعاني بمعاني النحو (المعنى النظمي)

(ج) السياق الصرفي: يتعلق ببنية الكلمة وعلاقتها بالمعنى، ورد في الدلالة السياقية عند اللغويين: قال عواطف كنوش " أما السياق الصرفي فالمقصود به السياق الذي يهتم بدراسة المفردات لا بوصفها صيغا وألفاظا فقط، وإنما بحسب ما فيها من خواص تفيد في خدمة الجملة أو العبارة "(1)

كما نوه الدكتور فيصل المناع إلى السياق الصرفي بقوله: " ففي المستوى الصرفي ندرس أبنية الصيغ المكونة لأسلوبنا فندرس على سبيل المثال أقسام الكلام والمشتقات والجموع بأنواعها المختلفة، وكذلك البناء للمعلوم أو المجهول وغيرها، وهذه كلها لها وظائف في تحديد الدلالة، فتفريقنا بين المفرد والمثنى والجمع في قولنا:

1- جاء المدرس 2- جاء المدرسان 3- جاء المدرسون "(2)

(د) السياق الدلالي:

إن البحث عن المعنى أو الدلالة هو الركن الأساسي في النظرية السياقية

يقول عرفات فيصل المناع بأنه: " هو النتيجة الحتمية لدراسة هذه المستويات الثلاثة المتقدمة، أو أنه مجموع لدلالات ما تقدم من مستويات، فكما لاحظنا أن المستويات الثلاثة تنتج معانٍ ولكن هذه المعاني هي معانٍ مجزأة ينتج من ضم بعضها إلى بعض معنى أكبر يتطابق فيه نظم الكلام في مستوياته الثلاثة مع المعنى العام للأسلوب أو النص "(3).

ومن هنا ندرك أنه إذا ما فسد التطابق بينهما التبتت الطرق المؤدية إلى الغرض، وبالتالي يضطر القارئ إلى إعادة تركيب الأجزاء، وتنسيقها حتى يحصل على صورة المعنى.

(1) عواطف كنوش، (الدلالة السياقية عند اللغويين)، ص: 58، مرجع سابق.

(2) ينظر: عرفات فيصل المناع، (السياق والمعنى دراسة في أساليب النحو العربي)، الناشر مؤسسة السياب (لندن)، ط2013، ص: 20.

(3) المرجع نفسه، ص: 20.

ولتوضيح هذا فإن الجرجاني قام بتحليل نماذج من الشعر العربي اتفق أسلافه على فسادها، وذلك لأنهم لم يستطيعوا تبين وجه الفساد، أو اكتفوا بعبارات مجملة لا تفي الغرض، فجميع النقاد ينظرون إلى بيت الفرزدق ويحكمون عليه بالفساد:

وَمَا مَثَلُهُ فِي النَّاسِ إِلَّا مُمَلَّكَاً أَبُو أُمِّهِ أَبُوهُ حَيٌّ يُقَارِبُهُ⁽¹⁾

لأن فيه معاضلة بين الكلام وتقديمه على غير الوجه، ولم يزدوا على هذا التفسير شيئا، أما الجرجاني فقد بين فساد نظمه بالمفارقة الحاصلة فيه بين ترتيب المعاني في الفكر وترتيب الألفاظ في الذكر⁽²⁾.

فالمستويات الثلاثة هنا لم يحدث فيها أي خلل، فأصوات البيت واضحة وكذا ألفاظه ونظمه، وإنما الذي حصل فيه الخلل هو المعنى الكبير أو المطابقة بين نظم الكلام الظاهر، وترتيب المعاني الباطنة.

يقول الجرجاني: "فانظر أيتصور أن يكون ذمه للفظه من حيث أنك أنكرت شيئا من حروفه أو صادفت وحشيا غريبا أو سوقيا ضعيفا أم ليس إلا لأنه لم يرتب الألفاظ في الذكر على موجب ترتب المعاني في الفكر فكذلك وكدر ومنع السامع أن يفهم الغرض، إلا بأن يقدم أو يؤخر، ثم أسرف في إبطال النظام وإبعاد المرام، وصار كم رمى بأجزاء تتألف منها صورة ولكن بعد أن يراجع فيها باب الهندسة لفرط ما عادى بين أشكالها وشدة ما خالف بين أوضاعها"⁽³⁾.

ثانيا السياق العاطفي (context Emotional)

يقول عنه عوض فريد: "هو السياق الذي يتولى الكشف عن المعنى في الوجدان، ويختلف من شخص إلى آخر"⁽⁴⁾.

(1) الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي، (ت377هـ)، (كتاب الشعر أو شرح الأبيات المشككة في الإعراب)، تح وشر محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي القاهرة مصر، ط1 (1408هـ - 1988م)، ص: 267.

(2) حمادي صمود، (التفكير البلاغي عند العرب)، منشورات الجامعة التونسية، (م1981)، ص: 516-571.

(3) عبد القاهر (الجرجاني)، (أسرار البلاغة)، قرأه وعلق عليه أبو فكر محمود محمد شاكر، دار المدني، ط1، جدة، (1991)، ص: 20-21.

(4) عوض فريد، (علم الدلالة دراسة نظرية تطبيقية) (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية (1999)، ص: 159.

وغالبا ما يعتمد هذا النوع من السياق على طبيعة المتكلم، فالكلام هو السبيل الواضح لإبراز عاطفة المتكلم، فينعكس على أدائه وتعبيره، فيبين نوع الدلالة قوة وضعفا وانفعالا، فإذا: "هذا السياق يحدد درجة الوقوف والضعف في أفعال المتكلم بما يقتضي تأكيدا أو مبالغة أو اعتدالا" (1).

ويرى (ستيفان أولمان) أنه يجب علينا الاستعانة بالسياق، فيقول: "السياق وحده هو الذي يوضح لنا ما إذا كانت الكلمة ينبغي أن تؤخذ على أنها تعبير موضوعي صرف، أو أنها قصد بها أساس التعبير عن العواطف والانفعالات، وإلى إثارة هذه العواطف والانفعالات، يتضح هذا بصفة خاصة في مجموعة معينة من الكلمات نحو (حرية وعدل) التي قد تشحن في كثير من الأحيان بمضمونات عاطفية. بل إن بعض الكلمات المستعملة في الحياة اليومية العادية قد تكتسب نغمة عاطفية قوية غير متوقعة في المواقف الانفعالية" (2).

فالسباق العاطفي إذن هو الذي يحدد القوة والضعف في الانفعال، مما يقتضيه تأكيدا أو مبالغة أو انفعالا، يظهر لنا ذلك من خلال الأمثلة الآتية:

- 1) فكلمة: (love) بالإنجليزية غير كلمة: (like) رغم اشتراكهما في أصل المعنى، وهو الحب، وكلمة: (يغض) في العربية غير كلمة: (يكره) رغم اشتراكهما في أصل المعنى كذلك.
- 2) كذا الحال بالنسبة لكلمتي: (نضال وجهاد) كلمتان مترادفتان إلا أنهما يختلفان عند حدود استعمالهما، لأن كل مستعمل له انتماء فكري ينحاز له فكريا وعاطفيا، فلكل جمهور نزعة عاطفية تجاه كلمة من الكلمات، مع أنها تشترك أو ترادف كلمة أخرى في عموم الموضوع، إلا أنه لكل كلمة خصوصيتها وجوهرها الذي يحتوي على اتجاه فكر معين فكلمة (جهاد) يستعملها المسلم بينما كلمة (نضال) قد يستعملها العلماني.
- 3) كما أن كلمتي (استثمار واستغلال) فالأولى تحمل قيما أسلوية سلبية بينما الثانية إيجابي، بالرغم من أنهما مترادفتان، فالأولى تشير إلى أخذ غلة والثانية تشير إلى أخذ ثمرة

(1) ينظر: أحمد مختار عمر: (علم الدلالة)، ص: 70-71.

(2) أولمان ستيفن، (دور الكلمة في اللغة)، تركمال محمد بشير، مكتبة الشباب، ص: 58.

فالسباق العاطفي إذن هو الذي يحدد درجة الانفعال قوة وضعفاً، فالكلمات ذات الشحنة التعبيرية القوية ترد حين يكون الحديث عن أمر فيه غضب وشدة وانفعال، فالذين يتعاركون (يتصارعون) أو (يتقاتلون) فيما بينهم، فمستخدم هذه الكلمات لا يقصد معانيها الحقيقية، وتكون محملة بما يحتمل في داخله من غضب وانفعال أو انشراح الصدر.

أما إذا نظرنا إلى الطريقة الأداء الصوتي فإن لها دور فعال في شحن المفردات بالكثير من المعاني الانفعالية والعاطفية كأن تنطق الكلمة وكأنها تمثل معناها معنى حقيقياً، كما لا يخفى علينا أن في الإشارات المصاحبة للكلام دور مهم في إبراز المعاني الانفعالية.

ثالثاً سياق الموقف. (Context de situation).

لقد تناول هذا المصالح البلاغيون حينما أطلقوا عليه تسميته المعروفة بـ: (المقام)، وقد عدت كلمتهم (لكل مقام مقال) مثلاً مشهوراً حيث أن هذا الأخير يهتم بمراقبة العلاقات الزمانية والمكانية التي يحدث فيها الكلام.

وبالتالي فإن مراعاة السياق تجعل المتكلم يعدل عن استعمال الكلمات التي تنطبق على الحالة التي يصادفها خوفاً أو تأدباً. بل قد يضطر المتكلم إلى العدول عن الاستعمال الحقيقي للكلمات، وبالتالي يلجأ إلى التلميح دون التصريح.

مثال ذلك ما ورد على لسان الأحنف بن قيس حينما سأل معاوية بن أبي سفيان عن رأيه في أخذ البيعة بولاية العهد ليزيد ولده مع أنه لم يكن محمود السيرة في الناس، فقال الأحنف مقولته الشهيرة: (أخاف الله إن كذبت وأخافكم إن صدقت)، فكانت كناية أبلغ من التصريح وأقدر على أداء المعنى من التصريح.

عناصر سياق الموقف هي:

- 1- شخصية المتكلم والسامع ومن يشهد الكلام ودور المشاهد في المراقبة والمشاركة..
- 2- العوامل والأوضاع الاجتماعية والاقتصادية المختلفة بالحدث اللغوي
- 3- الحدث اللغوي في المشتركين كالإقناع، أو الفرح، أو الألم، أو الإغراء، ويمكن التوضيح من خلال الأمثلة الآتية:

إننا عند استعمالنا لكلمة: (يرحم) نرى أنها تستعمل في عدة مواطن منها:
تستعمل في مقام تسميت العاطس فنقول (يرحمك الله) البدء بالفعل.
نستعملها أيضا في مقام الترحم بعد الموت فنقول: (الله يرحمه) البدء بالاسم.
فالأولى تعني طلب الرحمة في الدنيا، والثانية تعني طلب الرحمة في الآخرة، وقد دل على هذا سياق الموقف، إلى جانب السياق اللغوي المتمثل في التقديم والتأخير.
أمثلة أخرى من القرآن الكريم:
نأتي بالفعل: (أكل) فنلاحظ في قوله تعالى:

﴿وَقَالُوا مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ﴾⁽¹⁾، وهنا أكل بمعنى التغذية.

وفي قوله عز وجل: ﴿وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ﴾⁽²⁾، وهنا بمعنى الافتراس.

وكذلك في قوله تعالى: ﴿أَيَحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾⁽³⁾، وهنا بمعنى الغيبة.

خلاصة القول:

إن يمكن استنتاجه من خلال الأمثلة السابقة هنا يعتمد على معيارين أساسيين، هما المقام (الموقف) أو (الحال)، هذا ما يبدو واضحا من خلال ما تقدم، والمقال هو: (النص أو الخطاب)

هذا وقد أشار المخزومي إلى المقام بقوله: "وفكرة المقام هي أساس ما يسمى في ميدان الدراسات اللغوية المعاصرة علم الدلالة الوصفي وهي كذلك المحور والجوهر لما يسمى بنظرية الاتصال"⁽⁴⁾.

رابعا: السِّياق الثقافي: (Culturel Contexte):

يوضح نصر حامد مقتضيات هذا السياق فيقول: "السِّياق الثقافي يستدعي الاجتماعي بما هو مؤسّس عليه، وإن كان له استقلاله وسياقه وقوانينه المستقلة نسبيا عنه، ونقصد بالسِّياق الثقافي

(1) الفرقان(07)

(2) يوسف (13)

(3) الحجرات(12)

(4) طبل حسن، (عالم المعاني تأصيل وتقديم)، مصر: مكتبة الإيمان، ص: 18.

للتصوص اللغوية كلّ ما يمثّل مرجعية معرفية لإمكانية التواصل اللغوي. وبعبارة أخرى إذا كانت اللغة تمثّل مجموعة من القوانين العرفية الاجتماعية بدءًا من المستوى الصوتي وانتهاءً بالمستوى الدلالي، فإنّ هذه القوانين تستمدّ قدرتها على القيام بوظيفتها من الإطار الثقافي الأوسع⁽¹⁾.

ويضيف ردة الله بن ردة تعريفاً للسياق الثقافي فيقول عنه: "وهو ذلك السياق الذي تنضوي تحته السياقات الأخرى لغوية أو غير لغوية"⁽²⁾، وهو: "المحيط الثقافي أو الاجتماعي الذي يمكن أن تستخدم فيه الكلمة"⁽³⁾.

ومنه فالسياق الثقافي يحدده الواقع الاجتماعي، ومفاهيمه مختلفة باختلاف الطبقات، يظهر هذا من خلال الأمثلة الآتية:

فلو أخذنا كلمة (جذر) مثلاً:

جذر: لها معنى معيناً عند علماء النبات جذر: لها معنى معيناً عند علماء الرياضيات

جذر: لها معنى معيناً عند علماء اللغة جذر: لها معنى معيناً عند علماء الصرف

وكذلك اختلفت معاني زراعة تبعاً لاختلاف المجال الذي استعملت فيه:

زراعة: النبات زراعة: البكتيريا زراعة: الأعضاء زراعة: الأسماك.

(1) نصر حامد أبو زيد، (التّص والسلطة والحقيقة، الفكر الدّيني بين إرادة المعرفة وإرادة الهيمنة)، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء، بيروت، ط1، دس، ص: 97-98.

(2) ردة الله بن ردة، (دلالة السياق)، مكتبة الملك فهد الوطنية، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية، ط1423هـ، ص: 53.

(3) ينظر: علي حميد خضير، مرجع سابق: ص: 47.

خلاصة القول:

إن يمكن قوله هو أن السياق الثقافي يشمل السياق اللغوي، وغيره من السياقات التي تمثل بدورها مجال التخاطب، وما يصاحب المتخاطبين من عاداتهما وتقاليدهما، وما ينتج عنهما من مساقات.

الفصل الثالث

دراسة تطبيقية على سورة النور

حينما نستقرئ سور القرآن، نجد أنّها مترابطة ومتناسقة فيما بينها، فإذا نظرنا إلى سورة المؤمنين نجد في ختامها أن الله عز وجل لم يخلق عباده على وجه العيب بل وجههم بخطابه في سورة النور - التي هي محل بحثنا - بمطلع فريد وافتتاحية لم تشاركها سورة أخرى في مثل تلك الافتتاحية.

المقطع الأول: مقدمة استهلالية لبيان عظم السورة

الآية الأولى: ﴿سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾⁽¹⁾.

ومنه ندرك أنّها السورة الوحيدة التي ابتدأت بما يشير إلى فضلها ومنزلتها وكأنّها افتتاحية للفت النظر إلى أهمية ما تتضمنه من أحكام.

يقول الإمام القرطبي: " مقصود هذه السورة ذكر أحكام العفاف والستر"⁽²⁾

وجاء في تفسير السعدي: " أي: هذه سُورَةٌ عظيمة القدر ﴿أَنْزَلْنَاهَا﴾ رحمة منا بالعباد، وحفظناها من كل شيطان ﴿وَفَرَضْنَاهَا﴾ أي: قدرنا فيها ما قدرنا، من الحدود والشهادات وغيرها، ﴿وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾ أي: أحكاما جليلة، وأوامر وزواجر، وحكما عظيمة لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ حين نبين لكم، ونعلمكم ما لم تكونوا تعلمون. "⁽³⁾

وورد في التفسير الكبير " فرضناها بالبينات والتقدير لحدود الله التي من يتعدى حلالها إلى الحرام فقد ظلم نفسه، ومن قرب من حرامها فقد اعتدى وتعد الحدود "⁽⁴⁾.

⁽¹⁾ النور (01).

⁽²⁾ أبو محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، ت: (671هـ)، الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، تح الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط1 (1427هـ - 2006م)، ج15، ص: 100.

⁽³⁾ عبد الحمين بن ناصر بن عبد الله السعدي، ت: (1376هـ)، (تيسير الرحمن في تفسير كلام المنان)، تح عبد الرحمن بن معلا اللويحي، مؤسسة الرسالة، ط1 (1420هـ - 2000م)، ص: 561.

⁽⁴⁾ ابن تيمية الإمام العلامة تقي الدين ابن تيمية، ت: (728هـ) (التفسير الكبير)، تح الدكتور عبد الرحمن عميرة، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، د ط، ج5، ص: 234.

خلاصة القول:

إنّ سورة النور جاءت بأحكام عظيمة، ووضعت أسسا وضوابط، وأحكاما لحماية الأسرة المسلمة في عفتها وشرفها، لذلك تجد في سياق السورة أنها اشتملت على ذكر الحلال والحرام في الإسلام، وذكرت ما يترتب على المخالف والمتجرئ على حدود الله، التي بينها السورة الكريمة، كحد الزنا، والقذف، وضوابط اللعان، كما قررت كثيراً من الآداب الإسلامية الأخرى كالعلاقات الاجتماعية العامة والخاصة مثل الاستئذان، وطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم، وغض البصر، والحث على الزواج وغيرها.

المقطع الثاني: بيان عظم قبح فاحشة الزنا وما يترتب عنها

ويقول الحق تبارك وتعالى في الآية الموالية: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيْشَهِدَ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾⁽¹⁾.

ذكر القرطبي في تفسيره في قوله تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي﴾ "كان الزنا في اللغة معروفاً قبل الشرع، مثل اسم السرقة والقتل. وهو اسم لوطي الرجل امرأة في فرجها من غير نكاح ولا شبهة نكاح بمطاوعتها. وإن شئت قلت: هو إدخال فرج في فرج مشتهى طبعاً محرم شرعاً، فإذا كان ذلك وجب الحد"⁽²⁾.

ويقول صاحب التحرير والتنوير: "ابتداء كلام وهو كالعنوان والترجمة في التبويب، فلذلك أتى بعده بالفاء المؤذنة بأن ما بعدها في قوة الجواب، وأن ما قبلها في قوة الشرط.

فالتقدير: الزانية والزاني مما أنزلت له هذه السورة وفرضت. ولما كان هذا يستدعي استشراف السامع كان الكلام في قوة: إن أردتم حكمهما فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة.

وهكذا شأن هذه الفاء كلما جاءت بعد ما هو في صورة المبتدأ فإنما يكون ذلك المبتدأ في معنى ما، للسامع رغبة في استعلام حاله"⁽³⁾.

(1) النور (02).

(2) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج5، ص: 102.

(3) الطاهر بن عاشور، (التحرير والتنوير)، ج13، ص: 145، مصدر سابق.

فإذا أمعنا النظر في هذه الآية الكريمة وجدنا أمرا يلفت الانتباه وهو تقديم الزانية على الزاني فما السر في ذلك؟، يجيب عن هذا السؤال الطاهر بن عاشور، حيث يقول: "وقدم ذكر (الزانية) على (الزاني) للاهتمام بالحكم، لأن المرأة هي الباعث على زنا الرجل وبمساعفتها الرجل يحصل الزنا، ولو منعت المرأة نفسها ما وجد الرجل إلى الزنا تمكينا، فتقدم المرأة في الذكر، لأنه أشد في تحذيرها. وقوله: ﴿كُلٌّ وَاحِدٌ مِنْهُمَا﴾ للدلالة على أنه ليس أحدهما بأولى بالعقوبة من الآخر"⁽¹⁾.

فدل ذلك أن كلا من الزانية والزاني إذا وقعا في فاحشة الزنا لا بد من إقامة الحد عليهما دون النظر رأفة أو رحمة بهما، وحتى يكون هذا العقاب درسا لهما وعبرة لمن يعتبر.

كما نرى أن القرطبي قد جمع الأقوال في سبب تقديم الزانية على الزاني ومن بينها:

قدمت (الزانية) في الآية من حيث كان في ذلك الزمان زنى النساء فاش، وكان لإماء العرب وبغاياهم رايات يعرفن بهنّ، وكنّ مجاهرات بذلك.

- 1) وقيل: لأن الزنى في النساء أعر وهو لأجل الحبل أضر.
- 2) وقيل: لأن الشهوة في المرأة أكثر وعليها أغلب، فصدرها تغليظا لتردد شهوتها، وإن كان قد ركب فيها حياء، لكنها إذا زنت ذهب الحياء كله.
- 3) وأيضا فإن العار بالنساء ألحق، إذ موضوعهن الحجب والصيانة، فقدم ذكرهن تغليظا واهتماما"⁽²⁾.

فالقرطبي قد فصل تفصيلا في تقديم الزانية على الزاني، فهو ينظر إلى الخطاب القرآني من كل زواياه ومن سياقات مختلفة، هذا وأن الله عز وجل حرم الزنا، لما يقع فيه من مفساد وأضرار وخيمة للفرد والمجتمع ككل، هذا ما نراه واضحا في السورة الكريمة.

ففي آية: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾⁽³⁾.

(1) الطاهر بن عاشور، (التحرير والتنوير)، ج13، ص: 146، مصدر سابق.

(2) ينظر: القرطبي، (الجامع لأحكام القرآن)، ج15، ص: 104، مصدر سابق.

(3) النور (02).

بيّن الله عز وجل حكم من وقع في هذا المحذور - الزنا - إذا كان بكرًا بالغًا عاقلًا بأن حده مائة جلدة.

فالخطاب هنا في الآية الكريمة موجّه للمسلمين لإقامة حد من حدود الله تعالى، قال القرطبي: "وقيل الخطاب للمسلمين، لأنّ إقامة مراسيم الدين واجبة على المسلمين، ثم الإمام ينوب عنهم، إذ لا يمكنهم الاجتماع على إقامة الحدود" (1).

قال الشوكاني: "فالذي يقع في الزنا إما أن يكون بكرًا أو محصنًا، وهو يعد في الإسلام حداً، وفيه عقوبة قد قررت لمصلحة الجماعة، وهي حق لله سبحانه وتعالى، ولا يقبل الإسقاط من الأفراد ولا الجماعة، والغاية من هذه العقوبة رفع الفساد، وتحقيق السلامة كالصيانة" (2).

فإذا نظرنا إلى السياق القرآني وجدنا دلالة التحريم في آية أخرى وفي سورة أخرى، وهذه دلالة واضحة على أن القرآن يفسّر بعضه بعضًا، يُفهم هذا من السياق، من المقطع القرآني إلى مقطع آخر.

كما أننا نفهم دلالة التحريم بالصيغة الدالة على النهي الواردة في سورة النساء حيث يقول جل وعلا: ﴿وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فاسْتَشْهَدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسَكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانَهَا مِنْكُمْ فَادُّوهُمَا فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ (3)، هذه العقوبة كانت مخففة ومؤقتة في أول الإسلام، حيث كانت عقوبة الزنا الحبس في البيوت للنساء، والتعير للرجال، ثم نسخ هذا الحكم، ونزل حد الزنا في سورة (النور)، فكان هو السبيل الذي أشار إليه النبي صلى الله عليه وسلم في حديث عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((خُذُوا عَنِّي، خُذُوا عَنِّي، قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا، الْبِكْرُ بِالْبِكْرِ جَلْدٌ مِائَةٌ وَنَفْيٌ سَنَةً وَالْثِيْبُ بِالثِيْبِ جَلْدٌ مِائَةٌ وَالرَّجْمُ)) (4).

(1) القرطبي، (الجامع لأحكام القرآن)، ج5، ص: 106.

(2) محمد بن علي بن محمد الشوكاني، (ت 1250هـ)، (فتح القدير الجامعة بين فتى الرواية والدراية من علم التفسير)، اعتنى به وراجع أصوله يوسف الغوش، دار المعرفة بيروت، ط4، ص: 15.

(3) النساء (15-16).

(4) ينظر: صحيح مسلم، (كتاب الحدود)، باب حد الزنا، رقم: 1690، ج3، ص: 1316.

خلاصة القول:

ندرك من خلال ما سبق أن السنة جاءت شارحة وموضحة للحكم الشرعي، فعندما نقرأ النصّ القرآني لا نجد النفي ولا التغريب مصرّحاً به، لكننا نجد في سياق الحديث الذي ذكرناه سابقاً. وهذا ما يزيدنا توضيحاً وبياناً في إصدار لأحكام الشرعية، وتطبيق الحدود على كل من يرتكب فاحشة الزنا.

فنجد حد الجلد هو عقوبة الزاني البكر من الرجال والنساء، فالمحصن وهو الذي سبق له وطء صحيح، وهو مسلم حر بالغ، فحده الرجم، كما ورد ذلك في الحديث السابق، وقد كان فيما يقرأ من القرآن، في آية نسخت تلاوة وبقي حكماً: ((الشَيْخُ وَالشَّيْخَةُ إِذَا زَنَيَا فَارْجُمُوهُمَا الْبَتَّةَ نَكَالاً مِنَ اللَّهِ...))⁽¹⁾ وهو ثابت بالسنة، فعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهو جالس على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْحَقِّ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ، فَكَانَ مِمَّا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَةُ الرِّجْمِ قَرَأْنَاهَا وَوَعَيْنَاهَا وَعَقَلْنَاهَا فَرَجَمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَرَجَمْنَا بَعْدَهُ فَأَخْشَى أَنْ طَالَ بِالنَّاسِ زَمَانٌ أَنْ يَقُولَ قَائِلٌ: مَا نَجِدُ الرِّجْمَ فِي كِتَابِ اللَّهِ، فَيُضِلُّوا بِتَرْكِ فَرِيضَةٍ أَنْزَلَهَا اللَّهُ وَإِنَّ الرِّجْمَ فِي كِتَابِ اللَّهِ حَقٌّ عَلَى مَنْ زَنَى إِذَا أَحْصِيَ مِنَ الرِّجَالِ، وَالنِّسَاءِ، إِذَا قَامَتِ الْبَيِّنَةُ، أَوْ كَانَ الْحَبْلُ أَوْ الْاعْتِرَافُ))⁽²⁾.

كما أمرنا الله عز وجل في كتابه بتطبيق أحكام الحدّ بحزم دون شفقة على من يرتكب هذا الفعل القبيح قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾⁽³⁾.

معناه: لا تأخذكم بهما رأفة في تطبيق وتنفيذ شرع الله، في إقامة الحد على الزانية والزاني، ومنه فعقوبة الزنا ليست مجرد عقوبة فقط، بل هي تذكير وإرشاد وردع للناس للوصول إلى الوقاية منها. يقول ابن تيمية في تفسيره: " فإن الرأفة والرحمة يحبهما الله ما لم تكن في مضیعة دين الله "⁽⁴⁾.

⁽¹⁾ ينظر: أبو الحسن سيف الدين (الأمدي)، (ت 631)، (الإحكام في أصول الأحكام)، تح عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي بيروت، لبنان، ج3، ص: 154.

⁽²⁾ ينظر: صحيح مسلم، (كتاب الحدود)، رقم: 1691، ج3، ص: 1317، مصدر سابق.

⁽³⁾ النور (02).

⁽⁴⁾ ابن تيمية، (التفسير الكبير)، ج5، ص: 246.

ومنه فإن دين الله مقدس ومقدم على كل شيء، فما من حكم أو حد إلا وله حكم وأسرار.

وأما في قول جل وعلا: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾⁽¹⁾، نفهم من هذا أنه يجب إحضار الشهود لإقامة حدّ الله تبارك وتعالى، إلا أنّ الآية الكريمة لم تحدد عدد الحضور، لكننا نجد أن العلماء قد اختلفوا في تحديد العدد. نفهم ذلك من خلال الترجيح بالسياق الخارجي.

قال صاحب التحرير والتنوير: "أمر أن تحضر جماعة من المسلمين لإقامة حدّ الزنا تحقيقاً لإقامة الحد وحذراً من التساهل فيه، فإن الإخفاء ذريعة للإنسان، فإذا لم يشهده المؤمنون فقد يتساءلون عن عدم إقامته، فإذا تبين لهم إهماله، فلا يعدم بينهم من يقوم بتغيير المنكر من تعطيل الحدود"⁽²⁾.

جاء عن ابن عطية: "المقصود بالآية الإغلاظ على الزناة والتوبيخ بحضرة الناس، فلا خلاف أن الطائفة كلما كثرت فهي أليق بامتنال الأمر. واختلف الناس في أقل ما يجزئ، فقال الحسن بن أبي الحسن: لابد من حضور عشرة، وقال: إن هذا العدد عقد خارج عن الآحاد وهي أقل الكثرة"⁽³⁾.

وقال أبو زيد وغيره: "لابد من حضور أربعة، ورأوا أن شهادة الزنى كذلك وأن هذا باب منه"⁽⁴⁾. وقال الزهري: "الطائفة ثلاثة فصاعداً، وقال عطاء وعكرمة: لابد من اثنين، وهذا مشهور قول مالك، فرأها موضع شهادة"⁽⁵⁾.

وقال مجاهد: يجزئ الواحد ويسمى طائفة، وقاله ابن عباس رضي الله عنهما قال ابن عباس: "إنها أربع، عدد شهود الزنا" وهو قول مالك وابن زيد.

يقول صاحب اللباب في علوم الكتاب: "أي من المسلمين، فجعل الله الشهادة على الزنا خاصة أربعة تغليظاً على المدعي وستراً على العباد"⁽⁶⁾. وقال القرطبي: "وتعديل الشهود بالأربعة في الزنا حكم

(1) النور (02).

(2) ينظر: الطاهر بن عاشور، (التحرير والتنوير)، ج 18، ص: 151.

(3) ابن عطية الأندلسي، (المحرر الوجيز في تحرير الكتاب العزيز)، ج 4، ص: 162. مصدر سابق.

(4) أبو زكريا محي الدين أبو بكر، ت (676هـ)، (تهذيب الأسماء واللغات)، دار الكتب العلمية، بيروت، ج 3، ص: 189.

(5) نفسه، ص: 189.

(6) أبو حفص سراج الدين عمر بن علي، (اللباب في علوم الكتاب)، تح عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار

الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط 1، (1419هـ - 1990)، ج 6، ص: 239.

ثابت في التوراة والإنجيل والقرآن، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً، وَقَالَ هُنَا: ﴿فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنْكُمْ﴾ ، المقصود بقوله هنا (سورة النساء) (1).

فهنا يمكننا تطبيق نظرية السياق الخارجي على النص القرآني، وذلك أن القرآن يفسر بعضه بعضاً، فمثلاً نجد بين سورة النساء وسورة النور علاقة وتناسب بين السورتين لتبيين الحمل وتوضيحه قال تعالى: ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ (2).

خلاصة القول:

يمكن الترجيح بين الأقوال السالفة الذكر على أن يكون عدد الشهود أربعة قياساً على الآية الكريمة التي يقول فيها الحق تبارك وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ...﴾ (3).

سبب نزول الآية:

جاء في كتاب أسباب النزول للواحدي: "قدم المهاجرون إلى المدينة وفيهم فقراء ليست لهم أموال، وبالمدينة نساء بغايا مسافحات يكرين أنفسهن وهن يومئذ أخصب أهل المدينة، فرغب في كسبهن ناس من فقراء المهاجرين، فقالوا: لو أنا تزوجنا منهن فعشنا معهن إلى أن يغنيننا الله تعالى عنهن، فاستأذنوا النبي صلى الله عليه وآله في ذلك، فنزلت هذه الآية وحرم فيها نكاح الزانية صيانة للمؤمنين عن ذلك" (4).

وعن عبد الله بن عمرو أيضاً قال: "حدثنا زهير بن حرب، وعثمان بن أبي شيبة، وإسحاق بن إبراهيم، واللفظ لزهير، قال إسحاق: أخبرنا، وقال الآخرون: حدثنا جرير، عن الأعمش، عن إبراهيم،

(1) القرطبي، (الجامع لأحكام القرآن)، ج5، ص: 83. مصدر سابق.

(2) النور (03).

(3) النور (04).

(4) الواحدي، (أسباب النزول)، تح كمال بسيوني زغلول، ص: 325، مصدر سابق.

عن علقمة، عن عبد الله، قال: إنا ليلة الجمعة في المسجد إذ جاء رجل من الأنصار، فقال: لو أن رجلاً وجد مع امرأته رجلاً، فتكلم، جلدتموه، أو قتل، قتلتموه، وإن سكت، سكت على غيظ، والله لأسألن عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما كان من الغد أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسأله فقال: لو أن رجلاً وجد مع امرأته رجلاً فتكلم، جلدتموه، أو قتل، قتلتموه، أو سكت، سكت على غيظ، فقال: "اللهم افتح وجعل يدعو"، فنزلت آية اللعان: والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهاداء إلا أنفسهم هذه الآيات، فابتلي به ذلك الرجل من بين الناس، فجاء هو وامرأته إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلاعنا فشهد الرجل أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين، ثم لعن الخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين، فذهبت لتلعن، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: "مه، فأبت، فلعنت، فلما أدبرا، قال "لعلها أن تجيء به أسود جعداً" (1)، فانتهيت إلى كهف أو غار، فدخلت فجاءوا حتى قاموا على رأسي، فبالوا، فظلّ بولهم على رأسي، وأعماهم الله عني، قال: ثم رجعوا، ورجعت إلى صاحبي فحملته - وكان رجلاً ثقيلاً - حتى انتهيت إلى الإذخر (2)، ففككت عنه كبله (3) فجعلت أحمله ويعينني حتى قدمت المدينة، فأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: يا رسول الله أنكح عناقاً؟ فأمسك رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يرد علي شيئاً حتى نزلت: ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرْمٌ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ (4)، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((يا مرثد، الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة، والزانية لا ينكحها إلا زانٍ أو مشرك، فلا تنكحها)) (5).

يفهم مما سبق أن الزاني لا يمكن له أن يتزوج العفيفة الشريفة، إنما ينكح مثله أو أخس منه، كالبغي الفاجر أو المشركة الفاجرة، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ﴾.

(1) الجندمة: جبل أو جبال بمكة. ينظر: ياقوت الحموي، (معجم البلدان) ج2، ص: 449.

(2) الإذخر: نبت طيب الريح، كانت قريش تستخدمه في كفن الموتى. ينظر: الأزهرى (تهذيب اللغة)، ص: 322.

(3) كبله من الكبل، وهو: القيد الضخم. يقال: كبلت الأسير وكبلته، إذا قيدته، فهو مكبول ومكبل. والكبل: ما ثني من شفة الدلو، وهو إبدال الكبن. وفرو كبل، بالتحريك، أي قصير. والمكابلة: التأخير والحبس. يقال: كبلتك دينك. والمكابلة: أن تباع الدار إلى جنب دارك وأنت محتاج إليها فتؤخر شراءها ليشتريها غيرك، ثم تأخذها بالشفعة. ينظر: (منتخب من صحاح الجوهري)، ص: 364.

(4) النور (03).

(5) صهيب عبد الجبار، (الجامع الصحيح للسنن والمسانيد)، ج20، ص: 278.

يقول صاحب صفوة التفاسير: "والزانية لا يليق بها أن يتزوج بها المؤمن العفيف، إنما يتزوجها من هو مثلها أو أحسن منها، كالزاني الخبيث، أو المشرك الكافر، فإن النفوس الطاهرة تأبى الزواج بالفاجرات الفاسقات" (1).

ويقول الرازي: "وذلك لأن الفاسق الخبيث الذي من شأنه الزنا والفسق لا يرغب في نكاح الصالح من النساء، وإنما يرغب في فاسقة خبيثة مثله، أو في مشركة، والفاسقة الخبيثة لا يرغب في نكاحها الصالحاء من الرجال وينفرون عنها، وإنما يرغب فيها من هو من جنسها من الفسقة والمشركين، فهذا على الأعم الأغلب كما يقال: لا يفعل الخير إلا الرجل التقى، وقد يفعل بعض الخير من ليس بتقى فكذا هاهنا" (2).

ومنه نستحضر سياق السورة التي يقول فيها رب العزة جل وعلا: ﴿لَخَبِيثَاتٌ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ﴾ (3).

قال طرفة بن العبد:

عَنِ الْمَرْءِ لَا تَسْأَلُ وَسَلَّ عَنْ قَرِينِهِ فَكُلُّ خَلِيلٍ بِالْمَخَالِلِ يَفْتَدِي (4)

لما أمر الله تعالى بجلد الزاني وكذا رجه إن كان محصناً، وأنه لا تجوز مقارنته، ولا مخالطته على وجه لا يسلم فيه العبد من الشر، بين تعالى في الآية الآتية خطر الرمي بالزنا.

(1) الصابوني، (صفوة التفاسير)، ج2، ص: 298.

(2) ينظر: فخر الدين الرازي، (مفاتيح الغيب)، ج23، ص: 318.

(3) النور (26).

(4) طرفة بن العبد بن سفيان الوائلي، ت(564م)، (ديوان طرفة بن العبد)، دار الكتب العلمية، ط3، (1423هـ - 2002م)،

ص: 32.

المقطع الثالث: أحكام اللعان وما يترتب عنه

حيث قال جل وعلا في الآية السادسة: ﴿وَالَّذِينَ يَزْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾⁽¹⁾

سبب نزول الآية

ذكر الواحدي سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَزْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ...﴾.

"أخبرنا أبو عثمان سعيد بن محمد المؤذن، قال: أخبرنا محمد بن أحمد بن علي الحيري، قال: حدثنا الحسن بن سفيان، قال: أخبرنا أبو بكر بن أبي شيبة، قال: حدثنا يزيد بن هارون، قال: أخبرنا عباد بن منصور، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: لما نزلت ﴿وَالَّذِينَ يَزْمُونَ أَلْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿أَلْفَاسِقُونَ﴾. قال سعد بن عباد، وهو سيد الأنصار: أهكذا أنزلت يا رسول الله؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ألا تسمعون يا معشر الأنصار إلى ما يقول سيدكم؟ قالوا: يا رسول الله إنه رجل غيور، والله ما تزوج امرأة قط إلا بكراً، ولا طلق امرأة قط فاجترأ رجل منا على أن يتزوجها من شدة غيظه. فقال سعد: والله يا رسول الله، إني لأعلم أنها حق، وأنها من عند الله، ولكن قد تعجبت أن لو وجدت لكاع قد تفحّذها رجل لم يكن لي أن أهيجها ولا أحرّكها حتى آتي بأربعة شهداء، فوالله إني لا آتي بهم حتى يقضي حاجته. فما لبثوا إلا يسيراً حتى جاء هلال بن أمية من أرضه عشية فوجد عند أهله رجلاً، فرأى بعينه وسمع بأذنه فلم يهجه حتى أصبح فعدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، إني جئت أهلي عشيّاً فوجدت عندها رجلاً، فرأيت بعيني، وسمعت بأذني، فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جاء به واشتد عليه، فقال سعد بن عباد: الآن يضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم هلال بن أمية، ويبطل شهادته في المسلمين، فقال هلال: والله إني لأرجو أن يجعل الله لي منها مخرجاً، فقال هلال: يا رسول الله، إني قد أرى ما قد اشتد عليك مما جئت بك به، والله يعلم أنني لصادق، فوالله إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد أن يأمر بضربه إذ نزل عليه الوحي، وكان إذا نزل عليه الوحي عرفوا ذلك في ترديد جلده، فأمسكوا عنه حتى فرغ من الوحي، فنزلت ﴿وَالَّذِينَ يَزْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ﴾ الآيات

(1) النور (06).

كلها، فسُرِّي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: أبشر يا هلال، فقد جعل الله لك فرجاً ومخرجاً، فقال هلال: قد كنت أرجو ذاك من ربي، وذكر باقي الحديث⁽¹⁾.

حدثنا زهير بن حرب، وعثمان بن أبي شيبة، وإسحاق بن إبراهيم، واللفظ لزهير، قال إسحاق: أخبرنا، وقال الآخرون: حدثنا جرير، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله، قال: إنا ليلة الجمعة في المسجد إذ جاء رجل من الأنصار، فقال: لو أن رجلاً وجد مع امرأته رجلاً، فتكلم، جلدتموه، أو قتل، قتلتموه، وإن سكت، سكت على غيظ، والله لأسألك عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما كان من الغد أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسأله فقال: لو أن رجلاً وجد مع امرأته رجلاً فتكلم، جلدتموه، أو قتل، قتلتموه، أو سكت، سكت على غيظ، فقال: اللهم افتح وجعل يدعو، فنزلت آية اللعان: والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهود إلا أنفسهم هذه الآيات، فابتلي به ذلك الرجل من بين الناس، فجاء هو وامرأته إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتلاعنا فشهد الرجل أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين، ثم لعن الخامسة أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين، فذهبت لتلعن، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: مه، فأبت، فلعنت، فلما أدبرا، قال "لعلها أن تجيء به أسود جعداً"، فجاءت به أسود جعداً⁽²⁾.

إذا نظرنا إلى الآيات نجدتها تتحدث عن اللعان، واللعان في اللغة من: "اللعن، أي: الطرد والإبعاد من الخير والملاعنة واللعان المباهلة"⁽³⁾.

جاء في تعريف الشريبي الخطيب: "اللعان لُعَةً: الْمُبَاعَدَةُ، وَمِنْهُ لَعْنَةُ اللَّهِ أَيُّ أَبْعَدَهُ وَطَرَدَهُ، وَسُمِّيَ بِذَلِكَ لِابْعَادِ الزَّوْجَيْنِ مِنَ الرَّحْمَةِ، أَوْ لِابْعَادِ كُلِّ مِنْهُمَا عَنِ الْآخَرِ، فَلَا يَجْتَمِعَانِ أَبَدًا"⁽⁴⁾.

(1) ينظر: القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي، ت(543هـ)، (أحكام القرآن)، تح محمد عبد القادر عطاء، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط3، (1424هـ - 2003م)، ج3، ص: 350-351.

(2) محمد الأمين بن عبد الله، الأرمي، (الكوكب الوهاج في الروض البهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج)، دار طوق النجاة، ط1 (1430هـ - 2009م)، ج16، ص: 239-242.

(3) ينظر: ابن منظور، (لسان العرب)، ج13، ص: 477، مصدر سابق.

(4) شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشريبي الشافعي (ت 977هـ)، (مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج)، كتاب اللعان، الناشر: دار الكتب العلمية، ط1 (1415هـ - 1994م)، ج5، ص: 52.

وفي الاصطلاح: هي كلمات معلومة، جعلت حجة للمضطر إلى قذف من لطح فراشه وألحق العار به. أو إلى نفي ولد، وسميت لعاناً لقول الرجل عليه لعنة الله إن كان من الكاذبين، وإطلاقه في جانب المرأة من مجاز التغليب⁽¹⁾

ومنه فإن سبب اللعان: هو اتهام الرجل امرأة أجنبية عنه ليست زوجته له بالزنا، وكانت عفيفة لم يعلم عنها ذلك، ولم يأت بشهداء يشهدون على صحة تهمته، يقام عليه حد القذف، وهو ثمانون جلدة، جزاء له على انتهاكه أعراض الطاهرات، وزجراً لغيره عن الإقدام على هذه الجريمة، وهذا بدليل قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾⁽²⁾.

قالا صاحباً فقه الزواج والطلاق وما عليه العمل في قانون الأحوال الشخصية الإماراتي: "فإن كانت المرأة التي رماها بالزنا أو نفي الولد زوجة للرامي، ولم يأت بأربعة شهداء يشهدون الاتهام، فلا يحد الزوج حد القذف وإنما يجب اللعان، لأن الزوج قد تقع عينيه على ما يكره من زوجته ويتعذر عليه الإتيان بالشهداء ويشق عليه السكوت فقد خصه الله باللعان ليكون بديلاً عن القذف"⁽³⁾.

صفة اللعان:

أن يحلف الزوج أربع شهادات بالله لقد رأيته تزني وأن ذلك الحمل ليس مني، ويقول في الخامسة: لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين، ثم تشهد هي أربع شهادات بنقيض ما شهد هو به ثم تخمس⁽⁴⁾ بالغضب.

قال صاحب الكشف: "فإن قلت لم خصت الملاعنة بأن تخمس بغضب الله؟ قلت تغليظاً عليها، لأنها هي أصل الفجور ومنبعه بخلابتها"⁽⁵⁾ وإطماعها، لذلك كانت مقدمة في آية الجلد، ويشهد لذلك قوله صلى الله عليه وسلم: ((فالرجم أهون عليك من غضب الله)).

(1) نفسه، ص: 52.

(2) النور (06).

(3) ينظر: ماجد أبو رحية، وعبد الله محمد الجبوري، (فقه الزواج والطلاق وما عليه العمل في قانون الأحوال الشخصية

الإماراتي)، دار النشر العلمي جامعة الشارقة، سنة: (1427هـ - 2006م)، ص: 196

(4) أي: تقول في الخامسة.

(5) الخديعة باللسان.

شروط اللعان:

نجد أن العلماء وضعوا شروطاً وضوابط للزوجين إذا تلاعنا وهي كالتالي:

- 1 ذكر أبو زهرة أنه "يشترط في الزوج أن يكون حراً بالغاً عاقلاً، ويشترط في الزوجة أن تكون حرة بالغة عفيفة"⁽¹⁾
- 2 يضيف الغندور أيضاً: "قيام الزوجية الصحيحة بين القاذف ومن قذفها، فيقع اللعان بين الزوج وزوجته، ولا يصح اللعان بين الرجل ومن عقد عليها عقداً فاسداً، ولا بينه وبين من طلقها طلاقاً بائناً، لانقطاع الزوجية"⁽²⁾.
- 3 عدم إقامة الزوج البينة أو الدليل على ما ادعاه، وأن تكون الزوجة منكراً لدعواه"⁽³⁾.
- 4 أن تكون الزوجة عفيفة غير متهمة بالزنا وشبهته.
- 5 ذكر صاحب زاد لمحتاج: "أن يتأخر لعانها عن لعانه لأن لعانها لإسقاط الحد، وإنما يجب عليها الحد بلعانه فلا حاجة إلى لعانها قبله"⁽⁴⁾.
- 6 وزاد توفيق الدين: "أن يقذفها بالزنا فيقول زنيته أو يا زانية أو رأيتك تزني سواء قذفها بزنا في القبل أو الدبر فإن قال وطئت بشبهه أو مكرهه فلا لعان بينهما"⁽⁵⁾.
- 7 ثم أضاف الرخوي: "لا يكون اللعان إلا بحضور الحاكم أو القاضي"⁽⁶⁾.

المقاصد المستقاة من اللعان:

إن ما يمكن استخلاصه واستنتاجه من تحريم اللعان هو:

- (1) محمد أبو زهرة، (الأحوال الشخصية)، دار الفكر العربي، القاهرة، ص: 346.
- (2) ينظر: أحمد الغندور، (الأحوال الشخصية في التشريع الإسلامي مع بيان قانون الأحوال الشخصية للقضاء في محاكم الكويت)، دار حنين للنشر والتوزيع، 2010)، ص: 487.
- (3) ينظر: موسوعة الأسرة للجنة الاستشارية العليا للعمل على استكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية، ج2 مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، ص: 204. بتصرف
- (4) ينظر: عبد الله بن الشيخ حسن الحسن الكوهجي (زاد المحتاج بشرح المنهاج)، تح عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، الناشر: الشؤون الدينية قطر، ج3، ط1 (1982-1402)، ص: 442 بتصرف يسير.
- (5) موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامه المقدسي، (المقنع في فقه إمام السنة أحمد بن حنبل الشيباني رضي الله عنه)، تح محمود الأرناؤوط - ياسين محمود الخطيب، سنة النشر (1421هـ - 2000م) ج3، ص: 258.
- (6) ماجد أبو رخصة، وعبد الله محمد الجبوري، (فقه الزواج والطلاق وما عليه العمل في قانون الأحوال الشخصية الإماراتي)، مرجع سابق، ص: 197.

- 1) أن تشريع الحدود من مقاصد ديننا الحنيف فالسياق هو يوضح لنا أن اللعان شرع لحماية الأسرة، ووضع سياج لتحقيق الأمن والاستقرار في البيوت.
- 2) دفع الظلم عن الزوجة حينما تتهم بالباطل من قبل زوجها.
- 3) منع الزوجات من الوقوع في فاحشة الزنا والعياذ بالله.
- 4) حفظ الأنساب من الاختلاط.

بعدما انتهينا من توضيح اللعان، والصفة التي تتم بها الملاءنة بين الزوجين، وبيننا شروطه، لنا في هذه الوقفة ما يستوقفنا لبيان نموذج آخر من نماذج القذف، يكشف عن شناعة الجرم وبشاعته، وهو يتناول بيت النبوة الطاهرة الكريم، ذلك هو حادثة الإفك التي محل بحثنا في المقطع الآتي:

المقطع الرابع: حادثة الإفك (براءة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها)

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ لَّوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ لَّوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَٰئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ⁽¹⁾

سبب نزول الآيات:

أخرج البخاري وأحمد ومسلم والترمذي والنسائي عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: كان رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) إذا أراد أن يخرج أقرع بين أزواجه فأيتهن خرج سهمها خرج بها رسول

(1) النور (11-20).

الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) معه، قالت عائشة: فأفرغ بيننا في غزوة غزاها فخرج سهمي، فخرجت مع رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بعدما نزل الحجاب فأنا أُحمل في هودجي وأُنزل فيه فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) من غزوته تلك وقفل ودنونا من المدينة قافلين، آذن ليلة بالرحيل، فقامت حين آذنوا بالرحيل، فمشيت حتى جاوزت الجيش، فلما قضيت شأني أقبلت إلى رحلي، فإذا عقد لي من جَزَع ظَفَّار قد انقطع، فالتمست عقدي وحسني ابتغاؤه، وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون لي فاحتملوا هودجي، فرحلوه على بعيري الذي كنت ركبت وهم يحسبون أنني فيه.

وكان النساء إذ ذاك خفافاً لم يثقلهن اللحم، إنما تأكل العلقة من الطعام، فلم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه، وكنت جارية حديثة السن، فبعثوا الجمل وساروا، فوجدت عقدي بعدما استمر الجيش، فجنّت منازلهم وليس بها دلّ ولا مجيب، فأمت منزلي الذي كنت به، وظننت أنهم سيفقدوني فيرجعون إليّ، فبينما أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت، وكان صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني من وراء الجيش فأدج فأصبح عند منزلي، فرأى سواد إنسان نائم، فأتاني فعرفني حين رأيته، وكان يراني قبل الحجاب، فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني، فخمرت وجهي بجلبابي، والله ما كلمني كلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه، حتى أناخ راحلته فوطئ على يديها فركبتها، فانطلق يقود بي الراحلة، حتى أتينا الجيش بعد ما نزلوا موغرين في نحر الظهيرة، فهلك من هلك، وكان الذي تولى الإفك عبد الله بن أبي بن سلول، فقدمنا المدينة، فاشتكت حين قدمت شهراً، والناس يفيضون في قول أصحاب الإفك، لا أشعر بشيء من ذلك، وهو يريني في وجعي أنني لا أعرف من رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) اللطف الذي كنت أرى منه حين أشتكي. إنما يدخل عليّ رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فيسلم ثم يقول كيف تأتيكم). ثم ينصرف، فذاك الذي يريني ولا أشعر، حتى خرجت بعدما نقهت، فخرجت معي أم مسطح قبل المناصع، وهو متبرزا، وكنا لا نخرج إلا ليلاً إلى ليل، وذلك قبل أن نتخذ الكنف قريباً من بيوتنا، وأمرنا أمر العرب الأول في التبرز قبل الغائط، فكنا نتأذى بالكنف أن نتخذها عند بيوتنا، فانطلقت أنا وأم مسطح⁽¹⁾، وهي ابنة أبي رهم بن عبد مناف، وأمها بنت صخر

(1) أم مسطح بنت أبي رهم بن المطلب بن عبد مناف القرشية المطلبية واسم أبي رهم أنيس، بفتح الهمزة، وكسر النون، وهي ابنة خالة أبي بكر الصديق، أمها بنت صخر بن عامر، يقال: اسمها سلمى بنت صخر ابن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة. لهذا ذكر في حديث الإفك، كما قالت عائشة، ينظر: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (ت 630هـ)، (أسد الغابة في معرفة الصحابة)، تح علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود الناشر: دار الكتب العلمية، ط 1 (1415هـ - 1994م)، ج 7، ص: 383.

بن عامر خالة أبي بكر الصديق، وابنها مسطح بن أثاثه، فأقبلت أنا وأم مسطح قبل بيتي قد فرغنا من شأننا، فعثرت أم مسطح في مرطها، فقالت: تعس مسطح، فقلت لها: بئس ما قلت، أتسبين رجلاً شهد بدرًا. قالت: أي هنتاه، أو لم تسمعي ما قال؟ قالت: قلت: وما قال؟ فأخبرتني بقول أهل الإفك، فازددت مرضاً على مرضي، فلما رجعت إلى بيتي ودخل علي رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - تعني - سلم ثم قال كيف تأتيكم). فقلت: أتأذن لي أن آتي أبوي؟ قالت: وأنا حينئذٍ أريد أن أستيقن الخبر من قبلهما، قالت: فأذن لي رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فجئت أبوي فقلت لأمي: يا أمتاه ما يتحدث الناس؟ قالت: يا بنية هوني عليك، فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة، عند رجل يحبها، ولها ضرائر إلا كثرن عليها. قالت: فقلت: سبحان الله، ولقد تحدث الناس بهذا؟ قالت: فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع، ولا أكتحل بنوم حتى أصبحت أبكي، فدعا رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد فأشار علي رسول الله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بالذي يعلم من براءة أهله، وبالذي يعلم لهم في نفسه من الود. فقال: يا رسول الله، أهلك وما نعلم إلا خيراً. وأما علي بن أبي طالب فقال: يا رسول الله لم يضيق الله عليك، والنساء سواها كثير، وإن تسأل الجارية تصدقك، قالت: فدعا رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) بريرة فقال أبي بريرة، هل رأيت من شيء يريبك؟ قالت بريرة: لا والذي بعثك بالحق، إن رأيت عليها أمراً أغمصه عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن، تنام عن عجين أهلها، فتأتي الداجن فتأكله.

فقام رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فاستغدر يومئذ من عبد الله بن أبي بن سلول، قالت: فقال رسول الله (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) وهو على المنبر يا معشر المسلمين، من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهل بيتي، فوالله ما علمت على أهلي إلا خيراً، ولقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلا خيراً، وما كان يدخل على أهلي إلا معي، فقام سعد بن معاذ الأنصاري فقال: يا رسول الله، أنا أعذرک منه، إن كان من الأوس ضربت عنقه، وإن كان من إخواننا من الخزرج، أمرتنا ففعلنا أمرک قالت: فقام سعد بن عباد⁽¹⁾، وهو سيد الخزرج، وكان قبل ذلك رجلاً صالحاً، ولكن احتملته الحمية، فقال لسعد: كذبت لعمر الله، لا تقتله ولا تقدر على قتله. فقام أسيد بن حضير، وهو ابن عم سعد، فقال لسعد

(1) سعد بن عباد بن دليم بن حارثة الأنصاري ابن أبي حزيمة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج.

السيد الكبير، الشريف، أبو قيس الأنصاري، الخزرجي، الساعدي، المدني، النقيب، سيد الخزرج. له أحاديث يسيرة، وهي عشرون بالمكرر. مات قبل أوان الرواية. روى عنه: سعيد بن المسيب، والحسن البصري، مرسل. له عند أبي داود، والنسائي حديثان. قال أبو الأسود: عن عروة: إنه شهد بدرًا، ينظر سير أعلام النبلاء، طبعة الرسالة، ج 1، ص: 270.

بن عبادة: كذبت لعمر الله لنقتلنه، فإنك منافق تجادل عن المنافقين. فتشاور الحيان (الأوس والخزرج)¹ حتى هموا أن يقتتلوا، ورسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قائم على المنبر، فلم يزل رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يخفضهم حتى سكتوا وسكت. قالت: فمكثت يومي ذلك لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم، قالت: فأصبح أبواي عندي وقد بكيت ليلتين ويوماً، لا أكتحل بنوم، ولا يرقأ لي دمع، يظنان أن البكاء فالق كبدي، قالت: فبينما هما جالسان عندي وأنا أبكي، فاستأذنت عليَّ امرأة من الأنصار، فأذنت لها، فجلست تبكي معي. قالت: فبينما نحن على ذلك دخل علينا رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) فسلم ثم جلس، قالت: ولم يجلس عندي منذ قيل ما قيل قبلها، وقد لبث شهراً لا يوحى إليه في شأني. قالت: فتشهد رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حين جلس، ثم قال أما بعد، يا عائشة فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه، فإن العبد إذا اعترف بذنبه، ثم تاب إلى الله تاب الله عليه. (قالت فلما قضى رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) مقالته قلص دمعي، حتى ما أحسن منه قطرة، فقلت لأبي: أجب رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فيما قال: قال: والله ما أدري ما أقول لرسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، فقلت لأمي: أجيبي رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) قالت: ما أدري ما أقول لرسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ): قالت: فقلت، وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيراً من القرآن: إني والله لقد علمت: لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر في أنفسكم وصدقتم به، فلئن قلت لكم: إني بريئة، والله يعلم أني بريئة، لا تصدقوني بذلك، ولئن اعترفت لكم بأمر، والله يعلم أني بريئة لتصدقني، والله ما أجد لكم مثلاً إلا قول أبي يوسف قال: فَصَبَّرَ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ). قالت: ثم تحولت فاضطجعت على فراشي. قالت: وأنا حينئذ أعلم أني بريئة، وأن الله مبرئي براءتي، ولكن والله ما كنت أظن أن الله منزل في شأني وحياً يتلى، ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله فيَّ بأمر يُتلى، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - في النوم رؤيا يبرئني الله بها. قالت: فوالله ما رام رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)، ولا خرج أحد من أهل البيت، حتى أنزل عليه، فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء، حتى إنه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق، وهو في يوم شات، من ثقل القول

¹ طائفة الأوس والخزرج (الأنصار)، وهؤلاء هم أهل المدينة الأصليون الذين استضافوا الرسول عليه الصلاة والسلام والمهاجرين رضي الله عنهم وأرضاهم في المدينة المنورة، وقدموا تضحيات كبيرة جداً لإيواء المسلمين، مع كل المخاطر والمشاكل التي قابلت الأنصار نتيجة هذا العمل العظيم، فالأنصار في المدينة المنورة من الأوس والخزرج هما من أكبر القبائل العربية في ذلك الوقت، ينظر: راغب السرجاني، (السيرة النبوية)، ج16، ص: 4.

الذي ينزل عليه. قالت: فلما سري عن رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) سري عنه وهو يضحك، فكانت أول كلمة تكلم بها يا عائشة، أما الله - عَزَّ وَجَلَّ - فقد برأك). فقالت أُمِّي: قومي إليه، قالت: فقلت: والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله - عَزَّ وَجَلَّ -، وأنزل الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ...﴾ العشر الآيات كلها⁽¹⁾.

خلاصة القول:

بعد الاطلاع والقراءة في كتب المفسرين وجدنا أن أغلبهم قد اعتمدوا على هذا الحديث في بيانهم لأسباب نزول هذه الآيات العشر، ومن بين المفسرين الذين قرأنا كتبهم كالطبري، والبغوي، وابن العربي، وابن عطية، والقرطبي، وابن كثير، والسعدي، وابن عاشور. هذا إن دل على شيء فإنما يدل على صحة سنده وموافقه لسياق القرآن وإجماع المفسرين على ذلك.

تعريف الإفك:

جاء في تفسير الزمخشري أن: "الإفك أبلغ ما يكون من الكذب والافتراء. وقيل هو البهتان لا تشعر به حتى يفاجئك. وأصله الأفك، وهو القلب، لأنه قول مأفوك عن وجهه. والمراد ما أفك به على عائشة رضي الله عنها"⁽²⁾.

وقال صاحب التحرير والتنوير في كتابه وهو يعرف الإفك: "الإفك اسم يدل على كذب لا شبهة فيه، فهو بهتان يفجأ الناس. وهو مشتق من الأفك بفتح الهمزة، وهو قلب الشيء"⁽³⁾.

فمن خلال القولين نستنتج أن الإفك من أسوأ الكذب، وذلك لما يتضمنه من القدح بأمهات المؤمنين (عائشة رضي الله عنها)، كما يتبين لنا ذلك من خلال الآيات في سياقها.

يبين سيد قطب في تفسيره لهذه الآية: مدى علاقة فاصلة هذه الآية لموضوعها

فيقول: "هذه الفرية الضخمة - حادثة الإفك - التي تتناول أعلى المقامات، وأطهر الأعراس، ما كان

(1) خالد بن سليمان المريني، (المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة دراسة الأسباب رواية ودراية)، دار الجوزي الدمام، المملكة العربية السعودية، ط1 (1427هـ - 2006م)، ج2، ص: 343-348.

(2) الزمخشري، (الكشاف)، ج4، ص: 273، مصدر سابق.

(3) الطاهر بن عاشور، (التحرير والتنوير)، ج18، ص: 160، مرجع سابق.

ينبغي أن تمر هكذا سهلة هينة، وأن تشيع هكذا دون تثبت ولا بينة، وأن تتقاذفها الألسنة وتلوّكها الأفواه دون شاهد ولا دليل ﴿لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾⁽¹⁾

وهم لم يفعلوا فهم كاذبون دون شاهد ولا دليل إذن. كاذبون عند الله الذي لا يبدل القول لديه، والذي لا يتغير حكمه، ولا يتبدل قراره، فهي بها الوصمة الثابتة الصادقة التي لا براءة لهم منها، ولا نجاة لهم من عقابها⁽²⁾.

يقول الطاهر بن عاشور في سياق الربط بين فاصلة الآية وموضوعها في قوله تعالى: ﴿... فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾، "وصيغة الحصر في قوله ﴿فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾، للمبالغة كأن كذبهم لقوته وشناعته لا يعد غيرهم من الكاذبين كاذباً فكأنهم انحصرت فيهم ماهية الموصوفين بالكذب، واسم الإشارة لزيادة تمييزهم بهذه الصفة ليحذر الناس أمثالهم، والتعبير بقوله: ﴿... عِنْدَ اللَّهِ..﴾، أي هو كذب في علم الله فإن علم الله لا يكون إلا موافقاً لنفس الأمر"⁽³⁾.

من خلال القولين السابقين يتضح لنا أن: سياق الآية يتحدث عن وجوب إحضار البينة وهم أربعة شهداء لإثبات وقوع جريمة الزنا، هذا ناسب أن تكون مبينة لكذب من لم يأت بالبينة، وجعلته مستغرقاً بالكذب بحيث يستحق هذا الوصف الثابت له دون غيره.

مقاصد حادثة الإفك:

ما يمكن استنباطه من حادثة الإفك هو:

1) لما كان سياق الآية يتحدث عن وجوب إحضار البينة وهم أربعة شهداء لإثبات وقوع جريمة الزنا، ناسب أن تكون الفاصلة مبينة لكذب من لم يأت بالبينة، وجعلته مستغرقاً بالكذب بحيث يستحق هذا الوصف الثابت له دون غيره.

2) أن الآيات نزلت كلها في براءة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها حين رماها أهل الإفك والبهتان من المنافقين ومن تأثر بقولهم بما قالوه من الكذب البحت، كالفرية الشنيعة التي غار الله تعالى لها ولنبيه صلى الله عليه وسلم براءتها من فوق سبع سماوات، صيانة لعرض رسول الله (صلى الله عليه وسلم)،

(1) النور (13).

(2) سيد قطب، (في ظلال القرآن)، ج4، 2502، مصدر سابق.

(3) الطاهر بن عاشور، (التحرير والتنوير)، ج18، ص: 176، مرجع سابق.

3 إن في الحادثة خيرا للمسلمين وأن أصحاب الإفك سينالون جزاءهم كلاً حسب ما ارتكب من الجرم. لأن الشائعة سببت للرسول (صلى الله عليه وسلم) آلاماً رهيبة مدة شهر كامل، قبل أن ينزل الوحي ببراءتها (رضي الله عنها) هذه التجربة رغم مرارتها إلا أنها كانت خيراً بالمسلمين هذا ما نجده في سياق الآية الكريمة: ﴿لَا تَحْسِبُوهُ شَرًّا لَّكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ﴾⁽¹⁾.

نفهم من سياق الآية أنه يجب أن يقام الحد على من اتهم أم المؤمنين بالفاحشة

4 حذرت الآيات من الوقوع في مثل تلك الحادثة واعتبرت جريمة القذف كبيرة من الكبائر، وحذرت منها بالوعيد والعتاب البليغ والزجر العنيف وجعلت القاذفين ملعونين في الدارين وتوعدتهم بالعذاب العظيم وبأن ألسنتهم ستشهد عليهم وأنهم سيوفون جزاءهم الحق الذي هم أهله. قال جل وعلا: ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾⁽²⁾. من خلال القراءة في أمهات الكتب اتضح لنا أن المقصود بالخطاب في الآية السالفة الذكر هو عبد الله بن أبي بن سلول.

خلاصة القول:

نفهم أن الله تبارك وتعالى أنزل قرآنا يبين فيه للكفار والمنافقين ومن سلك طريقهم، أن عائشة بريئة مما رماها به أهل الإفك والبهتان، هذا إن دل على شيء فإنما يدل على عفيتها وطهارتها وشرفها، وبهذا فقد عصم الله نبيه بأن يجعل في بيته عنصراً طاهراً، ودرساً لا ينسى للانتهازيين الذين يقعون في أعراض الناس، كما حذرت الآيات من الوقوع في مثل تلك الحادثة، واعتبرت جريمة القذف كبيرة، وحذرت منها بالوعيد والعتاب البليغ والزجر العنيف، وجعلت القاذفين ملعونين في الدارين وتوعدتهم بالعذاب العظيم، وبأن ألسنتهم ستشهد عليهم، وأنهم سيوفون جزاءهم الحق الذي هم أهله ما ذكرنا سابقاً.

وأنه لولا فضل الله تعالى ورحمته بالمؤمنين لمس المشاركون منهم في الإفك عذاب عظيم يتناسب مع العذاب الذي سببوه للرسول وزوجه وصاحبه ويتناسب مع الشر الذي أذاعوه، ولكن رحمة الله الواسعة شملت المخطئين وباب التوبة مفتوح لكل من يتوب. كما سنوضح هذا في مشوار بحثنا.

(1) النور (11).

(2) النور (11).

ومّا يلفت النظر أنّنا إذا تأملنا في سورة النور وجدنا أنّ الله يخاطب المؤمنين بالتنفيذ والتطبيق سواء في تنفيذ أمر ما، أو الانتهاء عن فعل معين مذكور في النص القرآني، لقد امتاز الخطاب في القرآن بأداة النداء الأساسية وهي (يا أيها) ونادراً ما يستعمل (أي) أو (الهمزة) أو (وا) أو (هيا)، واستعمل الأداة (يأيها) لحكمة بيانية اقتضاها القرآن الكريم، وهي أن ياء النداء أبلغ الأدوات لأنها تمتاز بالخصائص التالية:

- 1) ياء النداء هي الأداة الوحيدة التي يمكن أن تصلح لجميع مستويات الخطاب البعيد والقريب.
- 2) النداء بالياء يوجد الشعور بالفارق بين المخاطب والمخاطب، فيشعر بالمكانة والبعد بين الله والبشر (المخاطبين).

- 3) النداء بـ (يا) فيها من الطول في الصوت، ويكون مدّاً طبيعياً أو مدّاً منفصلاً إذا جاء بعدها الهمزة، وهذا يهيئ السامع للاستجابة ولا يوجد ذلك في باقي الأدوات ⁽¹⁾.

فإذا أمعنا النظر في الآيات الشريفة وجدنا أن الله عز وجل يخاطب المؤمنين فيناديهم بأحب الألقاب إليهم فيقول: يا من اتصفتم بالإيمان عليكم أن تتحلوا بالفضيلة والآداب الرفيعة التي منها الاستئذان عند الدخول على الآخرين في بيوتهم، وطرح السلام عليهم، فإن ذلك يوثق عرى المؤاخاة، ويزيد المحبة، ويحقق التآلف والوئام بين الناس في المجتمع الإسلامي. ومنع الدخول على الآخرين بغير إذنه حتى لا يقع النظر على عورات الناس، أو على مكروه لا يحبه أهل البيت، فيؤدي إلى سخطهم وغضبهم، وإذا لم يؤذن للزائر بالدخول فعليه الرجوع، لأن أصحاب البيت قد يكونوا على حالة، أو في وضع لا يسمح باستقبال أحد من الزائرين.

وإذا لم يوجد في البيوت أحد من أهلها فلا يجوز دخولها بغير إذن، لأن للبيوت حرمة، فقد لا يرغب صاحب البيت أن يطلع أحد على ما يوجد لديه من متاع أو مال، أو ربما يفقد شيء من البيت فتأتي الشبهات على ذلك الإنسان الذي دخل البيت أثناء غياب أهله، لذلك كان الرجوع أذكى للنفوس وأظهر للقلوب، ولا مانع من حمل مكاتب الموظفين على البيوت المسكونة فيستأذن عليهم، لأن الموظف قد يكون مشغولاً، أو عنده مصلحة لا يجب أن يطلع عليها أحد. أما بالنسبة للبيوت غير المسكونة

(1) محمد جمال الدين القاسمي، (محاسن التأويل)، ط2، (1398هـ - 1978م)، دار الفكر، بيروت.

كالحوانيت والمحلات التجارية التي فيها منفعة للناس أو مصلحة فيجوز دخولها ما دامت مفتوحة بغير استئذان، لأن علة تحريم الدخول غير متوفرة فيها." (1)

المقطع الخامس: آداب الاستئذان والحكمة من تشريعه

ورد سبب نزول ذلك في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ (2)

سبب النزول والقصد من نزول الآيات

ذكر الواحدي في كتابه أسباب نزول الآيات: "أخبرنا أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، قال: أخبرنا الحسين بن محمد بن عبد الله الدينوري، قال: حدثنا عبد الله بن يوسف بن أحمد بن مالك، قال: أخبرنا الحسين بن سَخْتَوِيَّة، قال: حَدَّثَنَا عمر بن ثور وإبراهيم بن أبي سفيان، قالوا: حَدَّثَنَا محمد بن يوسف الفَرِّيَّابِي، قال: حَدَّثَنَا قيس، عن أشعث بن سوار، عن عدي بن ثابت، قال: "جاءت امرأة من الأنصار، فقالت: يا رسول الله إني أكون في بيتي على حال لا أحب أن يراني عليها أحد، لا والد ولا ولد، فيأتي الأب فيدخل عليّ، وإنه لا يزال يدخل عليّ رجل من أهلي وأنا على تلك الحال، فكيف أصنع؟ فنزلت هذه الآية: ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا﴾ (3).

ذكر الواحدي: "فلما نزلت هذه الآية، قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: يا رسول الله، أفرأيت الخانات والمسكن في طرق الشام ليس فيها ساكن؟ فأنزل الله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ﴾ (4) (5).

(1) ينظر: (التفسير الواضح)، مج2، ج18، ص: 61-62، وأيضاً (صفوة التفاسير)، ج2، ص: 334.

(2) النور (27-29).

(3) النور (27).

(4) النور (29).

(5) الواحدي، (أسباب النزول)، تح الحميدان، ج1، ص: 325، مصدر سابق.

خلاصة القول:

شرّع الله عز وجل الاستئذان لحرمه البيوت وحتى لا يقع الداخل فيما لا يحمد عقباه، وحتى لا يسبب لأصحاب البيوت حرج، كما أن الداخلين من دون استئذان يجعل أعينهم تقع على عورات أو تلتقي بمفاتيح تثير الشهوات وتهيج الفرصة للغواية الناشئة من اللقاءات العابرة والنظرات الطائرة التي قد تتكرر فتتحول إلى نظرات قاصدة تحركها الميول التي أيقظتها اللقاءات الأولى على غير قصد ولا انتظار وتحولها إلى علاقات آثمة بعد بضع خطوات، أو إلى شهوات محرمة تنشأ عنها العقد النفسية والانحرافات الباطلة التي تغضب العباد ورب العباد.

كما يذكر صاحب ظلال القرآن في كتابه حيث يقول: "ولقد كانوا في الجاهلية يهجمون على البيوت هجوماً، فيدخل الزائر البيت ثم يقول: لقد دخلت! وكان يقع أن يكون صاحب البيت مع أهله في الحالة التي لا يجوز أن يراها عليه أحد، وكان يقع أن تكون المرأة عريانة أو مكشوفة العورة، هي أو الرجل، وكان ذلك يؤذي ويحرج ويحرم البيوت أمنها وسكنتها، كما يعرض النفوس للفتنة حين تقع العين على ما يثير من أجل ذلك أدب الله المسلمين بهذا الأدب العالي الرفيع، وهو الاستئذان على البيوت والسلام على أهلها قبل الدخول"⁽¹⁾.

فالمأمل لهذه الآيات يتبين له من خلال سياقها أنها بينت بعض آداب البيوت، ومن هذه الآداب: الاستئذان: حثت عليه سورة النور وأوصت به، كما جاء في الآيات السالفة الذكر، ومنه أن الله نهي عن الدخول إلى بيوت الغير من دون استئذان، لأن الدخول عليهم يسبب لهم الإحراج والقلق في نفوسهم، وقد تقع عيناه وبصره على عورة محرمة ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((إنما جعل الله الإذن من أجل البصر))⁽²⁾.

إن الغاية والهدف من الإذن والاستئذان هو حفظ البصر من النظر إلى الحرام ومن الوقوع فيما لا يحمد عقباه.

⁽¹⁾ ينظر: سيد قطب (في ظلال القرآن)، ج 1، ص: 87-88.

⁽²⁾ رواه مسلم في (كتاب الآداب) برقم: (2156)، مصدر سابق.

كما أن الاستئذان من أدب المسلم، وذلك على أن يستأذن الداخل ثلاث مرات، وهذا نفهمه من السياق الخارجي الذي جاء به نبينا صلى الله عليه وسلم.

ومما جاء عن الحسن البصري أن أبا موسى الأشعري استأذن على عمر (رضي الله عنه) ثلاثاً فلم يؤذن له فرجع فأرسل إليه عمر فقال: ما الذي أرجعك؟ فقال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إذا استأذن أحدكم ثلاثاً فلم يؤذن له فليرجع))⁽¹⁾.

نفهم من خلال هذا الحديث أن:

- (1) أن هناك مقصد من تعدد الاستئذان وهو: أن الأولى استعلام والثانية تأكيد والثالثة للاعتذار، هذه هي شريعة الإسلام حتى يبقى للبيوت حرمتها سواء كانت عامرة أو فارغة، كما يكون الأمن لصاحب البيت حاضراً أو غائباً.
- (2) يفهم من سياق الحديث أيضاً أنه إذا لم يوجد في البيت أحد فالدخول يكون محرماً.

المقطع السادس: غض البصر عن المحرمات والحكمة من تشريعه

ذكرت في مقال منشور: "فغض البصر هو العاصم والحافظ والمانع، بل العلاج الأكبر للابتعاد عن فاحشة الزنا

ودواعيها، قال جل وعلا في كتابه الكريم: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾⁽²⁾،⁽³⁾

⁽¹⁾ أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، (صحيح البخاري)، باب التسليم والاستئذان ثلاثاً، ج8، ص: 145.

⁽²⁾ النور (30-31).

⁽³⁾ بن علي راس الماء، مقاصد الخطاب القرآني في ضوء النظرية السياقية، نماذج مختارة من سورة النور، ص: 350، سابق.

فالقرآن الكريم لم يترك الإنسان هملاً، بل جاء بتشريعات وأنظمة يسير وفقها البشر، ليبقى المجتمع سليماً نقياً من الآفات والأمراض التي تهتك بالفرد والمجتمع ككل، فمن بين التشريعات غض البصر، حيث ضبطه بضوابط.

يفهم من الخطاب الموجه إلى النبي صلى الله عليه وسلم: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾، ومنه قول جرير:

فَغَضُّ الطَّرْفِ إِلَيْكَ مِنْ نَمِيرٍ فَلَا كَغَبٍّ بَلَغَتْ وَلَا كِلَاباً⁽¹⁾

وقول عنتره:

وَأَغْضُ طَرْفِي إِنْ بَدَتْ لِي جَارِي حَتَّى يُؤَارِي جَارِي مَأْوَها⁽²⁾

فإذا أمعنا النظر في الآيتين يتضح لنا أن غض البصر له حكم وأسرار من بينها نذكر منها ما يلي:

1) ذكرت في مقال منشور: "أن غض البصر يمنع وصول أثر السهم المسموم"⁽³⁾. قال

صلى الله عليه وسلم في ذلك: ((إِنَّ النُّظْرَةَ سَهْمٌ مِنْ سِهَامِ إبْلِيسَ مَسْمُومٌ، مَنْ تَرَكَهَا مِنْ مَخَافَتِي أَبْدَلْتَهُ إِيْمَانًا يَجِدُ حَلَاوَتَهُ فِي قَلْبِهِ))⁽⁴⁾

2) أنه يكسب القلب نورا وإشراقاً يسير به في دنياه ويكون له نجاة ونورا عند لقاء ربه تعالى.

3) أنه يسد على الشيطان مداخله.⁽⁵⁾

(1) جرير بن عطية الخطفي، (ديوان جرير)، دار صادر، بيروت، طبعة: (1960)، ص: 63

(2) عنتره العبسي، (ديوان عنتره)، دار صادر، بيروت، طبعة عام: (1908 م)، ص: 76.

(3) بن علي راس الماء، مقاصد الخطاب القرآني في ضوء النظرية السياقية، نماذج مختارة من سورة النور، ص: 350، سابق

(4) ينظر: أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله (ابن البيع)، (ت 405هـ)، (المستدرک علی الصحیحین)، تح مصطفى عبد القادر عطا، برقم: 7875، دار الكتب العلمية بيروت، ط1 (1411هـ - 1990م)، ج4، ص: 394.

(5) بن علي راس الماء، مقاصد الخطاب القرآني في ضوء النظرية السياقية، نماذج مختارة من سورة النور، ص: 350، سابق

قال ابن الجوزي: "إن بين العين والقلب منفذاً يوجب انفعال أحدهما بالآخر" (1).

كما يوجه الخطاب للرجال يوجه للنساء، وذلك في نفس سياق غض للبصر في الآية التي تليها يقول تعالى: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخْوَانِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوْ الْطِفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (2).

خلاصة القول:

إن ما نلاحظه في القرآن الكريم أن التكاليف العامة والآداب التي تشمل نوعي الذكور والإناث، هي أن يوجه الأمر والنهي، ويصرف الخطاب إلى جماعة الذكور، وتكون النساء داخلات في الحكم بطريق التغليب والقياس، إلا إذا كانت الأحكام خاصة بالنساء فعند ذلك ينفردن بالخطاب، لكن في هذا الموضع عطف الأمر ذاته على النساء وبنفس قوة الأمر الأول في تصدير الآية هذه بفعل (قل)، وإظهار المخاطبين بما يثبت لا محالة دخول النساء بنفس الحظر السابق على وجه الاستقلال وذلك للتأكيد كما يقول القرطبي (3)، وزاد بعضهم على ذلك: "أنهن زدن على الرجال أحكاماً تخصهن وهي النهي عن إبداء زينتهن إلا ما استثنى الله تعالى، والأمر بإرخاء خمرهن على جيوبهن والنهي عن كل فعل يلفت النظر إلى زينتهن، وينبه الناس عليها" (4).

(1) محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (ت751هـ)، (الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي). دار المعرفة - المغرب - ط1 (1418هـ - 1997م)، ص: 180.

(2) النور (31).

(3) ينظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) ج6، ص: 226، مصدر سابق.

(4) ينظر: السائيس، محمد علي، (تفسير آيات الأحكام)، أشرف على تنقيحه وتصحيح أصوله محمد علي السائيس وعبد اللطيف السبكي ومحمد إبراهيم كرسون، دار ابن كثير ودار القادري، دمشق، بيروت، ط1، (1994)، ج2، ص: 304.

ويستشهد جهاد محمد فيصل النصيرات بقول الشافعي، حيث يقول: قال الشعراوي في تفسيره: "وحين تتأمل مسألة غرض البصر تجدوها من حيث القسمة العقلية تدور حول أربع حالات:

الأولى: أن يغض هو بصره ولا تبدي هي زينتها، فخطّ الفتنة مقطوع من المرسل ومن المستقبل.

الثانية: أن يغض هو بصره وأن تبدي هي زينتها.

الثالثة: أن ينظر هو ولا تبدي هي زينتها. وليس هناك خطر على المجتمع أو فتنة في هذه الحالات الثلاث، فإذا توفر جانب انعدم الآخر.

إنما الخطر في القسمة الرابعة: وهي أن ينظر هو ولا يغض بصره، وأن تتزين هي وتبدي زينتها، ففي هذه الحالة فقط يكون الخطر¹.

إذن: فالحق - تبارك وتعالى - حرم حالة من أربع حالات⁽²⁾.

يتضح لنا من كلام الشعراوي أن النظر إلى ما حرم الله يوقع صاحبه في المهالك والمزالق الشيطانية، ولقد صدق شوقي حينما قال:

نَظْرَةٌ فَأَبْتَسَامَةٌ فَسَلَامٌ فَكَلَامٌ فَمَوْعِدٌ فَلِقَاءٌ⁽³⁾

فعلى المسلم أن يغض بصره ويحفظ فرجه، قال الشعراوي في كتابه متحدثاً عن غرض البصر بقوله: " ليسد منافذ فساد الأعراض، ومنع أسباب تلوث النسل، ليأتي الخليفة لله في الأرض طاهراً في مجتمع طاهر نظيف شريف لا يتعالى فيه أحد على أحد، بأن له نسبا وشرفا، والآخر لا نسب له"⁽⁴⁾.

¹ بن علي راس الماء، مقاصد الخطاب القرآني في ضوء النظرية السياقية، نماذج مختارة من سورة النور، ص: 351، سابق

⁽²⁾ محمد متولي الشعراوي، (ت 1418هـ)، خواطر الشعراوي (تفسير الشعراوي)، الناشر: مطابع أخبار اليوم (1979)، ص: 10249.

⁽³⁾ أحمد شوقي، (الشوقيات)، مكتبة صديق موسى السيد، القاهرة، (1961)، ج 2، ص: 111.

⁽⁴⁾ محمد متولي الشعراوي، (ت 1418هـ)، خواطر الشعراوي (تفسير الشعراوي)، الناشر: مطابع أخبار اليوم (1979)، 10250. مرجع سابق

خلاصة القول:

إن من مقاصد شريعة الإسلام حفظ الأعراض والأنساب، فهو دين النظافة والطهارة، دين النقاء والصفاء، دين حفظ للمرء كرامته، وصناء أعراض الناس بتشريع الأحكام والحدود لكيلا يقع الناس فيما لا يحمد عقباهم، فالله عز وجل قد أحاطهم بسياجٍ منيعٍ حصين.

فهذا ابن عاشور يوضح لنا أن غض البصر مستعمل في التحريم، لأن غضها عن الحلال لا يلزم، وإنما يلزم غضها عن الحرام، فلذلك أدخل حرف التبعض في غض الأبصار.

كما أن من نظر العين ما لا يحرم وهو النظرة الأولى، فما زاد عليها فمحرم، وليس من أمر الفروج شيء ما يحلل.

وقال أيضا: "إن ما يحرم وهو ما يتعلق بالأجانب، ومنه ما يحلل وهو ما يتعلق بالزوجات وذوي المحارم بخلاف الفرج فإن ستره واجب في الملاء والخلوة".⁽¹⁾

المقطع السابع دعوة المؤمنين بالتوبة قبل فوات الأوان

أما قوله تعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾⁽²⁾.

يقول صاحب أضواء البيان: "لما أمر الله تعالى بهذه الآداب المذكورة في الآيات المتقدمة، وكان التقصير في امتثال تلك الأوامر قد يحصل علم خلقه ما يتداركون به، ما وقع منهم من التقصير في امتثال الأمر، واجتناب النهي، وبين لهم أن ذلك إنما يكون بالتوبة، وهي الرجوع عن الذنب، والإنابة إلى الله بالاستغفار منه، وهي ثلاثة أركان:

الأول: الإقلاع عن الذنب إن كان متلبسا به.

الثاني: الندم على ما وقع منه من المعصية.

⁽¹⁾ محمد بن عبد الله (ابن العربي المالكي)، (أحكام القرآن)، تح علي محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي، دط، دت، ج3، ص: 1365.

⁽²⁾ النور (31).

الثالث: النية ألا يعود إلى الذنب أبداً، والأمر في قوله في هذه الآية: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا﴾⁽¹⁾.

جاء الخطاب هنا بصيغة صريحة تفيد الوجوب، فالتوبة واجبة على كل مكلف، من كل ذنب اقترفه، وتأخيرها لا يجوز فتجب منه التوبة أيضاً.

وورد في التفسير الكبير: "أنَّ أمره لجميع المؤمنين بالتوبة. نفهم هذا من سياق الكلام ففي هذا السياق تنبيه على أنه لا يخلو أيُّ مؤمنٍ من بعض هذه الذنوب، التي هي ترك غض البصر وحفظ الفرج، وترك إبداء الزينة، وما يتبع ذلك، فمستقل ومستكثر، كما في الصحيح عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: ((يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً ولا أباي، فاستغفروني أغفر لكم))⁽²⁾

فلما نقرأ الآية السابقة: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾

فمن خلال القراءة والبحث ظهر لنا أن الآية لها سياق خارجي يبين معناها، يقول الشنقيطي: "ومن الآيات التي بينت هذا المعنى هنا هي قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُم سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾⁽³⁾، فقوله في آية (التحریم): ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾، كقوله في آية (النور): ﴿أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ لأنَّ من كفرت عنه سيئاته أدخل الجنة، فقد نال الفلاح بمعنييه، وقوله في سورة (التحریم): ﴿تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ موضحاً لقوله في سورة (النور): ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا﴾، قال الشنقيطي: "ونداؤه لهم بوصف الإيمان في الآيتين فيه تهيج لهم، وحث على امتثال الأمر، لأن الاتصاف بصفة الإيمان بمعناه الصحيح، يقتضي المسارعة إلى امتثال أمر الله، واجتناب نهيهِ، والرجاء المفهوم من لفظة عسى في سورة (التحریم)، هو المفهوم من لفظة لعل في آية (النور)، كما لا يخفى"⁽⁴⁾.

(1) الشنقيطي، (أضواء البيان)، ج5، ص: 519.

(2) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، برقم: 2577، ج4، ص: 994، مصدر

سابق

(3) التحريم (08).

(4) الشنقيطي، (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن)، مرجع سابق، ج5، ص: 521، مرجع سابق.

فالسباق هو الذي بين لنا كيف يجب أن تكون هذه التوبة، وماهي شروطها؟، لأن سورة (النور) جاءت مطلقة، وفي سورة (التحریم) جاءت شارحة وموضحة ومبينة للتوبة النصوح، التي لا تلاعب فيها ولا بهتان، حتى ينال العبد رضوان الله ويفوز بدخول الجنة.

المقطع الثامن: الحث على تزويج الإماء والصالحين من المؤمنين وبيان المقاصد الشرعية منه

قال تعالى: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ وَلَيْسَتَغْفِبَ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُمْ مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَن يُكْرِهِنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبِينَاتٍ وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾⁽¹⁾.

لقد حصّن الإسلام المجتمع المسلم بتحريم الزنا وأسبابه، وشرع بالتدابير الواقية من مثل: غض البصر، وإخفاء الزينة، والاستئذان عند دخول البيوت، هذا ما شاهدناه في سورة النور. ثم بعد ذلك شرّع الإسلام الزواج الحلال، ورغب فيه تحصيناً لأفراد المجتمع من الوقوع في الفاحشة، واعترافاً بواقع الإنسان وفطرته، وتنظيماً له ليتوافق مع مصلحة المجتمع في بناء الأسرة ورعاية الأبناء وحفظ النسب.

يقول صاحب البحر المحيط: "إن الإسلام الذي حرم الزنا وفتح باب الزواج الحلال، ورغب به، والزواج تحصين وإعانة على العفة، وتحصين للمجتمع وبناء للبناته وأسرته"⁽²⁾.

كما أن الزواج سنة الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، قال الله عز وجل مخاطباً نبيه محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾⁽³⁾، سنة إلهية جعلها الله على خلقه، بدأها بزواج آدم من حواء وأمرنا بها في محكم تنزيله، وحضنا عليها حبيبنا ومصطفاه

(1) النور (32-34).

(2) أبو عبد الله محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي، (ت 745 هـ)، (البحر المحيط في تفسير القرآن العظيم) ج 6، ص: 450.

(3) الرعد (38).

محمد بن عبد الله صلوات ربي وسلامه عليه، حث شباب الأمة على الزواج في سن مبكرة وشجع الناس على مباركته وإتمامه فقال: ((يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج))⁽¹⁾.

تبين لنا من خلال الآيات السالفة الذكر - التي تحت على النكاح - أن معنى الآيات، أو سياق الآيات لا يزال يذكر الأسباب الواقية من الوقوع في فاحشة الزنا، والعياذ بالله، وقد ورد في هذه الآيات أوامر من الله سبحانه وتعالى إلى الزواج أو التزويج، وذلك لما فيه من الحكم والأسرار، قال تعالى: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾⁽²⁾، وقال: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾⁽³⁾.

قال صاحب تفسير البحر المحيط: "لما تقدمت أوامر ونواه في غرض البصر وحفظ الفرج وإخفاء الزينة وغير ذلك، وكان الموجب للطموح من الرجال إلى النساء ومن النساء إلى الرجال، هو عدم التزوج غالباً، لأن في تكاليف النكاح وما يجب لكل واحد من الزوجين ما يشغل أمر تعالى بإنكاح الأيامي، وهم الذين لا أزواج لهم من الصنفين حتى يشتغل كل منهما بما يلزمه، فلا يلتفت إلى غيره.

والظاهر أن الأمر في قوله: ﴿وَأَنْكِحُوا﴾ للوجوب، وبه قال أهل الظاهر، وأكثر العلماء على أنه هنا للندب، ولم يخلُ عصرٌ من الأعصار من وجود ﴿الْأَيَامَى﴾ ولم ينكر ذلك، ولا أمر الأولياء بالنكاح"⁽⁴⁾.

وقال القرطبي: "هذه المخاطبة تدخل في باب الستر والصلاح، أي زوجوا من لا زوج له منكم فإنه طريق التعفف، والخطاب للأولياء. وقيل للأزواج. والصحيح الأول، إذ لو أراد الأزواج لقال: ﴿وَأَنْكِحُوا﴾ بغير همز، وكانت الألف للوصل. وفي هذا دليل على أن المرأة ليس لها أن تنكح نفسها بغير ولي، هو قول أكثر العلماء"⁽⁵⁾.

يتضح لنا من خلال ما سبق أنّ الأمر لا يدل على الوجوب، بل هو ترغيبٌ في إعانة الراغبين منهم في الزواج وتمكينهم من الإحصان بوصفه وسيلة من وسائل الوقاية. وتطهير المجتمع الإسلامي من

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، (كتاب النكاح)، باب قول النبي من استطاع منكم الباءة، برقم: 5065، ص: 1005.

(2) النساء (03).

(3) النور (32).

(4) محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، (أبو حيان)، (ت 745هـ)، (البحر المحيط في التفسير)،

تح صدقي محمد جميل، دار الفكر بيروت، ط (1420)، ج 8، ص: 7-8.

(5) القرطبي، (الجامع لأحكام القرآن، تفسير القرطبي)، ج 12، 239. مصدر سابق.

الفاحشة (الزنا). هذا ما نجده في سياق الحديث النبوي الشريف: ((يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج))⁽¹⁾. يقول صاحب انشراح الصدور في تدبر سورة النور: "ومن قواعد الشريعة المطهرة أن المشقة تجلب التيسر، ولهذا لما نهى الله عز وجل في سورة النساء عن نكاح اليتيمات، إذا خيف عدم العدل معهن أمر بنكاح ما طاب من النساء كفية وكمية، فإن خيف عدم العدل فواحدة، قال تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾⁽²⁾.

ومما يزيدنا ترغيباً وحثاً على أن الزواج سنة الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، الآيات القرآنية تحت وترغب في الزواج، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِيَّةً﴾⁽³⁾، فما معنى الإنكاح وما حكمه وأسراره ومقاصده؟

يقول الشنقيطي في كتابه: "الإنكاح هنا معناه: التزويج، ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى﴾ أي: زوجوهم، والأيامى: جمع أيم بفتح الهمزة وتشديد الياء المكسورة، والأيم: هو من لا زوج له من الرجال والنساء، سواء كان قد تزوج قبل ذلك، أو لم يتزوج قط، يقال: رجل أيم، وامرأة أيم، والعرب تقول: أم الرجل يئيم، وآمت المرأة تئيم، إذا صار الواحد منهما أيمًا، وكذلك تقول: تأيم إذا كان أيمًا"⁽⁴⁾. ومثاله في الأول قول الشاعر ابن المعتدل

تَأَيَّمْتُ حَتَّى لَا مَيَّ كُلِّ صَاحِبٍ رَجَاءٍ بِسَلَمَى أَنْ تَيِّمَ كَمَا إِمْتُ⁽⁵⁾.

ومن الثاني قوله:

فَإِنْ تَنْكِحِي أَنْكِحِي وَإِنْ تَتَأَيَّمِي وَإِنْ كُنْتُ أَفْتَى مِنْكُمْ أَتَأَيَّمُ⁽⁶⁾.

(1) حمزة محمد قاسم، (منار القاري شرح صحيح البخاري)، راجعه عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة المؤيد، الطائف، م ع السعودية، (1410هـ - 1990م)، كتاب النكاح، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم ((من استطاع منكم الباءة فليتزوج))، ج 5، ص: 91.

(2) النساء (03).

(3) الرعد (38).

(4) محمد الأمين الشنقيطي، (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن)، ج 5، ص: 528. مرجع سابق

(5) عمرو بن بحر بن محبوب الكناي بالولاء، الليثي، أبو عثمان، (الجاحظ)، (ت 255هـ)، (البيان والتبيين)، دار ومكتبة الهلال، بيروت، (1423هـ)، ج 2، ص: 210.

(6) ينظر: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي أبو جعفر، (الطبري)، (ت 310هـ)، (جامع البيان في تأويل القرآن)، تح أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط 1 (1420هـ - 2000م)، ج 19، ص: 125.

يتبين لنا من خلال الأقوال السابقة أن الأئمة يطلق على الرجل والمرأة، وعلى هذا فالشارع يأمر بتزويج الأيامي من المؤمنين كما جاء في الآية السالفة الذكر، ويفهم أيضا أن فيه دليل على مساعدة الفقراء وتزويجهم، وأن لا يكونوا في المجتمع أيامي وهم في حاجة إلى النكاح، لأن ذلك قد يدفعهم إلى مسالك الحرام والعياذ بالله.

المقاصد الشرعية للزواج:

شرع الله عز وجل الزواج، لحكم وأسرار، ولما فيه من الفوائد الدينية والدينية والاجتماعية والصحية فمن بين مقاصده ما يلي:

- 1) رأينا فيما سبق أن الله حرم فاحشة الزنا حيث قال جل وعلا في سورة الإسراء: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّانَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾⁽¹⁾، وذلك لما فيه من المفساد والأضرار كاختلاط الأنساب حدوث الأمراض وغيرها، تبين لنا من خلال سياق الآيات أن الله لما حرم الزنا أحل النكاح، كما في الآيات السالفة الذكر، نهي تعالى عن شيء ضار في الإسلام وقابله بشيء نافع، فالزواج المؤدي للعفة والطهارة والصفاء، وبقاء النوع الإنساني، وحفظ الأنساب، ودوام الألفة والمحبة، وبناء الأسرة القوية، لذا رغب الشرع الحنيف بالزواج والاستعفاف، وحذر من البغاء، ورغب الموسرين - الأغنياء - في مساعدة المكاتبين على إقامة سنة الأنبياء والمرسلين (الزواج).
- 2) أن الزواج هو السبيل الوحيد للتحصين من الشهوات، فلذلك اعتبر من صرف شهوته بغير سبيل الزواج من المعتدين، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾⁽²⁾.
- 3) أن المقصد الأصلي للنكاح كثرة النسل، قال الشاطبي: "النكاح مشروع للتناسل على القصد الأول"⁽³⁾.

(1) الإسراء (17).

(2) المؤمنون (5-6).

(3) إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي، (الشاطبي)، (ت 790هـ)، (الموافقات)، تح أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، ط 1 (1417هـ - 1997م)، ج 3، ص: 139.

كما ورد عن الغزالي في كتابه أنه قال: "النكاح فيه فوائد... الفائدة الأولى الولد وهو الأصل وله وُضع النكاح، والمقصود إبقاء النسل وألا يخلو العالم عن جنس الإنس"⁽¹⁾ ويقول ابن القيم الجوزية: "الجماع وضع في الأصل لثلاثة أمور هي مقاصده الأصلي، أحدها: حفظ النسل ودوام النوع إلى أن تتكامل العدة التي قدر الله بروزها إلى هذا العالم، الثاني: إخراج الماء الذي يضر احتباسه واحتقانه بجملة البدن، والثالث: قضاء الوطر ونيل اللذة والتمتع بالنعمة"⁽²⁾. فمن خلال الأقوال الثلاثة يتبين لنا أن كثرة النسل هو المقصد الأساسي من النكاح، والدليل على ذلك حديث الرسول صلى الله عليه وسلم، الذي يقول فيه: ((تزوجوا الودود الولود، فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة))⁽³⁾

وعلى هذا الأساس فالزواج إذن وسيلة مشروعة لبقاء النوع الإنساني، وتكاثره لعمارة الأرض بالخير، والنسل من النعم التي تستحق الحمد وتوجب الشكر، قال جل وعلا: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾⁽⁴⁾ فكان لزاماً رعاية هذا النسل والإكثار منه وإعداده إعداداً سليماً ليكون جديراً بخلافة الله في الأرض.

خلاصة الأقوال السابقة:

ما يمكن استخلاصه من أقوال المفسرين: أن الآية نزلت في شأن الذين كانوا يجبرون أماتهم - جمع أمة - على فاحشة الزنا (البغاء)، والنهي عن الإكراه على الزنا وهذا لشناعته وقبحه، كما كانت النفوس في الجاهلية تأباه، وتكرهه، فجاء سياق الآية مناسبا لما يقع منهم. ويفهم من ذلك أيضا أن شرف المرأة وكرامتها أعز وأنفس من كل شيء، كما يفهم من سياق الآية أنه آن وقت التوبة، والإقلاع عن ثوب

(1) أبو حامد محمد بن محمد الطوسي، (الغزالي)، (ت 555هـ)، (إحياء علوم الدين)، دار المعرفة، بيروت، د ط، د ت، ج 2، ص: 24.

(2) محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، (ابن قيم الجوزية)، (751هـ)، (زاد المعاد في هدي خير العباد)، دار المعرفة، بيروت، ج 2، ص: 24.

(3) ينظر: أبو عبد الله أحمد بن محمد (ابن حنبل)، بن أسد الشيباني، (ت 241هـ)، (مسند الإمام أحمد بن حنبل)، تح شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون، إشراف عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، دمشق، ط (1421: 1 - 2001م)، برقم: 2050 ج 7، ص: 242.

(4) الكهف (46).

المعصية، لأن ذلك - فعل الزنا- بسببه تختلط الأنساب، ومن خلال استقراءنا للنصوص وجدنا أن حفظ النسل مقدّم على حفظ المال. فهذا من مقاصد شريعة الإسلام.

(4) ومن المقاصد أيضاً: أن أمر الله عز وجل في الآيات لا يحمل على الوجوب، بل أمر الأولياء ومن لهم حق بتزويج من لهم عليهم حق الولاية، وللإمامة والعباد والعملاء، يفهم هذا من خلال السياق الخارجي- السنة-. لأنه قد كان في عصر النبي صلى الله عليه وسلم وفي سائر العصور بعده أيام من الرجال والنساء ولم ينكر ذلك أحد عليهم، والظاهر أن الأمر يكون للوجوب إذا خيفت الفتنة وغلب على الظن حصول السفاح من الرجل أو المرأة. وبالتالي فالزواج تعثره الأحكام الخمسة.

(5) ومن مقاصد الآيات أيضاً أن الله عز وجل رغب في الزواج بالفقير والفقيرة وألا يكون عدم وجود المال حائلاً عن إتمامه فقال: ﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾

فالمال ليس هو المقصد والمغزى، قال ابن عباس: أمر الله سبحانه بالنكاح، ورغبهم فيه، وأمرهم أن يزوجوا أحرارهم وعبيدهم ووعدهم في ذلك الغنى. كما جاء ذلك واضحاً في سياق الحديث، فعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ثلاثة حق على الله عونهم: الناكح يريد العفاف، والمكاتب يريد الأداء، والغازي في سبيل الله)).⁽¹⁾

فمن خلال بحثنا سواء في هذين النصين أو في النصوص السابقة تبين لنا أن فيه حث على التزوج، ووعد للمتزوج بالغنى بعد الفقر، ففي هذا قطع لحجة الذين يرفضون تزويج الفقير خشية أن يزيد النكاح بؤساً إلى بؤسه، فلا يمنعكم ما تتوهمون من أنه إذا تزوج افتقر بسبب كثرة العائلة ونحوه، فهذه النظرة المادية يكذبها الواقع أيضاً فكم من فقير أصبح بعد زواجه موفور النعمة، قرير العين.

(6) ومن مقاصد الزواج أيضاً: تحقيق السكن النفسي والمودة بين الزوجين
لقد خلق الله تعالى الذكر والأنثى، وجعل كل واحد منهما يميل نحو الآخر، ويتقارب منه، تحقيقاً لهذا الميل والإحساس والتطلع، ثم بالزواج يجد كل من الزوجين صديق عمره، وشريك حياته، فيتحقق لهما السكن النفسي مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا

(1) محمد علي الصابوني، (مختصر تفسير بن كثير)، دار القرآن الكريم بيروت لبنان، ط7 (1402هـ - 1981)، ج2، ص:

إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً⁽¹⁾، قال: "فالوحدة تلحق بالإنسان الضجر والوحشة، ولهذا كان من حكمة الله في الزواج، تحقيق السكن النفسي"⁽²⁾.

فعلى هذا الأساس فإن الزواج وسيلة إلى تحقيق السكن والمودة والرحمة، وحسن الصحبة، والمعاشرة بالمعروف بين الزوجين فحتى يتحقق من الزواج النسل، والذرية لا بد من تحقيق ذلك المعنى فيه، وقد نص كثير من الفقهاء على أن: المقصود من النكاح: السكن، والازدواج، ووضع المرأة عند من يكفيها، ويصونها، ويحسن عشرتها، كما أنه لا يمكن تحقيق السكن النفسي والمودة بين الزوجين إلا بالاختيار الصحيح للزوجة الصالحة، دليلنا في ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: ((ليتخذن أحدكم قلباً شاكراً، ولساناً ذاكراً، وزوجة تعينه على أمر الآخرة))⁽³⁾.

يفهم من حديث النبي صلى الله عليه وسلم أنه أشار إلى اختيار المرأة الصالحة التي تعين الرجل على أمر دينه ودنياه، وبها تصلح الأسرة والمجتمع، كما أنّ اختيار الزوجة الصالحة من سعادة المؤمن في الحياة الدنيا.

المقطع التاسع: العفة مطلب شرعي لمن لم يتزوج

سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَتَغْفِرِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُمْ مِّنْ مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ﴾⁽⁴⁾

جاء في كتاب المحرر في أسباب نزول القرآن: "أخرج مسلم وأبو داود والنسائي عن جابر (رضي الله عنه) قال: إن جارية لعبد الله بن أبي بن سلول يقال لها مسيكة. وأخرى يقال لها أميمة فكان

(1) الروم (21).

(2) شهبان رجب، (حكمة الزواج ومنافعه)، بحث منشور في مجلة البحوث الإسلامية، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، ربيع الأول إلى جمادى الثانية (1412هـ)، العدد: 33، ص: 290 - 291.

(3) أخرجه أحمد في مسنده، رقم: 22437، ج 37، ص: 110.

(4) النور (33).

يكرههما على الزنا. فشكنا ذلك إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) فأنزل الله: ﴿وَلَا تُكْرَهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ﴾ إلى قوله: ﴿غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾

وفي لفظ آخر لمسلم عنه (رضي الله عنه) قال: كان عبد الله بن أبي بن سلول يقول لجارية له: اذهبي فابغينا شيئاً فأنزل الله عز وجل: ﴿وَلَا تُكْرَهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ﴾⁽¹⁾.

قال الطبري: "ولا تكرهوا إماءكم على البغاء وهو الزنا إن أردن تعففاً عن الزنا لتلتمسوا بإكراهكم إياهن على الزنا عرض الحياة، وذلك ما تعرض لهم إليه الحاجة من رباشها وزينتها وأموالها... إلى أن قال: وذكر أن هذه الآية أنزلت في عبد الله بن أبي ابن سلول حين أكره أمته مسيكة على الزنا"⁽²⁾.

وجاء عن ابن كثير أنه قال: "كان أهل الجاهلية إذا كان لأحدهم أمة أرسلها تزني وجعل عليها ضريبة يأخذها منها كل وقت، فلما جاء الإسلام نهي الله المؤمنين عن ذلك. وكان سبب نزول هذه الآية الكريمة فيما ذكر غير واحد من المفسرين من السلف والخلف في شأن عبد الله بن أبي بن سلول، فإنه كان له إماء فكان يكرههن على البغاء طلباً لخراجهن ورغبة في أولادهن ورياسة منه فيما يزعم"⁽³⁾.

ومما ورد عن البغوي أنه قال: "نزلت في عبد الله بن أبي بن سلول المنافق كانت له جارتان معاذة ومسيكة، وكان يكرههما على الزنا بالضريبة يأخذها منهما، وكذلك كانوا يفعلون في الجاهلية يؤجرون

(1) خالد المريني، (المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة)، ج2، ص: 752، مرجع سابق.

(2) محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر (الطبري)، (ت 310هـ)، (جامع البيان في تأويل القرآن)، تح أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1 (1420هـ-2000م) ج19، ص: 174. بتصرف يسير.

(3) أبو الفدا إسماعيل بن عمر (بن كثير) القرشي، البصري ثم الدمشقي، (ت 474هـ)، (تفسير القرآن العظيم)، تح سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2 (1420هـ-199م)، ج6، ص: 54.

إمأءهم، فلما جاء الإسلام قالت معاذة لمسيكة: (إن هذا الأمر الذي نحن فيه لا يخلو من وجهين، فإن يك خيراً فقد استكثرتنا منه، وإن يك شراً فقد آن لنا أن ندعه، فأنزل الله هذه الآية)⁽¹⁾.

ورد عن ابن العربي أنه قال: "وروى الزهري أنه كان لعبد الله بن أبي جارية يقال لها: معاذة، وكان رجل من قريش أسر يوم بدر، فكان عنده، وكان القرشي يريد الجارية على نفسها، وكانت الجارية تمتنع منه لإسلامها، وكان عبد الله بن أبي يضرها على امتناعها من القرشي، رجاء أن تحمل منه فيطلب فداء ولده فأنزل الله الآية"⁽²⁾.

قال السعدي في كتاب: "وإنما نهي عن هذا لما كانوا يستعملونه في الجاهلية من كون السيد يجبر أمته على البغاء ليأخذ منها أجرة ذلك، ولهذا قال جل وعلا: ﴿لَتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ فلا يليق بكم أن تكون إمأؤكم خيراً منكم وأعف عن الزنا، وأنتم تفعلون بهن ذلك لأجل عرض الحياة، متاع قليل يعرض ثم يزول، فكسبكم النزاهة والنظافة والمروءة - بقطع النظر عن ثواب الآخرة وعقابها - أفضل من كسبكم العرض القليل، الذي يكسبكم الرذالة والخسة"⁽³⁾.

أما في قوله تبارك وتعالى: ﴿وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾⁽⁴⁾، جاء الخطاب القرآني هنا بدلالة الأمر التي تحمل على الوجوب، لأنه ليست هنالك قرينة تصرفه من الوجوب إلى أمر آخر.

يتبين لنا أنّ الخطاب القرآني هو خطاب شامل للذكور والإناث، وهو نداء خاص بالمسلمين يفهم هذا من السياق.

(1) أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء (البغوي)، الشافعي، (ت 510هـ)، (معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي)، تح عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1 (1420)، ج3، ص: 414.

(2) محمد بن عبد الله الأندلسي، (ابن العربي)، (أحكام القرآن لابن العربي)، دار الكتب العلمية، ط1، دت، ج3، ص: 402.

(3) ينظر: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله (السعدي)، (ت 1376هـ)، (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان)، تح عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط1 (1420-2000م)، ج1، ص: 571.

(4) النور (32).

ورد في تفسير ابن كثير: "هذا أمر بالتزويج. وقد ذهب طائفة من العلماء إلى وجوبه، على كل من قدر عليه"⁽¹⁾. واحتجوا بظاهر قوله صلى الله عليه وسلم: ((يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء))⁽²⁾.

وأما قوله تعالى: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ﴾ أي: زوجوهم، والأيامى: جمع أيم بفتح الهمزة وتشديد الياء المكسورة، والأيم: هو من لا زوج له من الرجال والنساء، سواء كان قد تزوج قبل ذلك، أو لم يتزوج قط، يقال: رجل أيم، وامرأة أيم⁽³⁾.

وقد فسر الشماخ بن ضرار في شعره: الأيم الأنثى بأنها التي لم تتزوج في حالتها الراهنة، وذلك في قوله:

يَقْرُ بِعَيْنِي أَنْ أَنْبَأَ أَكْهَا وَإِنْ لَمْ أَنْلَهَا أَيْمٌ لَمْ تَزَوِّجْ⁽⁴⁾

ورد في كتاب أضواء البيان توضيح معاني الأيم، حيث قال صاحب التفسير:

"فقوله: "لم تزوج" تفسير لقوله: أنها أيم، ومن إطلاق الأيم على الذكر الذي لا زوج له قول أمية بن أبي الصلت الثقفى:

لِلَّهِ دَرُّ بَنِي عَلِيٍّ أَيْمٌ مِنْهُمْ وَنَاكِحٌ⁽⁵⁾

(1) ينظر: ابن كثير، (تفسير القرآن العظيم)، ج3، ص: 2031، مصدر سابق.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: النكاح، باب: من لم يستطع الباءة فليصم، برقم: 5066، ج7، ص: 03. مصدر سابق

(3) ينظر: الشنقيطي، (أضواء البيان)، ج5، ص: 528. مرجع سابق.

(4) ينظر: الشماخ بن ضرار الصحابي الغطفاني، (ديوان الشماخ) شرح: أحمد بن الأمين الشنقيطي، طبعة (1327 هـ)، مطبعة

السعادة، مصر، ص: 07

(5) أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري (ت 279هـ)، (جمل من أنساب الأشراف)، تح: سهيل زكار ورياض الزركلي، ط1

(1417هـ- 1996م، دار الفكر، بيروت، ص: 300.

ومن إطلاقه على الأنثى قول الشاعر:

أَحِبُّ الْأَيَّامِي إِذْ بُثِّنَتْهُ أَيْمٌ وَأَحْبَبْتُ لَمَّا أَنْ غَنَيْتُ

وتقول العرب: أم الرجل يئيم، وآمت المرأة تئيم، إذا صار الواحد منهما أيما، وكذلك تقول: تأيم إذا كان أيما".⁽²⁾

يقول الشنقيطي: " فإذا علمت هذا، فاعلم أن قوله تعالى في هذه الآية: ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَّامِي﴾ شامل للذكور والإناث، وقوله في هذه الآية: منكم أي: من المسلمين، ويفهم من دليل الخطاب أي مفهوم المخالفة في قوله: منكم أن الأيامي من غيركم، أي: من غير المسلمين، وهم الكفار ليسوا كذلك"⁽³⁾.

فهذا المفهوم الذي نفهمه من هذه الآية جاء مصرحا به في آيات أخرى، كقوله تعالى في أيامي الكفار الذكور: ﴿وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا﴾⁽⁴⁾، وقوله في أيامهم الإناث: ﴿وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ﴾⁽⁵⁾، وقوله فيهما جميعا: ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾⁽⁶⁾.

خلاصة القول:

من خلال النصوص القرآنية الصريحة الموضحة لمفهوم هذه الآية، نعلم أنه لا يجوز تزويج المسلمة للكافر مطلقا، وهذا ما عرفناه من خلال السياق القرآني بأنه لا يجوز تزويج المسلم للكافرة إلا أن عموم هذه الآيات خصصته آية سورة (المائدة)، فأبانت أن المسلم يجوز له تزوج المحصنة الكتابية خاصة،

⁽¹⁾ ينظر: حسين بن أحمد بن حسين الزُّوزَنِي، أبو عبد الله، (ت 486هـ)، (شرح المعلقات السبع)، دار إحياء التراث العربي، ط 1 (1423هـ-2002م)، ص: 253.

⁽²⁾ ينظر: الشنقيطي، (أضواء البيان)، ص: 228، مرجع سابق.

⁽³⁾ المرجع السابق، ج 5، ص: 529.

⁽⁴⁾ البقرة (221).

⁽⁵⁾ البقرة (221).

⁽⁶⁾ الممتحنة (10).

وذلك في قوله تعالى: ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حَلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾⁽¹⁾، فقوله تعالى عاطفا على ما يحل للمسلمين: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ صريح في إباحة تزويج المسلم للمحصنة الكتابية، والظاهر أنها الحرة العفيفة⁽²⁾.

ويوضح الشنقيطي بقوله: "فالْحَاصِلُ أن التزويج بين الكفار والمسلمين ممنوع في جميع الصور، إلا صورة واحدة، وهي تزوج الرجل المسلم بالمرأة المحصنة الكتابية، والنصوص الدالة على ذلك قرآنية، كما رأينا.

أما قوله تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾ يدل على لزوم تزويج الأياشي من المملوكين الصالحين، والإماء من المملوكات، وظاهر هذا الأمر الوجوب، لما تقرر في الأصول⁽³⁾.

وأما في قوله تعالى: ﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾.

جاء في تفسير ابن كثير: "هذا أمر من الله تعالى لمن لا يجد تزويجا بالتعفف عن الحرام، كما قال -عليه الصلاة والسلام- «يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج. ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء»⁽⁴⁾ فالآية مطلقة، والتي في سورة النساء أخص منها، وهي قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ﴾⁽⁴⁾، إلى أن قال: ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ﴾⁽⁵⁾ أي صبركم عن تزويج الإماء خير، لأن الولد ينجيء رقيقا، ﴿وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾⁽⁶⁾.

(1) المائدة (05).

(2) ينظر: الشنقيطي، (أضواء البيان)، ج 5، ص: 229.

(3) نفسه، ص: 229.

(4) النساء (25).

(5) النساء (25).

(6) البقرة (218).

وقال عكرمة في قوله تعالى: ﴿وَلَيْسْتَغْفِرَ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا﴾⁽¹⁾ قال: هو الرجل يرى المرأة فكأنه يشتهي، فإن كانت له امرأة فليذهب إليها وليقض حاجته منها، وإن لم يكن له امرأة فلينظر في ملكوت السماوات والأرض حتى يغنيه الله⁽²⁾.

يقول الشنقيطي عن السياق الخارجي لهذه الآية: " هذا الاستغفار المذكور به في الآية الكريمة هو المذكور في قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾⁽³⁾، وقوله عز وجل: ﴿وَلَا تَقْرُبُوا الزَّانَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾⁽⁴⁾ ونحو ذلك من الآيات.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُكْرِهْنَنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾⁽⁵⁾، قيل: غفور لهم، وقيل غفور لهم، وقيل غفور لهم ولهم⁽⁶⁾.

ولما فصل الله تعالى هذه الأحكام وبينها قال: ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ﴾⁽⁷⁾ يعني: القرآن فيه آيات واضحة مفسرات، ﴿وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ﴾⁽⁸⁾ أي: خبرا عن الأمم الماضية، وما حل بهم في مخالفتهم أوامر الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ﴾⁽⁹⁾.

﴿وَمَوْعِظَةً﴾ أي: زاجرا عن ارتكاب المآثم والمحرمات ﴿لِّلْمُتَّقِينَ﴾ أي: لمن اتقى الله وخافه.

(1) النور (33).

(2) ينظر: ابن كثير، (تفسير القرآن العظيم)، ج 3، ص: 2032، مصدر سابق.

(3) النور (30).

(4) الإسراء (32).

(5) النور (33).

(6) الشنقيطي، (أضواء البيان)، ج 5، ص: 232، مرجع سابق.

(7) النور (34).

(8) النور (34).

(9) الزخرف (56).

قال علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، في صفة القرآن: (فيه حكم ما بينكم، وخبر ما قبلكم، ونبا ما بعدكم، وهو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى من غيره أضله الله)⁽¹⁾.

المقاصد المستخلصة من الآيات:

(1) إن يمكن استخلاصه من أقوال المفسرين: أن الآية نزلت في شأن الذين كانوا يجبرون أماتهم - جمع أمة - على فاحشة الزنا (البغاء)، والنهي عن الإكراه على الزنا وهذا لشناعته وقبحه، كما كانت النفوس في الجاهلية تأباه، وتكرهه، فجاء سياق الآية مناسبا لما يقع منهم. ويفهم من ذلك أيضا أن شرف المرأة وكرامتها أعز وأنفس من كل شيء، كما يفهم من سياق الآية أنه آن وقت التوبة، والإقلاع عن ثوب المعصية، لأن ذلك - فعل الزنا - بسببه تختلط الأنساب، ومن خلال استقرارنا للنصوص وجدنا أن حِفْظ النّسل مقدّم على حِفْظ المال. فهذا من مقاصد شريعة الإسلام.

(2) المقصد الثاني: أن أمر الله عز وجل في الآيات لا يحمل على الوجوب، بل أمر الأولياء ومن لهم حق بتزويج من لهم عليهم حق الولاية، وللسادة بتزويج العبيد والإماء، يفهم هذا من خلال السياق الخارجي - السنة - . لأنه قد كان في عصر النبي صلى الله عليه وسلم وفي سائر العصور بعده أيامى من الرجال والنساء ولم ينكر ذلك أحد عليهم، والظاهر أن الأمر يكون للوجوب إذا خيفت الفتنة وغلب على الظن حصول السفاح من الرجل أو المرأة. وبالتالي فالزواج تعتريه الأحكام الخمسة.

(3) ومن مقاصد الآيات أيضا أن الله عز وجل رغب في الزواج بالفقير والفقيرة وألا يكون عدم وجود المال حائلا عن إتمامه فقال: ﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾

فالمال ليس هو المقصد والمغزى، قال ابن عباس: أمر الله سبحانه بالنكاح، ورغبهم فيه، وأمرهم أن يزوجوا أحرارهم وعبيدهم ووعدهم في ذلك الغنى. كما جاء ذلك واضحا في سياق الحديث، فعن أبي

(1) ابن كثير، (تفسير القرآن العظيم)، ج3، ص: 2030.

هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((ثلاثة حق على الله عونهم: الناكح يريد العفاف، والمكاتب يريد الأداء، والغازي في سبيل الله)).¹

من خلال بحثنا سواء في هذين النصين أو النصوص السابقة تبين لنا أن فيه حث على التزوج، ووعده للمتزوج بالغنى بعد الفقر، ففي هذا قطع لحجة الذين يرفضون تزويج الفقير خشية أن يزيده النكاح بؤساً إلى بؤسه، فلا يمنعكم ما تتوهمون من أنه إذا تزوج افتقر بسبب كثرة العائلة ونحوه، فهذه النظرة المادية يكذبها الواقع أيضاً فكم من فقير أصبح بعد زواجه موفور النعمة، قرير العين.

كما أن المواعظ التي جاءت في سورة النور كثيرة كقوله: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾، وقوله: ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ﴾، وقوله: ﴿يَعْظُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا﴾، وغيرها من الآيات فهي تذكير ووعظ وإرشاد للمسلم حتى لا يضيع ويزيغ عن الطريق الذي جاء به القرآن، وجاءت به سنة الرسول صلى الله عليه وسلم، موضحة ومبينة وشارحة، هذا هو السياق يأتي توضيحاً للمبهمات وتبيانا للمجملات.

المقطع العاشر: إثبات النور لله عز وجل

أما في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾⁽²⁾.

يقول الشعراوي تعالى: " قلنا: فإن الله تعالى أعطانا النور الحسي الذي نرى به مرأى الأشياء، وجعله وسيلة للنور المعنوي، وقلنا إن الدنيا حينما تظلم ينير كل منا لنفسه على حسب قدراته وإمكاناته في الإضاءة، فإذا ما طلعت الشمس وأنار الله الكون أطفأ كل منا نوره، لأن نور الله كافٍ، فكما أن نور الله كافٍ في الحسيات فنوره أيضاً كافٍ في المعنويات، فإذا شرع الله حكماً معنوياً ينظم حركة

¹ محمد علي الصابوني، (مختصر تفسير بن كثير)، دار القرآن الكريم بيروت لبنان، ط7 (1402هـ - 1981)، ج2، ص: 604.

(2) النور (35).

الحياة، فإياكم أن تعارضوه بشيء من عندكم، فكما أطفأتم المصابيح الحسية أمام مصباحه فأطفئوا مصابيحكم المعنوية كذلك أمام أحكامه تعالى وأوامره، والأمر واضح في الآيات الكونية.

﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، كما نقول والله المثل الأعلى: فلان نُور البيت، فالآية لا تُعرف الله لنا، إنما تعرفنا أثره تعالى فينا، فهو سبحانه مُنَوِّر السماوات والأرض، وهما أوسع شيء نتصوره، بحيث يكون كل شيء فيهما واضحاً غير خفي⁽¹⁾.

قال صاحب تفسير القرآن العظيم: "وقال أبو جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، عن أبي بن كعب في قول الله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ قال: هو المؤمن الذي جعل الله الإيمان والقرآن في صدره، فضرب الله مثله فقال: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ فبدأ بنور نفسه، ثم ذكر نور المؤمن فقال: مثل نور من آمن به. قال: فكان أبي بن كعب يقرأها: ﴿مثل نور من آمن به﴾ فهو المؤمن جعل الإيمان والقرآن في صدره

وهكذا قال سعيد بن جبير، وقيس بن سعد، عن ابن عباس أنه قرأها كذلك: (نُورٌ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ)⁽²⁾.

وورد في الذي رواه محمد بن إسحاق في السيرة، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال في دعائه يوم آذاه أهل الطائف: ((أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، أن يحل بي غضبك أو ينزل بي سخطك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك))⁽³⁾.

(1) ينظر: محمد متولي الشعراوي، (تفسير الشعراوي-الخواطر-)، ج16، ص: 10271-10272.

(2) ابن كثير (تفسير القرآن العظيم)، ج3، ص: 2030.

(3) ينظر: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم (الطبراني)، (ت 360هـ)، (المعجم الكبير) تح حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار الصميمي الرياض، باب العين، برقم: ط1 (1415هـ - 1994م)، ج13، ص: 73.

وفي الصحيحين، عن ابن عباس: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام من الليل يقول: ((اللهم لك الحمد، أنت قيم السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد، أنت نور السماوات والأرض ومن فيهن))⁽¹⁾

وعن ابن مسعود، رضي الله عنه، قال: إن ربكم ليس عنده ليل ولا نهار، نور العرش من نور وجهه.

وقال القرطبي: "واختلف العلماء في تأويل هذه الآية، ف قيل: المعنى أي به وبقدرته أنارت أضواؤها، واستقامت أمورها، وقامت مصنوعاتها... وهو الذي أبدع الموجودات، وخلق العقل نورا هاديا لأن ظهور الموجود به حصل بالضوء ظهور المبصرات، تبارك الله وتعالى لا رب غيره. قال معناه مجاهد والزهري وغيرهما"⁽²⁾

ويقول صاحب التحرير والتنوير: "أما وصف النور هنا فيتعين أن يكون ملائما لما قبل الآية من قوله: ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ﴾⁽³⁾ وما بعدها من قوله: ﴿مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ﴾ إلى قوله: ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾ وقوله عقب ذلك: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾⁽⁴⁾ وقد أشرنا آنفا إلى أن للنور إطلاقات كثيرة وإضافات أخرى صالحة، لأن تكون مرادا من وصفه تعالى بالنور، وقد ورد في مواضع من القرآن والحديث فيحمل الإطلاق في كل مقام على ما يليق بسياق الكلام ولا يطرد ذلك على منوال واحد حيثما وقع، كما في قول النبي صلى الله عليه وسلم: ((ولك الحمد أنت نور السماوات والأرض ومن فيهن)) فإن عطف ومن فيهن يؤذن بأن المراد بـ (السماوات والأرض) ذاتهما لا الموجودات التي فيهما فيتعين أن يراد بالنور هنالك إفاضة الوجود المعبر عنه بالفتق في قوله تعالى: ﴿كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾⁽⁵⁾، فالمعنى: أنه بقدرته تعالى استقامت أمورها.⁽⁶⁾

(1) ينظر صحيح البخاري برقم (:)، وصحيح مسلم برقم: 769، مصدر سابق.

(2) ينظر: القرطبي، (الجامع لأحكام القرآن)، ج15، ص: 256. مصدر سابق.

(3) النور (34).

(4) النور (40).

(5) الأنبياء (30).

(6) ينظر: محمد الطاهر بن عاشور، (التحرير والتنوير)، ج18، ص: 232. مرجع سابق.

خلاصة القول:

تبين لنا من خلال الدراسة التطبيقية أن سورة النور جاءت لبيان الأحكام الشرعية، فجاءت لتحذر من الوقوع في فاحشة الزنا ، وبينت ما يجب على من سولت له نفسه بإقامة الجلد بالنسبة للبكر، أو الحد بالنسبة للمتزوج، كما حرمت القذف والطعن في أعراض الناس، وبينت حكم قذف الزوجة (اللعان)، كما جاءت لتبريء أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، هذا إن دل على شيء فإنما يدل على أنها طاهرة عفيفة، وبيان أن الله يدافع عن المؤمنين، وبينت جزاء القذف في الآخرة، كما وضعت آداباً وضوابط يسير على ضوءها المرء عند الدخول على الآخرين، وفي نهاية هذه الأحكام أمرت بتزويج الذكور والإناث، وختاماً تبين لنا أن من التزم بهذه السورة كانت له نورا يستضيء به في حياته الدنيا والآخرة، ففي الدنيا تعصمه من الوقوع في المحرمات كما سبق وأن أشرنا، وفي الآخرة وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات بأن لهم أجراً عظيماً.

خاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على نبي الرحمات، أما بعد: فإننا بعد دراستنا للخطاب القرآني في ضوء النظرية السياقية، وتطبيقها على نص القرآن الكريم متخذين من سورة النور أنموذجاً للدراسة، وبعد استيفائنا لفصول الدراسة وأبحاثها ها نحن نصل بعون الله تعالى إلى خاتمتها لنسجل النتائج التي توصلنا إليها في هذا البحث وهي:

(1) أن القرآن الكريم هو خطاب الله موجه من مرسل إلى متلق، وهو خطاب مأمور بتبليغه كله إلى الناس كافة، ولذلك فكل أوامره ونواهيه وتعاليمه وإرشاداته وتوجيهاته موجهة للتبليغ، وكلها تحمل قيماً دلالية إبلاغية.

(2) أن التخاطب بين الناس، باللسان أو بالقلم، على مستوى الأسرة، والمجتمع، والأمة، والشعوب المختلفة في أقطارها، وأزمانها، هو الركيزة الأساسية التي تجمع الناس، وتبني بينهم العلاقات الإنسانية في مجالات الحياة المختلفة،

(3) أن الخطاب في القرآن الكريم جاء ليخرج الناس من الظلمات إلى النور، كما جاء لتبين الحلال من الحرام، والحق من الباطل

(4) أن الحكمة من نزوله مفرقا في مدة ثلاث وعشرين سنة، هو التدرج في التشريع، وقد كان القرآن ينزل على قلب النبي صلى الله عليه وسلم حسب الوقائع والأحداث، هذا ما وجدناه في سورة النور. (5) يظهر لنا مما سبق أن تعدد أنواع الخطاب القرآني جاء مبينا للدلالات والمعاني، وهذا ما يزيد القارئ والمتابع تعلقا بكتاب الله عز وجل بحثا وتفتيشا في هذا الكتاب المعجز الذي لا يأتيه الباطل من يديه ولا من خلفه، ومنه فالباحث لا يلم بكل شيء، بل علمه محدود، ونظرته قاصرة، فهو يسلط الضوء على فكرة معينة حسب نظره ووجهة رأيه.

(6) إن القرآن جاء بأساليب عديدة ومتنوعة في بيانه للأحكام، فمرة يتحدث عن الواجب بصيغة الأمر كما ذكرنا سابقا، ومرة بأنه مكتوب على المؤمنين كفرضية الصيام، أو بذكر الجزاء الحسن لفاعله. كما أنه يتحدث عن النهي بأسلوب النهي لبيان الحرام، أو يستخدم أسلوب التوعيد لفاعله، أو بذكر العقوبة المترتبة عليه، أما الإباحة فتؤخذ من لفظ الحلال، أو رفع الجناح، أو الإذن بفعل الشيء، أو العفو عنه، لذلك يجب على كل من يريد استخراج واستنباط الأحكام من القرآن أن يفهم هذه الأساليب، فالفعل يكون واجبا أو مندوبا إذا جاء بصيغة دالة على الوجوب أو الندب، وكذلك إذا

كان حراماً أو مكروهاً، ويكون الفعل مباحاً إذا جاء بلفظ يدل على ذلك كالإذن ونفي الحرج أو الجناح.

(7) مما يمكن استخلاصه في هذه الخاتمة أيضاً هو أن شرف السبق يعود للعلماء العرب في الكشف عن السياق كأمثال الإمام الشافعي، الزمخشري في كتابه أساس البلاغة.

(8) وما تجدر الإشارة إليه أن العرب كانوا إذا تكلموا اهتموا بالسياق الذي يتحدثون فيه، فكانت تطيل في التبليغ وإيصال الرسالة لتعميم الحديث، وكانت توجز لتسهيل الحفظ على المتلقي (السامع).

(9) مما خلصنا إليه أن فيرث لم يكن السباق إلى السياق عند العرب كما رأينا وعند الغرب، وهذا بدليل قوله ويشير (فيرث) إلى أهمية أبحاثهم قائلا: "لولا النحاة والصوتيون الهنود الذين عرفنا إياهم العالم الإنجليزي المعروف (وليام جونز) لصعب علينا الآن أن نتصور مدرستنا الصوتية التي ظهرت في القرن التاسع عشر".

(10) السياق القرآني أصل من أصول التفسير، لذلك فلا يمكن الاستغناء عنه في فهم النصوص القرآنية، كما أنه يبين المجملات ويرجح الاحتمالات، ويرشد إلى تخصيص العام وتقييد المطلق. وبالتالي فهو الحل الأمثل للكثير من الإشكالات التخاطبية فيما يخص الدلالة.

(11) إن من خلال البحث والقراءة تبين لنا عظمة القرآن في ترابطه وإحكامه، ولا يمكن إدراك إلا من خلال السياق الذي يرشد إلى المسلك الصحيح الذي يوصل إلى فهم مراد الله تعالى في كلامه. وهذا الضابط من أهم الضوابط المتعلقة بالسياق، وهو يبين منزلة السياق في الوصول للمعنى الصحيح الذي هو مراد الله تعالى في كلامه، وذلك لأن السياق هو الذي يجعل الكلام متناسقا منتظما، وهذا هو المتوافق مع كتاب الله المحكم المعجز الذي انتظمت سوره وآياته وجمله.

(12) إن تفسير كلام الله على وجه يراعي انتظامه أعظم من الإعراض عن السياق الذي يجعل الكلام متنافرا، منقطعة أجزاؤه مما يجعل كلام الله متنافرا غير واضح.

أما فيما يخص الدراسة التطبيقية التي طبقناها على سورة النور نستنتج ونستخلص النتائج التالية

(13) أن سورة النور فيها توجيهات رشيدة وآداب سامية تحفظ المسلم ومجتمعه وتصون حرمة وتحافظ عليه من عوامل التفكك الداخلي والانهيار الخلقي الذي يدّمر الأمم.

(14) أن الأصل في الدين الرأفة والرحمة أما في أحوال الزناة فالأمر يحتاج إلى الشدة والقسوة وإلا فسد المجتمع جرّاء التساهل في تطبيق شرع الله وحماية حدوده، لذا جاءت الآيات تدل على القسوة وعلى

كشف الزناة بدليل قوله تعالى: الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةً جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ.

15) أن من آداب الإسلام ألا يدخل أحد على أحد دون استئذان، حتى ولو كان أقرب الناس كالأبناء على والديهم، وهذا لبقاء الحياء الحشمة، وحتى يبقى الاحترام بين أفراد الأسرة والمجتمع.

16) أن تسهيل الزواج حماية للشباب الذي بلغ سن الزواج وبالتالي حماية المجتمع كاملاً.

17) وفي النهاية لا أملك إلا أن أقول إنني قد عرضت رأيي وأدليت بفكرتي في هذا الموضوع لعلني أكون قد وفقت في كتابته والتعبير عنه وأخيراً ما أنا إلا بشر أخطئ وأصيب فإن كنت قد أخطأت فأرجو مسامحتي وإن كنت قد أصبت فهذا كلما أرجوه من الله عز وجل.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية حفص

1. إبراهيم بن عمر حسن الرباط بن علي بن أبي بكر (البقاعي)، (ت 885هـ)، (نظم الدرر في تناسب الآيات والسور)، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ج 5.
2. إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي (الشاطبي)، (الموافقات في أصول الشريعة)، ط 2 (1975)، دار المعرفة، بيروت.
3. إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي (الشاطبي)، (الموافقات)، دار ابن القيم، دار ابن عفان، سنة النشر (1424هـ - 2003م)، ج 4.
4. إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشاطبي، (الموافقات)، تح أبو عبيدة المشهور بآل سليمان، دار ابن عفان، ط 1 (1417هـ - 1997م)، ج 2.
5. إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشاطبي، (الموافقات)، دار ابن القيم، دار ابن عفان، سنة النشر (1424هـ - 2003م)، ج 4.
6. إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي، (الشاطبي)، ت (790هـ)، (الموافقات)، تح أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، ط 1 (1417هـ - 1997م)، ج 3.
7. إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر محمد النجار، (المعجم الوسيط) مجمع اللغة العربية المصري، ج 1.
8. ابن جزى محمد بن أحمد بنت جزى الكلبيين، (تفسير ابن جزى)، دار الكتاب العربي، بيروت، ط 1993.
9. أبو جعفر محمد ابن جرير (الطبري)، (224هـ - 410هـ)، (تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، تح محمود محمد شاكر، مكتبة ابن تيمية - القاهرة -، ط 2، دس، ج 2.
10. أبو جعفر محمد ابن جرير (الطبري)، (جامع البيان عن تأويل آي القرآن)، تح عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط 1 (1422هـ - 2001م)، ج 2.
11. أبو حامد الغزالي، (شفاء الغليل في بيان الشبه والمخيل ومسالك التعليل)، تح حمد الكبيسي -، مطبعة الإرشاد - بغداد - ط: (1390 هـ - 1981).
12. أبو حامد (الغزالي)، (المستصفى من علوم الأصول)، دراسة وتح حمزة بن زهير حافظ، ج 3.

13. أبو حامد (الغزالي)، ت(5058هـ)، تح محمد عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، ط1(1413هـ/1993م).
14. أبو حامد، (الغزالي)، ت(55هـ)، (إحياء علوم الدين)، دار المعرفة، بيروت، د ط، د ت، ج2.
15. ابن حجر العسقلاني، (فتح الباري شرح صحيح البخاري) دار المعرفة - بيروت - ط:(1379هـ).
16. أبو حفص سراج الدين عمر بن علي، (اللباب في علوم الكتاب)، تح عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط1، (1419هـ - 1990)، ج6.
17. أبو حيان الأندلسي، محمد بن يوسف بن علي الغرناطي، (البحر المتوسط)، دار الفكر، ط2، ج5.
18. أبو البقاء الحنفي أيوب بن موسى الحسيني القريمي (الكفوي)، ت 1094هـ، (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية)، (الكليات)، تح عدنان درويش - محمد المصري - ن: مؤسسة الرسالة - بيروت.
19. ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن، (ابن القيم)، (الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي). تح محمد يونس شعيب وعصام فارس الحرساني، المكتب الإسلامي، بيروت، 1991.
20. أبو الحسن سيف الدين (الآمدي)، ت (631)، (الإحكام في أصول الأحكام)، تح عبد الرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي بيروت، لبنان، ج3.
21. أبو الحسن علي بن محمد بن علي، (الجرجاني)، ت (816هـ)، (التعريفات)، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، 1357هـ - 1938م.
22. أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي (الماوردي)، ت (450هـ)، (النكت والعيون)، تح: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ج 5.
23. أبو الحسين أحمد (بن فارس)، (معجم اللغة) دراسة وتح زهير عبد المحسن، بيروت، ط2 1986. مؤسسة الرسالة ج1.
24. أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، (معجم مقاييس اللغة)، تح محمد عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر، مادة (س وق)، ج3.

25. أبو السعود، ابن محمد العمادي، (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، دار الفكر، ج5.
26. أبو الفتح عثمان (ابن جني)، (الخصائص)، ج2، تحقيق محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب ط3، القاهرة 1987.
27. أبو الفدا إسماعيل بن عمر (ابن كثير) القرشي البصري، ت (774هـ)، (جامع المسانيد والسنن الهادي لأقوام السنن)، تح عبد الملك بن عبد الله الدهيس، دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ج4.
28. أبو الفدا إسماعيل بن عمر (بن كثير) القرشي، البصري ثم الدمشقي، ت (474هـ)، (تفسير القرآن العظيم)، تح سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2 (1420هـ-199م)، ج6.
29. أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري (لسان العرب)، دار صادر- بيروت- ، د ط، دس، ج3.
30. أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري (لسان العرب)، ط3، (1414هـ)، فصل الفاء، ج7.
31. أبو الفضل جلال الدين عبد الرحمن أبو بكر السيوطي، (الإتقان في علوم القرآن)، ط3، (1990)، دار الكتب العلمية بيروت، ج1.
32. أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ابن منظور)، (لسان العرب)، سنة النشر: 2003، دار صادر، ج5.
33. أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري (ابن منظور)، (لسان العرب)، دار المعارف القاهرة ج م ع، تح عبد الله علي الكبير، ومحمد بن أحمد حسب الله، وهاشم محمد الشاذلي.
34. أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري (ابن منظور)، (لسان العرب)، دار صادر-بيروت-، د ط، السنة: (1300هـ)، ج10.
35. أبو القاسم الحسين (الراغب الأصفهاني)، ت (502هـ)، (المفردات في غريب القرآن)، تح صفوان عدنان الداودي، دار القلم، دمشق، ط1، 1412هـ.
36. أبو القاسم الحسين بن محمد (الراغب الأصفهاني)، (المفردات في غريب القرآن)، تح مكتبة نزار مصطفى الباز، ج1، 01.

37. أبو القاسم جابر الله محمود بن عمر بن أحمد (الزمخشري)، (أساس البلاغة)، تح محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، ط1، السنة: 1419هـ، 1998م، ج1.
38. ابن القيم الجوزية، (بدائع الفوائد)، تح علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد، دط، دت، ج4.
39. ابن القيم الجوزية، (بدائع الفوائد)، نشر دار الرياض الحديثة، الرياض، (د.ت)، ج4.
40. ابن عطية، (المحرر الوجيز)، دار الكتب العلمية، بيروت (1429هـ)، ج4.
41. ابن قتيبة، (أدب الكاتب)، تح محمد الدالي، مؤسسة الرسالة، ط1 (1982م)، بيروت.
42. ابن قتيبة، (غريب القرآن)، تحقيق السيد أحمد صقر، دار الكتب العلمية، بيروت، 1978م.
43. ابن قيم الجوزية، (زاد المعاد في هدي خير العباد)، تح شعيب الأرنؤوط - عبد القادر الأرنؤوط -، سنة النشر: (1430 - 2009)، ج5.
44. أبو زكريا محي الدين أبو بكر، ت (676هـ)، (تهذيب الأسماء واللغات)، دار الكتب العلمية، بيروت، ج3.
45. أبو زكريا محي الدين بن شرف النووي، ت (676هـ)، (المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج)، كتاب اللعان، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط2 (1392هـ)، ج10.
46. أبو عبد الله أحمد بن شعيب بن علي الخرساني (البدائي)، ت (303هـ)، (السنن الكبرى)، حققه وخرّج أحاديثه حسن عبد المنعم سلمي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، (1421هـ - 2001م)، ج4.
47. أبو عبد الله أحمد بن محمد (ابن حنبل)، بن أسد الشيباني، ت (241هـ)، (مسند الإمام أحمد بن حنبل)، تح شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون، إشراف عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، دمشق، ط (1421: 1 - 2001م)، ج7.
48. أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، ت (241هـ)، (مسند الإمام أحمد بن حنبل)، تح أحمد محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، ط1 (1416هـ - 1995م)، ج8.
49. أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله (ابن البيع)، ت (405هـ)، (المستدرک علی الصحیحین)، تح مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1 (1411هـ - 1990م)، ج4.

50. أبو عبد الله الحسين بن علي بن طلحة (الجرجاني)، ت(899هـ)، (رفع النقاب عن تهذيب السهاب)، تح أحمد بن محمد السراج، عبد الله الجبراني، مكتبة الرشاد للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، (1425هـ-2004م)، ج1.
51. أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر (الزركشي)، ت(794هـ)، (البرهان في علوم القرآن)، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، ط1 (1376هـ-1957م)، دار المعرفة بيروت، لبنان، ج1.
52. أبو عبد الله بن عمر بن حسين القرشي (فخر الدين الرازي)، الطبرستاني الأصل، (تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير ومفاتيح الغيب)، ط1، (1401هـ-1981م)، دار الفكر، لبنان بيروت، التفسير الكبير.
53. أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر (القرطبي) (ت671هـ)، (الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي القرآن)، تح عبد الله بن عبد المحسن الزكي، مؤسسة الرسالة، ط1، السنة: 1427هـ-2006م. ج8.
54. أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر (القرطبي)، ت(670هـ)، (الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان)، تح عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ج2.
55. أبو عبد الله محمد بن أحمد، بن أبي بكر بن فرج الأنصاري الخزرجي شمس الدين (القرطبي)، ت(671هـ)، (الجامع لأحكام القرآن)، تح أحمد البرموني، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2 (1384هـ-1964م)، ج2.
56. أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، (صحيح البخاري)، باب التسليم والاستئذان ثلاثاً، ج8.
57. أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي، الملقب ب (فخر الدين الرازي) خطيب الري ت(606هـ)، (مفاتيح الغيب التفسير الكبير) دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط3 (1420هـ)، ج2.
58. أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي، الملقب ب (فخر الدين الرازي) خطيب الري ت(606هـ)، (مفاتيح الغيب التفسير الكبير) دار الفكر، بيروت، لبنان، ط1 (1426هـ-2005م)، ج5.

59. أبو عبد الله محمد بن عمر بن حسين القرشي (فخر الدين الرازي) الطبرستاني الأصل، تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب، دار الفكر، لبنان - بيروت -، ط 1 (1401هـ - م)، ج 2.
60. أبو عبد الله محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي، (ت 745 هـ)، (البحر المحيط في تفسير القرآن العظيم) ج 6.
61. أبو علي الحسن الأزدي (ابن رشيق القيرواني) (390 - 456 هـ)، (العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده)، تح محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل - سوريا -، ط 5، (1401هـ - 1981م)، ج 1.
62. أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، (التيسير في القراءات السبع)، دار الكتاب العربي - بيروت (1404هـ)، ج 1.
63. أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء (البغوي)، الشافعي، (ت 510 هـ)، (معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي)، تح عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط 1 (1420)، ج 3.
64. أبو محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، (ت 671 هـ)، الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، تح الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط 1 (1427هـ - 2006م)، ج 15.
65. أبو محمد بن عبد الكريم، (الفرقان في بيان إعجاز القرآن)، مكتبة الملك فهد الوطنية، ط 1، (1422هـ - 2002م)، ج 1.
66. أبو مَلَيْكَة جرول بن أوس بن مالك العبسي الحطّية، (ديوان الحطّية برواية وشرح ابن السكّيت)، تح مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان -، ط 1، (1413هـ - 1993م).
67. أبو منصور محمد بن أحمد، (الأزهري) (تهذيب اللغة)، تح عبد السلام هارون، دار المصرية، السنة: (1384هـ - 1964م)، ج 9.

68. أبو نصر إسماعيل بن حماد (الجوهري) الفارابي، (ت393هـ)، تح أحمد عبد الغفور، دار القلم للملايين، بيروت، ط4 (1407هـ - 1987م)، ج4.
69. أبو نصر إسماعيل بن حماد (الجوهري)، (تاج اللغة وصحاح العربية)، تح أحمد عبد الغفور عطار، دار الملايين.
70. أحمد الريسوني، (نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي)، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، ط2 (1412هـ - 1992م).
71. أحمد الغندور، (الأحوال الشخصية في التشريع الإسلامي مع بيان قانون الأحوال الشخصية للقضاء في محاكم الكويت)، دار حنين للنشر والتوزيع، (2000م).
72. أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية، (مجموع الفتاوى)، دار عالم الكتب، ط (1412)، ج17.
73. أحمد بن علي (ابن حجر العسقلاني)، (فتح الباري شرح صحيح البخاري)، باب ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا، دار الريان للتراث، سنة النشر (1407هـ - 1986م)، ج1.
74. أحمد بن فارس، (الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها)، تح عمر فاروق الطباع، مكتبة المعارف، ط1 (1993م)، بيروت، لبنان.
75. أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، (مسند الإمام أحمد)، شرحه ووضع فهارسه أحمد محمد شاكر، دار الحديث القاهرة، ج3.
76. أحمد بن محمد بن علي الفيومي، (المصباح المنير)، تح يحيى بن مراد، مؤسسة المختار، ط1، مصر، (2008).
77. أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري (ت279هـ)، (جمل من أنساب الأشراف)، تح سهيل زكار ورياض الزركلي، ط1 (1417هـ - 1996م)، دار الفكر، بيروت.
78. أحمد شوقي، (الشوقيات)، مكتبة صديق موسى السيد، القاهرة، (1961)، ج2.
79. أحمد محمد عطية المنيراوي، (المناسبة بين الفواصل القرآنية وآياتها: دراسة تطبيقية على الجزء الأول من سورة البقرة)، رسالة ماجستير للباحث كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية غزة، فلسطين.
80. أحمد مختار عمر، (علم الدلالة)، عالم الكتب، القاهرة ط5، 1988.

81. أكرم عبد خليفة حمد الدليمي، (جمع القرآن دراسة تحليلية لمروياته)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1 (1427هـ - 2006م)، ج 2.
82. الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله بن عبد الله (الزركشي)، (البرهان في علوم القرآن)، تح أبو الفضل إبراهيم، مكتبة التراث القاهرة، ج 1.
83. الإمام الحافظ جلال الدين السيوطي، (تناسق الدرر في تناسب السور)، دراسة وتحقيق عبد القادر أحمد عطا، ط 1 (1406هـ - 1986م) دار الكتب العلمية بيروت.
84. أولمان ستيفن، (دور الكلمة في اللغة)، تركمال محمد بشير، مكتبة الشباب.
85. بالمر: (علم الدلالة)، تح صبري إبراهيم السيد، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 1995 د ط.
86. بدر الدين محمد بن عبد الله (الزركشي)، (البحر المحيط في أصول الفقه)، تح عبد القادر عبد الله العاني، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الكويت، ج 6.
87. بدر الدين الزركشي، (البرهان في علوم القرآن)، تح محمد أبو الفضل، دار الجيل، بيروت، 1988م، ج 1.
88. بدر الدين محمد بن عبد الله (الزركشي)، (البرهان في علوم القرآن)، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، ج 1.
89. بدر الدين محمد بن عبد الله، (الزركشي)، (البرهان في علوم القرآن)، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت (1433هـ).
90. البرهان فوزي، عيسى بن قاسم (الشيخ) الفتح المحمدي، (في علم البديع والبيان والمعاني)، مخطوطه.
91. الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي، (ت 377هـ)، (كتاب الشعر أو شرح الأبيات المشككة في الإعراب)، تح وشر محمود محمد الطناجي، مكتبة الخانجي القاهرة مصر، ط 1، (1408هـ - 1988م).
92. الحسن بن خلوي بن حسن (الموكل)، (أسباب النزول وأثرها في تفسير القرآن)، دراسة تطبيقية على سورة البقرة، حولية كلية المعلمين، العدد الثامن، عام (1426)
93. الخزرجي، أبو جعفر، (تفسير الخزرجي)، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت (1429هـ).
94. الراغب الأصفهاني، (مفردات ألفاظ القرآن)، تح صفوان عدنان داوودي، الناشر درا القلم، الدار الشامية، ط 4.

95. السائيس، محمد علي، (تفسير آيات الأحكام)، أشرف على تنقيحه وتصحيح أصوله محمد علي السائيس وعبد اللطيف السبكي ومحمد إبراهيم كرسون، دار ابن كثير ودار القادري، دمشق، بيروت، ط1، (1994)، ج2.
96. السيد أحمد خليل، (دراسات في القرآن الكريم)، ط دار المعارف مصر (1972م).
- 97.
98. الشماخ بن ضرار الصحابي الغطفاني، (ديوان الشماخ)، شرح أحمد بن الأمين الشنقيطي، طبعة: (1327 هـ)، مطبعة السعادة، مصر.
99. القاسم بن سلام، (فضائل القرآن)، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، (1991م).
100. القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي، (ت543هـ)، (أحكام القرآن)، تح محمد عبد
101. المثني عبد الفتاح محمود، (نظرية السياق القرآني: دراسة تأصيلية دلالية نقدية)، دار وائل للنشر، عمان الأردن، ط1، (2008).
102. تقي الدين ابن تيمية، (ت728 هـ) (التفسير الكبير)، تح الدكتور عبد الرحمن عميرة، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، د ط، ج5.
103. تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني (ابن تيمية)، (مجموع الفتاوى)، (ت728هـ)، تح عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: (1416هـ - 1995م)، ج28.
104. تقي الدين أحمد بن عبد الحليم (ابن تيمية)، (601-728)، (مقدمة في أصول التفسير)، تح عدنان زرزور
105. تمام حسان: (قرينة السياق)، بحث قدم في الكتاب التذكاري للاحتفال بالعيد السنوي للكلية دار العلوم، "مطبعة عبير الكتاب، القاهرة، د ط، (1993م).
106. تمام حسان، (الأصول دراسة إبستمولوجية لأصول الفكر اللغوي العربي)، دار الثقافة، ط1، الدار البيضاء، (1401هـ).
107. تمام حسان، (اللغة العربية معناها ومبناها)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، (1973).
108. تمام حسان، (اللغة العربية معناها ومبناها)، دار الثقافة، الدار البيضاء، (2001م).
109. تمام حسان، (اللغة العربية معناها ومبناها)، ط3 (1418هـ 1999م) عالم الكتب.
110. جرير بن عطية الخطفي، (ديوان جرير)، دار صادر، بيروت، طبعة: (1960).

111. جعفر دك الباب، (الموجز في شرح دلائل الإعجاز)، مطبعة الأصالي، دمشق، (1980م).
112. جلال الدين السيوطي (1974)، (الإتقان في علم القرآن)، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ج 1.
113. جلال الدين السيوطي، (الإتقان في علوم القرآن)، تح محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط (1394هـ - 1974م)، ج 1.
114. جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، (الإتقان في علوم القرآن)، المكتبة الثقافية، ط (1979م)، بيروت ج 2.
115. جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (السيوطي)، (الإتقان في علوم القرآن)، دار الكتاب العربي، (1419هـ - 1999م)، ج 2.
116. جمال الدين عطية، (نحو تفعيل مقاصد التشريعية)، دار التنوير، الجزائر، ط 2 (1425هـ - 2004).
117. حسن محمد بن محمود، العطار الشافعي، (ت 1250هـ)، (حاشية العطار على شرح الجلال المحلي على جمع الجوامع)، دار الكتب العلمية، د ت، ج 1.
118. حسين بن أحمد بن حسين الزُّورني، أبو عبد الله، (ت 486هـ)، (شرح المعلقات السبع)، دار إحياء التراث العربي، ط 1 (1423هـ - 2002م).
119. حسين يوسف خريوش، (نظرات منهجية في علم أصول الفقه)، مقال بمجلة الفيصل السعودية، العدد: 123.
120. حمادي صمود، (التفكير البلاغي عند العرب)، منشورات الجامعة التونسية، (1981م).
121. حمزة محمد قاسم، (منار القاري شرح صحيح البخاري)، راجعه عبد القادر الأرنؤوط، مكتبة المؤيد، الطائف، م ع السعودية، (1410هـ - 1990م)، ج 5.
122. خالد بن سليمان المريني، (المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة دراسة الأسباب رواية ودراية)، دار الجوزي الدمام، المملكة العربية السعودية، ط 1، (1427هـ - 2006م)، ج 2.
123. ردة الله بن ردة بن ضيف الله (الطلحي)، (دلالة السياق)، ط 1، (1424هـ)، رسالة دكتوراه جامعة أم القرى - مكة المكرمة.

124. سعيد بن سعيد العلوي، (الاجتهاد والتعليل)، مقال بمجلة الاجتهاد، الصادرة: بيروت، العدد: 08، السنة: 2.
125. سعيد حوى، (ت 1409هـ)، (الأساس في التفسير)، ط6، (1426هـ)، دار السلام، القاهرة، ج7.
126. سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم (الطبراني)، (ت360هـ)، (المعجم الكبير)، تح حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار الصميمي الرياض، ط2 (1415هـ- 1994م)، ج23.
127. سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم (الطبراني)، (ت 360هـ)، (المعجم الكبير) تح حمدي بن عبد المجيد السلفي، دار الصميمي الرياض، باب العين، ط1 (1415هـ- 1994م)، ج13.
128. عمرو بن عثمان بن قنبر (سيبويه)، (الكتاب)، تح الأستاذ عبد السلام محمد هارون، دار الجليل، بيروت ط1، د ت ج، 3.
129. السيد أحمد خليل، (دراسات في القرآن الكريم)، ط دار المعارف مصر (1972م).
130. سيد قطب، (في ظلال القرآن)، دار الشروق، ج4، ط32 (1423هـ- 2003م).
131. شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الحوارة الدمشقي (ابن القيم)، (ت571هـ)، (زاد المعاد في هدي خير العباد)، تح مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتاب العلمية.
132. شمس الدين محمد بن أبي بكر (ابن القيم): (إعلام الموقعين عن رب العالمين)، تح محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة التجارية الكبرى - مصر - مطبعة السعادة. ط1 (1955م).
133. شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (ت 977هـ)، (مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج)، كتاب اللعان، الناشر: دار الكتب العلمية، ط1 (1415هـ - 1994م)، ج5.
134. شهاب الدين أحمد بن يوسف بن عبد الدائم، (ت 656هـ)، (عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ)، تح محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، ط1 (1417هـ- 1996م) ج3.
135. شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي، (ت 1270هـ) (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني)، تح علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1 (1415هـ)، ج9.

136. صالح بن إبراهيم البليهى، (كتاب الهدى البيان في أسماء القرآن)، ط2 (1402هـ)، ج2.
137. صبحي صالح، (مباحث في علوم القرآن)، دار العلم للملايين، 24، كانون الثاني/يناير (2000م).
138. ضياء الدين ابن الأثير، نصر الله بن محمد، (ت637)، (المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر)، تح أحمد الحوفي، بدوي طبانة، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة، ج1.
139. طرفة بن العبد بن سفيان الوائلي، (ت564م)، (ديوان طرفة بن العبد)، دار الكتب العلمية، ط3، (1423هـ - 2002م).
140. عبد الجليل عبد الرحيم، (لغة القرآن)، مكتبة الرسالة الحديثة، عمان، (1991م).
141. عبد الحق بن غالب، (ابن عطية)، الأندلسي، (ت546هـ)، (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (تفسير ابن عطية) تح عبد السلام عبد الشافعي محمد، منشورات دار الكتاب العلمية، بيروت لبنان، ج5.
142. عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي أبو شامة، (إبراز المعاني من حرز الأمان في القراءات السبع) - تح إبراهيم عطوة، مكتبة مصطفى - مصر العربية، ج2.
143. عبد الرحمن بن ناصر السعدي، (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان)، (تفسير السعدي)، تح سعد فوزان الصميل، الناشر دار ابن الجوزي، (ط1422هـ).
144. عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله (السعدي)، (ت1376هـ)، (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان)، تح عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط1 (1420هـ - 2000م)، ج1.
145. عبد الرحمن سعود إبداح، (أدب الخطاب في القرآن)، ط (2016)، دروب للنشر والتوزيع.
146. عبد الرحمن، (ابن خلدون)، (المقدمة)، تح عبد الله البستاني، مكتبة لبنان، ط4، (1990م).
147. عبد القاهر (الجرجاني)، (أسرار البلاغة)، قرأه وعلق عليه أبو فكر محمود محمد شاكر، دار المدني، ط1 (1991)، جدة.
148. عبد الله بن الشيخ حسن الحسن الكوهجي (زاد المحتاج بشرح المنهاج)، تح عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، الناشر: الشؤون الدينية قطر، ج3، ط1 (1982 - 1402).

149. عبد الله دراز، (النبا العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم)، دار القلم الكويت، د ط.
150. عبد الله محمود شحاتة، (أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1976.
151. عبد الوهاب رشيد أبو صفية الحارثي، (دلالة السياق منهج مأمون لتفسير القرآن الكريم)، (1409هـ-1989م)، عمان: الأردن.
152. عبده الراجحي، (فصول في علم اللغة)، دار المعرفة الجامعية، القاهرة (1998م)، د ط.
153. عرفات فيصل المناع، السياق والمعنى دراسة في أساليب النحو العربي، الناشر: مؤسسة السياب، لندن، منشورات الاختلاف (الجزائر) - منشورات ضفاف لبنان، ط (2013م).
154. عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام، (قواعد الأحكام في إصلاح الأنام)، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1 (1424هـ-2003م).
155. علال الفاسي، (مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها)، ط5، دار الغرب الإسلامي (1993).
156. علي بن أحمد الواحدي، (أسباب نزول القرآن)، تح كمال بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط1 (1411هـ-1991م).
157. علي بن الحسن الهنائي، (كراع النمل)، (المنجد في اللغة)، تح أحمد مختار عمر، ضاحي عبد الباقي، الناشر عالم الكتب، ط2، (1988).
158. علي بن سلطان محمد القاري، (مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح)، (1422هـ - 2002م)، باب صوم المسافر، ج4.
159. علي بن عيسى بن علي بن عبد الله، أبو الحسن الرماني، ت: (384هـ)، (النكت في إعجاز القرآن: ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)، تح محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام، دار المعارف بمصر، ط 3 (1976م).
160. عماد الدين محمد الرشيد، (أسباب النزول وأثرها في بيان النصوص دراسة مقارنة بين أصول التفسير وأصول الفقه)، دار الشهاب، (1420هـ - 1999م).
161. عمرو بن بحر بن محبوب الكناي أبو عثمان، (الجاحظ)، (ت 255هـ)، (البيان والتبيين)، دار ومكتبة الهلال، بيروت، (1423هـ)، ج2.
162. عنزة العبسي، (ديوان عنزة)، دار صادر، بيروت، ط (1908م).

163. عواطف كنوش مصطفى، (الدلالة السياقية عند اللغويين)، دار السياب، ط 1 (2007م) لندن.
164. عوض فريد، (علم الدلالة دراسة نظرية تطبيقية) (القاهرة: مكتبة النهضة المصرية (1999).
165. فاضل السامرائي، (التعبير الفني في القرآن)، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان الأردن.
166. فخر الدين الرازي، (المحصول في علم أصول الفقه)، تحطه فياض جابر العلواني، ط1 (1981م)، جامعة ابن السعود الإسلامية، ج2.
167. فوزي عيسى، رانيا فوزي، (علم الدلالة النظرية والتطبيق)، دار المعرفة الجامعية.
168. ماجد أبو رحية، وعبد الله محمد الجبوري، (فقه الزواج والطلاق وما عليه العمل في قانون الأحوال الشخصية الإماراتي)، دار النشر العلمي جامعة الشارقة، سنة (1427هـ - 2006م).
169. مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (الفيروز آبادي)، (ت 817هـ)، (بصائر التمييز في لطائف الكتاب العزيز)، تح محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، (1416هـ - 1996م)، ج1.
170. مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، (ت 817هـ)، (القاموس المحيط)، باب الدال، تح مكتبة التراث، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، ط8 (1426هـ - 2005م).
171. مجمع اللغة العربية، (المعجم الوسيط)، مادة (س وق)، مكتبة الشروق الدولية، ط4، (1425هـ، 2004م).
172. محمد أبو زهرة، (الأحوال الشخصية)، دار الفكر العربي، القاهرة.
173. محمد أحمد أبو الفرج، المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث، دار النهضة العربية، ط1 (1996م).
174. محمد أحمد خضير، (التركيب والدلالة والسياق)، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، القاهرة، ط (2008م).
175. محمد أحمد يوسف القاسم، (تأملات في تفسير سورة النور)، دار الطباعة المحمدية، الأزهر بالقاهرة، ط1 (1339هـ - 1978م).
176. محمد الأمين بن عبد الله، الأرمي، (الكوكب الوهاج في الروض البهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج)، دار طوق النجاة، ط1 (1430هـ - 2009م)، ج16.

177. محمد الأمين بن محمد المختار الجكني (الشَّنْقِيْطِي)، (1325هـ - 1393هـ)، (أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن)، إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد، دار علم الفوائد، ط: 1 (1426هـ).
178. محمد الطاهر ابن عاشور (تفسير التحرير والتنوير)، الدار التونسية للنشر، ط (1984م)، ج8.
179. محمد الطاهر بن عاشور، التونسي، (ت 1393هـ)، (مقاصد الشريعة الإسلامية)، تح محمد الحبيب بن الخوجة، الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية، قطر (1425هـ - 2004م)، ج3.
180. محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر (ابن عاشور)، التونسي ت (1393هـ)، (مقاصد الشريعة الإسلامية)، تح محمد الحبيب بن الخوجة. الناشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، (1425هـ - 2004م).
181. محمد بن إبراهيم بن إسحاق السلمي المناوي الشافعي صدر الدين أبو معلى، ت (803هـ)، (كشف المناهج والتناقيح في تخريج أحاديث المصابيح)، باب فضائل القرآن، تح محمد إسحاق محمد إبراهيم، تقديم صالح بن محمد اللحيان، دار العربية للموسوعات، ط1 (1425هـ - 2004م)، ج2.
182. محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، (الأمثال في القرآن الكريم)، تح إبراهيم بن محمد، مكتبة الصحابة، طنطا، ط1 (1406. 1986).
183. محمد بن أبي بكر بن أيوب (ابن قيم الجوزية)، (زاد المعاد في هدي خير العباد)، تح شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة للنشر (1418هـ - 1990م) ج5.
184. محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، (ابن قيم الجوزية)، (751هـ)، (زاد المعاد في هدي خير العباد)، دار المعرفة، بيروت، ج2.
185. محمد بن إدريس (الشافعي)، (الرسالة)، تح وشرح أحمد محمد شاكر، ط1، دس.
186. محمد بن إسماعيل أبو عبد الله (البخاري)، (الجامع المسند الصحيح المختصر من سور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه)، تح محمد بن ناصر الناصر، كتاب الأدب، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: ((يسرّوا ولا تعسّروا))، دار طوق النجاة، ط1 (1422هـ)، ج8.
187. محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة، أبو عبد الله (البخاري)، (ت256هـ) (الأدب المفرد)، باب المال الصالح للمرء الصالح، دار الصديق للنشر والتوزيع، ط4 (1418هـ - 1997).

188. محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، (ت 1182هـ)، (التنوير شرح الجامع الصغير)، تح د. محمد إسحاق محمد إبراهيم، الناشر: مكتبة دار السلام، الرياض، ط1، (1432 هـ - 2011م) ج7.
189. محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر (الطبري)، (ت310هـ)، (جامع البيان في تأويل القرآن)، تح أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1 (1420هـ 2000م) ج19.
190. محمد بن سعد بن منيع (الزهري)، (الطبقات الكبرى)، تح علي محمد عمر، الناشر مكتبة الخانجي، ط1، ج2.
191. محمد بن عبد الرحمن، الخطيب (القزويني)، (تلخيص المفتاح وشرحه مختصر المعاني) مطبعة البابي الحلبي، الطبعة الأخيرة.
192. محمد بن عبد الله (ابن العربي المالكي)، (أحكام القرآن)، تح علي محمد البجاوي، مطبعة عيسى البابي الحلبي، دط، دت، ج3.
193. محمد بن عبد الله الأندلسي، (ابن العربي)، (أحكام القرآن)، دار الكتب العلمية، ط1، دت، ج3.
194. محمد بن علي بن محمد الشوكاني، (1250هـ)، (فتح القدير الجامعة بين فني الرواية والدراية من علم التفسير)، اعتنى به وراجع أصوله يوسف الغوش، دار المعرفة بيروت، ط4.
195. محمد بن محمد بن سليمان بن الفاسي بن طاهر السوسي الردواني المغربي المالكي، ت (1094هـ)، (جمع الفوائد من جامع الأصول ومجمع الزوائد)، تح أبو علي سليمان بن دريع، دار ابن حزم، بيروت، ط1 (1418هـ-1998م)، ج3.
196. محمد بن مكرم بن علي أبو الفصل، جمال الدين (ابن منظور)، (لسان العرب)، دار صادر، بيروت لبنان، ج10.
197. محمد بن يعقوب، مجد الدين (الفيروز أبادي)، (القاموس المحيط)، تح محمد نعيم العرقوسي، مؤسسة الرسالة (1426هـ-2005م)
198. محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، (أبو حيان)، (ت745هـ)، (البحر المحيط في التفسير)، تح صدقي محمد جميل، دار الفكر بيروت، ط (1420)، ج8.

199. محمد جمال الدين القاسمي، (محاسن التأويل)، ط2 (1398هـ - 1978م)، دار الفكر، بيروت.
200. محمد سعد بن أحمد بن مسعود اليوبي، (مقاصد الشريعة، وعلاقتها بالأدلة الشرعية)، دار الهجرة للنشر والتوزيع، ط1 (1418هـ-1998م)، م ع السعودية.
201. محمد سعيد رمضان، البوطي، (ضوابط المصلحة في الشريعة الإسلامية). مؤسسة الرسالة، 1402هـ (1982م).
202. محمد شاكر الكتبي، (فوات الوفيات)، (ت 664هـ)، تح إحسان عباس، دار صادر، بيروت.
203. محمد عبد العظيم الزرقاني، (ت 1367هـ)، (مناهل العرفان في علوم القرآن)، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط3، ج2.
204. محمد علي التهانوي، (كشف اصطلاحات الفنون)، تقديم وإشراف ومراجعة د: رفيق العجم، تح د علي دحروج، مكتبة لبنان، ناشرون، بيروت لبنان، ط1 (1996)، ج1.
205. محمد علي الصابوني، (صفوة التفاسير)، دار القرآن الكريم، بيروت، ط4، ج2.
206. محمد علي الصابوني، (مختصر تفسير بن كثير)، دار القرآن الكريم بيروت لبنان، ط7 (1402هـ - 1981)، ج2.
207. محمد عمر حويه، (نزول القرآن الكريم وتاريخه وما يتعلق به)، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة.
208. محمد فؤاد عبد الباقي، (المعجم المفهرس لألفاظ القرآن)، دار الحديث القاهرة، (1364هـ).
209. محمد متولي الشعراوي، ت (1418هـ)، خواطر الشعراوي (تفسير الشعراوي)، الناشر: مطابع أخبار اليوم (1979).
210. محمد محروس المدرس الأعظمي، (أسماء القرآن في القرآن) ط، (1420 هـ - 2000 م)
211. محمود جاد الرب: (علم اللغة نشأته وتطوره)، دار المعارف، القاهرة، (1985م).
212. محمود سامي البارودي، (ديوان محمود سامي البارودي)، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، جمهورية مصر العربية.
213. محي الدين بن أحمد مصطفى درويش، (ت 1403هـ)، (إعراب القرآن وبيانه)، دار الإرشاد للشئون الجامعية، دار ابن كثير، بيروت، ط4 (1415 هـ)، ج 4.

214. مذكور عاطف، (علم اللغة بين التراث والمعاصرة)، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، (1987)، د ط.
215. مسلم بن الحجاج القشيري، (صحيح مسلم بشرح النووي)، طبعة دار الفكر بيروت (1398هـ-1978م)،
216. مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، (ت 261هـ)، (المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم)، تح محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج 4.
217. مصطفى صادق الرافعي، (إعجاز القرآن والبلاغة النبوية)، دار الكتاب العربي بيروت، لبنان (1410هـ-1990م)
218. مقبل بن هادي الوادعي، (الصحيح المسند من أسباب النزول)، مكتبة صنعاء الأثرية، صنعاء، اليمن، ط 1 (1425هـ-2004م)
219. موسوعة الأسرة للجنة الاستشارية العليا للعمل على استكمال تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية، ج 2، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي.
220. موسى بن يوسف الصالحي الشامي، (ت 942هـ)، (سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد)، تح وتعد عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 2 (1414هـ-1993م)، كتاب اللعان، ج 4.
221. موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامه المقدسي، (المقنع في فقه إمام السنة أحمد بن حنبل الشيباني رضي الله عنه)، تح محمود الأرناؤوط - ياسين محمود الخطيب، سنة النشر (1421هـ - 2000م) ج 3.
222. نصر حامد أبو زيد، (النص والسلطة والحقيقة، الفكر الديني بين إرادة المعرفة وإرادة الهيمنة)، المركز الثقافي العربي، دار البيضاء، بيروت، ط 1، د س.
223. هدى رشيد جاد الله، (تفسير القرآن بالقراءات القرآنية العشر من خلال سور (النور- الفرقان - الشعراء - النمل))، بحث مقدم لاستكمال متطلبات درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن، إشراف الدكتور رياض محمود قاسم (1427هـ-2006م).
224. وهبة بن مصطفى (الزحيلي)، (التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج)، ط 1 (1990م)، دار الفكر، ج 18.

225. وهبة بن مصطفى الزحيلي، (التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج)، ط1 (1991م)، دار الفكر، ج: 17.

226. يحيى بن شرف أبو زكريا (النووي)، (شرح النووي على مسلم)، باب مباحثته صلى الله عليه وسلم للأثام واختياره من المباح أسهله وانتقامه لله عند انتهاك حرمانه، دار الخير، سنة النشر (1416هـ -1996م)، ج: 15.

227. يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي (السكاكي)، (مفتاح العلوم)، تح أكرم عثمان يوسف، مطبعة دار السعادة، بغداد، (1402هـ).

228. يوسف بن أبي سعيد الحسن بن عبد الله (ت 385هـ)، شرح أبيات سيوييه، تح محمد علي الريح هاشم، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة مصر، (1394هـ -1974م)، ج: 2.
الرسائل الجامعية:

229. عبد الرحمن عبد الله سرور جرمان (المطيري)، (السياق القرآني وأثره في التفسير دراسة نظرية وتطبيقية من خلال تفسير ابن كثير)، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن، إشراف الدكتور خالد بن عبد الله القرشي، (1429هـ -2008م).

230. فهد بن شتوي بن عبد المعين الشتوي، (دلالة السياق وأثرها في توجيه المتشابه اللفظي)، رسالة ماجستير، السنة: (1426هـ -2005م)، إشراف د: محمد بن عمر بازمول، جامعة أم القرى.
المجلات:

231. بن علي راس الماء، (مقاصد الخطاب القرآني في ضوء النظرية السياقية، نماذج مختارة من سورة النور)، مجلة دراسات لسانية، مج 2، العدد: 9، 10 جوان 2018.

232. الحاج صالح عبد الرحمن، (مدخل إلى علم اللسانيات الحديث)، مجلة اللسانيات، معهد العلوم اللسانية والصوتية، جامعة الجزائر، 1971، مج: 1.

233. معين الحق (الخطاب القرآني وأنواعه، دراسة بلاغية في ضوء الفتح المحمدي في علم البديع والبيان والمعاني)، إشراف: أ.د خالق داد مالك، مجلو القسم العربي، جامعة بنجاب، لاهور-باكستان، العدد: 22، 2015ص: 63.

234. شهوان رجب، (حكمة الزواج ومنافعه)، بحث منشور في مجلة البحوث الإسلامية، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض، ربيع الأول إلى جمادى الثانية (1412هـ)، العدد: 33.

235. Traduction Durand j. et D. Boulonais, librairie Larousse, paris,
1980Lyons johno, semantique, Linguistique.

الملاحق

ملحق سورة النور برواية ورش

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)

سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ
تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةً
جَلْدَةً وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ الزَّانِي
لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ
مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ يَزْمُونَ
الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً
وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤﴾ إِلَّا الَّذِينَ
تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ وَالَّذِينَ
يَزْمُونَ أَرْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَدَةُ
أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٦﴾ وَالْخَمِيسَةُ أَنْ
لَّعَنَتُ اللَّهُ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَذَرُوهَا عَنْهَا الْعَذَابَ
أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٨﴾ وَالْخَمِيسَةُ أَنْ
غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٩﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ
عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾
إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم
بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ
وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلَا إِذْ
سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا

233

وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ
أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾
يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى
تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ
تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِنْ لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى
يُودَنَ لَكُمْ وَإِنْ فِيلَ لَكُمْ إِرْجِعُوا بَارِجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ
وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا
بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا
تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾ فَلِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَرِهِمْ وَيَحْفَظُوا
فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَفَلِ
لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ
زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا
يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ
أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ بَنَاتِهِنَّ أَوْ بَنَاتِ أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ بَنَاتِ أَخَوَاتِهِنَّ
أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوْ التَّبَاعِينَ غَيْرِ
أُولَئِكَ إِلَّا زِينَةً مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى
عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ
زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ
﴿٣١﴾ وَأَنْكِحُوا الْأَيْمَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ
وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ
عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾ وَلَيْسَتْ غِيْفٌ لِلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ
اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ

فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَءَاتُوهُمْ مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي
ءَاتَيْكُم وَلَا تُكْرِهُوا قِتَاتِيكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْتُمْ تَحَصُّنًا
لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَن يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِن بَعْدِ
إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ ءَايَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ
وَمَثَلًا لِّلَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّفِينِ ﴿٣٤﴾ اللَّهُ
نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ
الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن
شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْفِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا
يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن
يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ فِي
بُيُوتٍ آذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا
بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ
وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ بِهِ الْأَفْئُودُ
وَالْأَبْصَارُ ﴿٣٦﴾ لِيَجْزِيََهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن
فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا
أَعْمَلُوهُمْ كَسْرَابٍ بِفَيْعَةٍ يَخْشِبُهُ الظُّمَأُنُ مَاءً حَتَّى إِذَا
جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوْقِيَهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ
الْحِسَابِ ﴿٣٨﴾ أَوْ كَظَلَمْتَ فِي بَحْرِ لُجِّيٍّ يَغْشِيهِ مَوْجٌ مِّن
فَوْفِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْفِهِ سَحَابٌ ظَلَمْتَ بَعْضَهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا
أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكْذِبْ رِيحًا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ
مِن نُّورٍ ﴿٣٩﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَالطَّيْرُ صَبَّحَتْ كُلٌّ فَدَّ عِلِمَ صَلَاتِهِ وَتَسْبِيحِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا

يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ
﴿٤٢﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ
رُكَّامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ
جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ
يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَرِ يَفْلِبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي
ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٤٣﴾ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَّاءٍ
فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ
وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ
شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٤﴾ لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ
إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤٥﴾ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا
ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَمَا أُوْكَيْكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٦﴾
وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ
مُّعْرِضُونَ ﴿٤٧﴾ وَإِنْ يَكُ لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٨﴾ أَفِي
فُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ أَمْ إِرْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ
وَرَسُولَهُ بَلْ أُوْكَيْكَ هُمْ الظَّالِمُونَ ﴿٤٩﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ
الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ
يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْكَيْكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥٠﴾ وَمَنْ يُطِيعِ
اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقِهِ فَأُوْكَيْكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٥١﴾
وَأَفْسِمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لِيَبْ أَمْرَتَهُمْ لِيَخْرُجُنَّ فَلْ لَا
تُفْسِمُوا طَاعَةً مَّعْرُوفَةً إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٢﴾ فَلْ أَطِيعُوا
اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ
مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ

الْمُبِينُ ﴿٥٧﴾ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
 لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ
 وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ
 خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ
 ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٨﴾ وَأَفِيضُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا
 الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٩﴾ لَا تَحْسِبَنَّ
 الَّذِينَ كَفَرُوا مَعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَأْوِيَهُمُ النَّارُ وَلَيْسَ
 الْمَصِيرُ ﴿٦٠﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِيَسْتَذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ
 أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ
 صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ
 صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ
 جُنَاحٌ بَعْدَ هُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ
 يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦١﴾ وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ
 مِنْكُمْ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَذِنُوا كَمَا اسْتَذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ
 كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٢﴾
 وَالْفَوَاحِشُ مِنَ النِّسَاءِ الَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ
 جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ
 خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى
 الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ
 تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ
 إِهْمَّتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ
 أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ

خَلَقْتُمْ ۖ أَوْ مَا مَلَكَتُمْ مَّعَاتِحَهُ ۖ أَوْ صَدِيفَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ
جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعاً أَوْ أَشْتَاتاً فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتاً فَسَلِّمُوا
عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَرَكَةً طَيِّبَةً كَذَلِكَ يُبَيِّنُ
اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ
آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ
يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أَذُنُكُمْ الَّذِينَ
يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذِنَ لِمَنْ
شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾ لَا تَجْعَلُوا
دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً ۚ فذ يَعْلَمُ اللَّهُ
الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ
أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ آلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ فذ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ
فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا ۚ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٤﴾

ملحق المتشابهات داخل سورة النور:

(أَنْزَلْنَا):

- 01 ﴿سُورَةُ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ النور: 01
02 ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾
النور: 34.

- 03 ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ النور: 46

(لَعَلَّكُمْ):

- 01 ﴿سُورَةُ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ النور: 01
02 ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ النور: 27.
03 ﴿وَقُلْ لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ..... وَتُؤْبِئُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ النور: 31.
04 ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ النور: 56.
05 ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ..... كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ النور: 61.

(فاجلدوا):

- 01 ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةً جَلْدَةً وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ.....﴾ النور: 02
02 ﴿وَالَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا﴾ النور: 04.

(إن كنتم تؤمنون)، و(إن كنتم مؤمنين):

- 01 ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ النور: 02.
- 02 ﴿يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ النور: 17.

(الزانية والزاني)، و(الزاني والزانية):

- 01 ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ.....﴾ النور: 02.
- 02 ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ النور: 03.

(الذين يرمون):

- 01 ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ النور: 04.
- 02 ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ النور: 06.
- 03 ﴿الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ النور: 23.

(والذين):

- 01 ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا.....﴾ النور: 04.
- 02 ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا....﴾ النور: 39.

(بأربعة شهداء):

- 01 ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً...﴾ النور: 04.
- 02 ﴿لَوْلَا جَاؤُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ النور: 13.

(هم الفاسقون):

- 01 ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ... وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ النور: 04.
- 02 ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ... وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ النور: 55.

(من بعد) - (بعد):

- 01 ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ النور: 05.
- 02 ﴿وَلَيَسْتَغْفِبِ اللَّهُ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ... فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ النور: 23.
- 03 ﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ النور: 47.
- 04 ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا... وَلَيَبْدُلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا... وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ النور: 55.
- 05 ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنَكُمْ... مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ...﴾ النور: 58.

(غفور رحيم) - (رءوف رحيم):

- 01 ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ النور: 05.
- 02 ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ النور: 20.

03 ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا... وَلِيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ النور: 22.

04 ﴿وَلَيْسْتَغْفِرَ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا... وَمَنْ يُكْرِهْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِمْ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ النور: 33.

05 ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ... فَأَذْنِ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ النور: 62.

(أربع شهادات بالله إنه لمن):

01 ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ النور: 06-07.

02 ﴿وَيَذَرُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ النور: 08-09.

(الكاذبين):

01 ﴿وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ النور: 07.

02 ﴿وَيَذَرُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ﴾ النور: 08.

03 ﴿لَوْلَا جَاؤُوا عَلَيْهِ بَأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَقُولْكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمْ الْكَاذِبُونَ﴾ النور: 13.

(ولولا) - (ولولا فضل الله عليكم ورحمته):

01 ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾ النور: 10.

02 ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ النور: 14.

03 ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾ النور: 16.

04 ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ النور: 20.

05 ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوتَ الشَّيْطَانِ... وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا...﴾ النور: 21.

(حكيم):

- 01 ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ﴾ النور: 10.
- 02 ﴿وَيُضِلُّ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ النور: 18.
- 03 ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ... وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ النور: 58.
- 04 ﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمْ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ... وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ النور: 59.

(إن الذين...):

- 01 ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ...﴾ النور: 11.
- 02 ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ...﴾ النور: 19.
- 03 ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ النور: 23.

(إفك):

- 01 ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ...﴾ النور: 11.
- 02 ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ﴾ النور: 12.

(خير لكم):

- 01 ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ...﴾ النور: 11.

02 ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا... ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ النور: 27.

03 ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ... وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ النور: 60.

(عذاب عظيم) - (عذاب أليم):

01 ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ... وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ النور: 11.

02 ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ النور: 14.

03 ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ...﴾ النور: 19.

04 ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ النور: 23.

05 ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ... فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم﴾ النور: 63.

(...عظيم):

01 ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ... وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ النور: 11.

02 ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ النور: 14.

03 ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِالْإِسْتِخَارَةِ وَقُلْتُمْ لَهُ بِإِغْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ النور: 15.

04 ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾ النور: 16.

05 ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ النور: 23.

(لولا):

01 ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ﴾ النور: 12.

02 ﴿لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ النور: 13.

(إذ سمعتموه):

01 ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ﴾ النور: 12.

02 ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾ النور: 16.

(عند الله) - (من عند الله):

01 ﴿لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ النور: 13.

02 ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسِبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ النور: 15.

(في الدنيا والآخرة):

01 ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ النور: 14.

02 ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ...﴾ النور: 19.

03 ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ النور: 23.

(بِالْسِتِّكُمْ) - (أَلْسِنَتَكُمْ):

01 ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِالسِّتِّكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ النور: 15.

02 ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ النور: 24.

(يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ) - (يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ آيَاتِهِ):

01 ﴿وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ النور: 18.

02 ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ... وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ النور: 58.

03 ﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ... وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ النور: 59.

04 ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ... تَحِيَّةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةٌ طَيِّبَةٌ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ النور: 61.

(عَلِيمٌ)

01 ﴿وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ النور: 18.

02 ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ... وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ النور: 21.

03 ﴿فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ النور: 28.

04 ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ النور: 32.

05 ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ... وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾
النور: 35.

06 ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَافَاتٍ كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ
وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ النور: 41.

07 ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ... وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ النور: 58.

08 ﴿وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ... وَاللَّهُ عَلِيمٌ
حَكِيمٌ﴾ النور: 59.

09 ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ
مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ النور: 60.

10 ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ
بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ النور: 64.

(الفاحشة) - (الفحشاء):

01 ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا
وَالْآخِرَةِ...﴾ النور: 19.

02 ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطَوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ
بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ النور: 21.

(والله يعلم)

01 ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ... وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ
لَا تَعْلَمُونَ﴾ النور: 19.

02 ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ
وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ النور: 29.

03 ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ
بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ النور: 64.

(يا أيها الذين آمنوا)

- 01 ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُواتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ...﴾ النور: 21.
- 02 ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ النور: 27.
- 03 ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ﴾ النور: 58.

(من يشاء) - (ما يشاء)

- 01 ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ... وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ النور: 21.
- 02 ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ... يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَبَضَرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ النور: 35.
- 03 ﴿لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ النور: 38.
- 04 ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا... مِنْ بَرْدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾ النور: 43.
- 05 ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ... يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ النور: 45.
- 06 ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ النور: 46.

(أولي القربى) - (أولي الإرب) - (أولي الأبصار):

- 01 ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ...﴾ النور: 22.
- 02 ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَعْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ... أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتٍ...﴾ النور: 31.

03 ﴿يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ النور: 44.

(... المبين):

01 ﴿يَوْمَئِذٍ يُوفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ النور: 25.

02 ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ... وَإِنْ تَطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ النور: 54.

(بيوتا) - (بيوت) - (بيوتكم):

01 ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ النور: 27.

02 ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ النور: 29.

03 ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ النور: 36.

04 ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتُمْ مَفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا إِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ النور: 61.

(هو أزكى لكم) - (ذلك أزكى لهم):

01 ﴿فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ النور: 28.

02 ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ النور: 30.

(... بما تعملون):

01 ﴿فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ النور: 28.

02 ﴿وَأَقْسِمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَنْ أَمْرْتَهُمْ لِيَخْرُجُنَّ قُلْ لَا تُفْسِمُوا طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ النور: 53.

(ليس / جناح):

01 ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ النور: 29.

02 ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ... ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ النور: 58.

03 ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ النور: 60.

04 ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ... لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا...﴾ النور: 61.

(قل) - (وقل):

01 ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ النور: 30.

02 ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا...﴾ النور: 31.

03 ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ... وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا...﴾ النور: 54.

(إن الله خبير):

01 ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ النور: 30.

02 ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُلْ لَا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ النور: 53.

(ملكت أيمانهن) - (ملكت أيمانكم):

- 01 ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ... أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ... وَتُؤْنُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ النور: 31.
- 02 ﴿وَلَيْسْتَغْفِرِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا... وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ النور: 33.
- 03 ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنُكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ... وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ...﴾ النور: 58.

(من فضله):

- 01 ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ النور: 32.
- 02 ﴿وَلَيْسْتَغْفِرِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ...﴾ النور: 33.
- 03 ﴿لِيَجْزِيََهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمُ مِنْ فَضْلِهِ...﴾ النور: 38.

(لا يجدون نكاحا) - (لا يرجون نكاحا):

- 01 ﴿وَلَيْسْتَغْفِرِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ...﴾ النور: 33.
- 02 ﴿وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَغْفِرْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ النور: 60.

(ولقد أنزلنا إليكم آيات مبينات) - (لقد أنزلنا آيات مبينات):

- 01 ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ﴾ النور: 34.

02 ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ النور: 46.

(السموات والأرض):

01 ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ...﴾
النور: 35.

02 ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ النور: 41.

03 ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ النور: 42.

04 ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ النور: 64.

(يهدي الله) - (والله يهدي):

01 ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ... يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ النور: 35.

02 ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ النور: 46.

(يسبح له):

01 ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ النور: 36.

02 ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ النور: 41.

(إقام الصلاة وإيتاء الزكاة):

01 ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ النور: 37.

02 ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ النور: 56.

(الأبصار):

01 ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ النور: 37.

02 ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا... فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنًا بَرَقَهُ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾ النور: 43

03 ﴿يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ النور: 44.

(ما عملوا):

01 ﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ النور: 38.

02 ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ النور: 38.

(ألم تر أن الله):

01 ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَافَاتٍ كُلِّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ النور: 41.

02 ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ...﴾ النور: 43.

(المصير):

01 ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ النور: 42.

02 ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ النور: 57.

(بالله وبالرسول) - (بالله ورسوله):

01 ﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ النور: 47.

02 ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ...أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ...﴾ النور: 62.

(وأطعنا):

01 ﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ النور: 47.

02 ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ النور: 51.

(إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم):

01 ﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ النور: 48.

02 ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ النور: 51.

(أولئك هم):

01 ﴿أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ النور: 50.

02 ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ النور: 51.

03 ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَّقِ اللَّهَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ النور: 52.

04 ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَّقِ اللَّهَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ النور: 52.

05 ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ... وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ النور: 55.

(إنما):

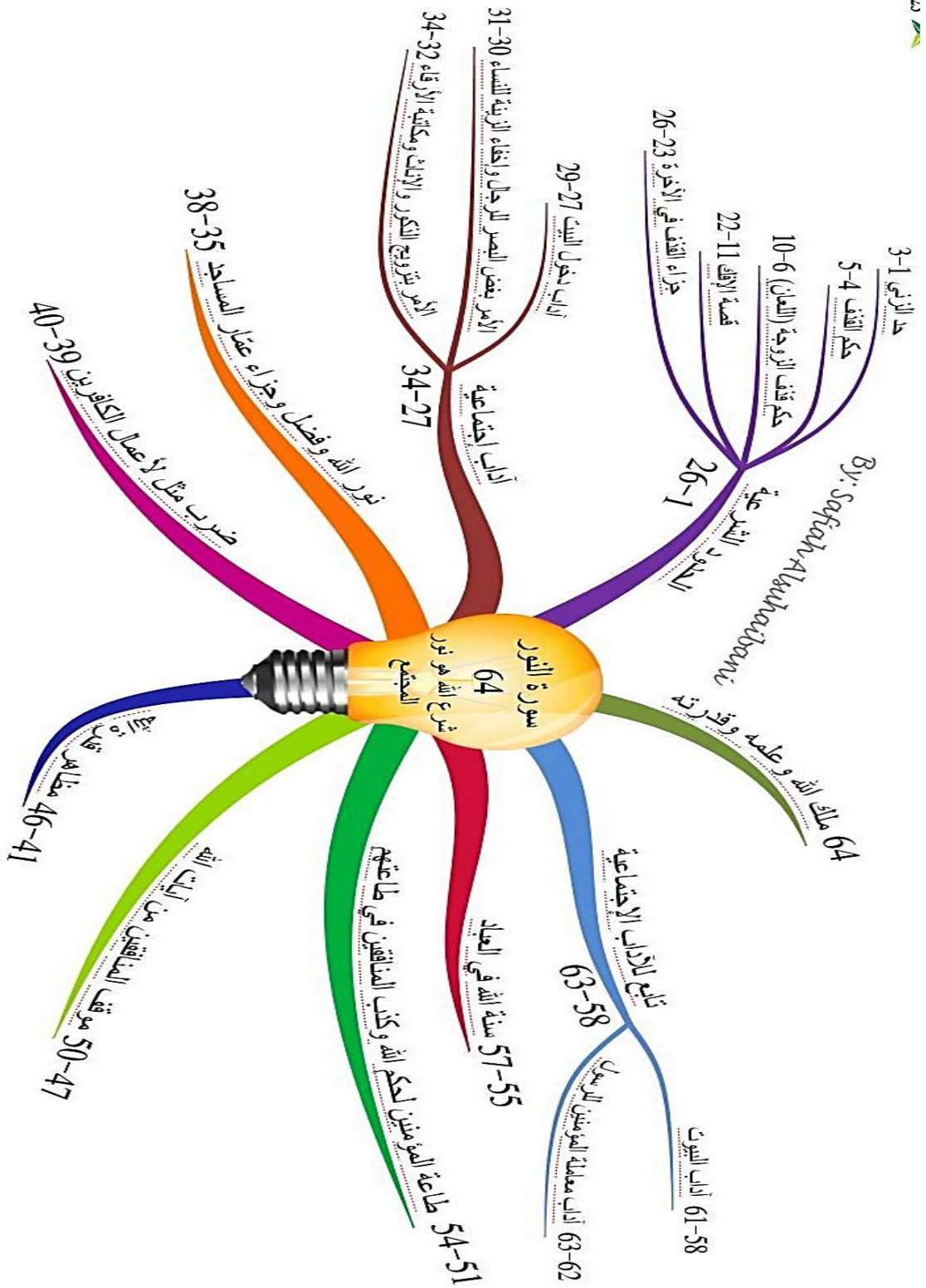
- 01 ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ النور: 51.
- 02 ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ...﴾ النور: 62.

(وأطيعوا الرسول):

- 01 ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴾ النور: 54.
- 02 ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ النور: 56.

(قد يعلم):

- 01 ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ النور: 63.
- 02 ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ النور: 64.



خريطة ذهنية لسورة النور مستخرجة من كتاب الخرائط الذهنية لسور القرآن الكريم لصفية عبد الرحمن السحيباني، ص 30.

الفهارس الفنية

فهرس الآيات

فهرس الأحاديث

فهرس الأشعار

فهرس المحتويات

فهرس الآيات القرآنية:

- ﴿وَالَّذِينَ يَزُمُونَ أَزْوَاجَهُمْ...﴾ 167
- ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ 60
- ﴿... فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ 177
- ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ 41
- ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا﴾ 39
- ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ 160، 162، 234،
- 235
- ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ..... وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ 3، 203، 247.
- ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ ... إِنَّ اللَّهَ يُفَعِّلُ مَا يَشَاءُ﴾، 50
- ﴿آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ﴾ 38.
- ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ.....﴾ 176
- ﴿إِنَّ ذَلِكَ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ﴾ 59، 60.
- ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ 110
- ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ 33
- ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ 52
- ﴿ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ 200
- ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾، 123
- ﴿سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ 159، 234.
- ﴿فَأَتَيْنَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ 48.
- ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَتْنً وَثَلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ 189، 190.
- ﴿فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ 85
- ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا بَصِيرٌ﴾ 134
- ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أُنْبَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ يُصَيِّهِمْ عَذَابُ أَلِيمٍ﴾ 182، 183،
- 200.
- ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُجِبُونَ أَنَّ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا.....﴾ 136

- 66.....﴿لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرِهًا﴾.
- 134.....﴿لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ وَالذَّرَائِعَ الْحَادِثَةَ فِي السَّمَاءِ، فَأَتَوْصِلَ بِهَا إِلَى إِلَهٍ مَعْرِفَةً مَا يَدْعِيهِ مُوسَى﴾.
- 187.....﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ﴾.
- 98.....﴿وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ.... وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾.
- 138.....﴿وَالَّذِي قَالَ لِيَا لِدَيْهِ أَفٍّ لَكُمْ﴾،.....
- 109.....﴿وَالسَّمَوَاتِ مَطَوِيَّاتٍ بِيَمِينِهِ﴾.
- 94.....﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ.... النُّشُورُ﴾.
- 186.....﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ.... وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾.
- 129.....﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾،.....
- 39.....﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾.
- 53، 52.....﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ... وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾.
- 94.....﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ... خَالِدِينَ﴾.
- 108.....﴿وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ..... كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾.
- 156.....﴿وَقَالُوا مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ﴾،.....
- 26.....﴿وَقَرَأْنَا فَرَقْنَاهُ لَتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾.
- 198، 190.....﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّانَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾.
- 189، 187.....﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾،.....
- 34.....﴿وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَنْ نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.
- 136.....﴿وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُولُوا فَنَمَّ وَجْهُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾.
- 71.....﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِّن رَّبِّهِمْ.... وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾.
- 46...﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّفُسِدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾.
- 120.....﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُخْضَرِّينَ﴾.
- 98.....﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾،.....
- 124.....﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾،.....
- 198.....﴿وَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ.... مِّن فِتْيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ﴾.
- 46.....﴿وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾.

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾.....47، 186
- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾.....47، 186
- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.....47
- ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾.....47
- ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾.....50
- ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ﴾.....48
- ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.....53
- ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾.....45
- ﴿يَا بَنِي إِدْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيَاسُّوا مِنْ رَوْحٍ﴾.....30
- ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ﴾.....135
- ﴿أَمْ هُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمْعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾.....133
- ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.....117
- ﴿وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾.....129
- ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾.....46
- ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرْزِ أَفَلَا يَنْصَرُونَ﴾.....94
- ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.....34
- ﴿وَمَنْ يُكَرِّهْتُمْ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِمْ عَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.....198
- ﴿وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ﴾.....159
- الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ ﴿207
- ﴿مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ﴾.....3، 201، 202، 249
- ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾.....3، 201، 203، 249
- ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ... بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.....42
- ﴿فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنْكُمْ﴾.....165
- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا وَمَا تَكْتُمُونَ﴾.....179
- ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ﴾.....166
- ﴿أَحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ﴾.....62

﴿أَحَلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةَ الْأَنْعَامِ﴾..... 67
 ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ آمِينَ﴾..... 49
 ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنِي مَتْوَفِيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا...﴾..... 46
 ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾..... 12
 ﴿اقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾..... 24
 ﴿أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ...﴾..... 13، 14، 243، 244، 249، 253

﴿الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ﴾..... 51
 ﴿الرَّكِتَابِ أَحْكَمَتِ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾..... 40
 ﴿الرَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً..... وَحَرَّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾..... 165
 ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ﴾..... 51، 52
 ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً..... وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾..... 42
 ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ.....﴾..... 3، 54، 201
 ﴿أَمْ تَرَى إِلَى رَيْكٍ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾..... 54
 ﴿أَلَمْ تَلِكْ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾..... 40
 ﴿الرَّكِتَابِ أَحْكَمَتِ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾..... 40
 ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾..... 60
 ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ..... وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾..... 172
 ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنْذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾..... 47
 ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا﴾..... 109
 ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنَ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾..... 44
 ﴿أَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾..... 123
 ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا... إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾..... 65
 ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَتْهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ﴾..... 54
 ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾..... 49
 ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾..... 23، 24

- ﴿إِنَّ هَذَا أَحْيَىٰ لَهُ تَسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴾... 19
- ﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾..... 57
- ﴿إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُعْهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾..... 191
- ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾،..... 59
- ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبِيًّا﴾..... 134
- ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾..... 29
- ﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾،..... 41
- ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾..... 77
- ﴿إِنَّهُ هُوَ يُبْدِي وَيُعِيدُ﴾،..... 121
- ﴿إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾..... 27
- ﴿أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾..... 62
- ﴿أَوَّلِيكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾..... 32
- ﴿أَحِبُّ أَحَدَكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾،..... 156
- ﴿أَيُّودُ أَحَدِكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نَّحِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾..... 106
- ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾..... 38
- ﴿بَلَىٰ إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّنْ فُورِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾..... 55
- ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾..... 13، 25
- ﴿تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ و﴿تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾..... 33
- ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾... 54
- ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ... هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾..... 71
- ﴿ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾..... 30
- ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾..... 29
- ﴿خَالِقِ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾..... 110
- ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾..... 43، 48
- ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ﴾،..... 123

- ﴿رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنُ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾..... 19
- ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾..... 120
- ﴿سُورَةُ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾..... 14، 65
- ﴿سُورَةُ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾..... 14
- ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾..... 24
- ﴿فَاتُوا بِكِتَابِكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾..... 27
- ﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ﴾.....، 85
- ﴿فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابٍ يَوْمَ الْيَوْمِ﴾..... 122
- ﴿فَإِذَا أُحْصِنَ فَإِنَّ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ﴾..... 125
- ﴿فَإِذَا أُحْصِنَ فَإِنَّ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ﴾.....، 126
- ﴿فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ﴾..... 63
- ﴿فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾..... 24
- ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾..... 77
- ﴿فَادْكُرُونِي أذكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونَ﴾..... 29
- ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾..... 30
- ﴿فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾..... 87، 130
- ﴿فَالآنَ بَاشِرُوهُمْ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾..... 62
- ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.....، 34
- ﴿فَالْقُلُوبُ غَصَاءٌ فَإِذَا هِيَ تُعْبَانُ مُبِينٌ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ ...﴾..... 116
- ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ﴾..... 62
- ﴿فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾..... 197
- ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شكٍّ مِّمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يُقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾..... 53
- ﴿فَأُولَٰئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾.....، 176
- ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾..... 126
- ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ﴾..... 199
- ﴿فَرُوحٌ وَرِيحَانٌ وَجَنَّتْ نَعِيمٌ﴾..... 30

- ﴿فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾، 120
- ﴿فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفْ وَلَا تَنْهَرُهُمَا﴾. 109
- ﴿فَلَمَّا تَعَشَاهَا﴾. 62
- ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنْضُودٍ﴾. 121
- ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾. 60
- ﴿فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ﴾، 133
- ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾. 67
- ﴿فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ﴾. 67
- ﴿فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾. 68
- ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾. 109
- ﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذِنَ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾. 70
- ﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾. 37
- ﴿قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾، 49
- ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ﴾، 19
- ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ﴾. 19، 18
- ﴿قَالَ فَمَنْ رَّبُّكُمْ يَا مُوسَى﴾. 54، 51
- ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمْ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾. 19
- ﴿قَالَ مَا خَطْبُكَ إِذْ رَاوَدْتَنِّي يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ﴾، 18
- ﴿قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَلْفِتَنَّا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا الْكِبْرِيَاءُ﴾. 53
- ﴿قَالُوا يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَدْخُلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا... فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾. 25
- ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ﴾. 66، 65
- ﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ... وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾. 55
- ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ... مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾. 66
- ﴿قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾. 60
- ﴿قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ﴾. 137
- ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَيْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ﴾. 181

- ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أُنْبُسِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكُمْ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾. 198
- ﴿قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ...﴾ 22.....
- ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ 118، 55.
- ﴿قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ...﴾ 123
- ﴿قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ...﴾ 46
- ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ 37، 27
- ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ﴾ 50
- ﴿كَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ... إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ 74
- ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ﴾ 177
- ﴿لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا﴾ 179
- ﴿لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ 74
- ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ أ.....
- ﴿لَحْيَتَاتٍ لِّلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِّلْخَبِيثَاتِ وَالطَّيِّبَاتُ لِّلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِّلطَّيِّبَاتِ﴾ 167
- ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبِينَاتٍ﴾ 202
- ﴿لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ 53
- ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَا تَبْغُوكُمْ﴾ 70
- ﴿لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَٰئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ 176
- ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ﴾ 67
- ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ﴾ 180
- ﴿مَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ... إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ 52
- ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ...﴾ 126
- ﴿يَنْزِلُ الْمَلَائِكَةُ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ 31
- ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ 31
- ﴿نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابُ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ﴾ 25
- ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ﴾ 62

- ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾..... 77
- ﴿وَأَتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾..... 108
- ﴿وَالَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ﴾..... 168
- ﴿وَالَّذِينَ يَزْمُونَ أَرْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ﴾..... 168
- ﴿وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ﴾..... 166
- ﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمُ بِخِيلِكَ وَرَجُلِكَ وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَّهُمْ﴾..... 49
- ﴿وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذَّنْبُ﴾..... 156
- ﴿وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾..... 26
- ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾..... 137
- ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾..... 29
- ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا﴾..... 28
- ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ نَنْظُرُونَ﴾..... 26
- ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾..... 70
- ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنْتُمُ الَّذِينَ كَفَرْتُمْ فَاصْبِرُوا﴾..... 43
- ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾..... 50
- ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾..... 50
- ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾..... 18
- ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾..... 65
- ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾..... 177
- ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأُفْرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ﴾..... 12، 190
- ﴿وَالَّذِينَ يَبْتِغُونَ الْكِتَابَ بِمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾..... 27
- ﴿وَالَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً ...﴾..... 165، 169
- ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يَنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾..... 67
- ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾..... 87
- ﴿وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاَسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ﴾..... 162
- ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ﴾..... 74

- ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾..... 65
- ﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾..... 81
- ﴿وَإِنْ حِفْظُهُمْ إِلَّا تُفْسِدُوا فِي الْيَتَامَى فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مِثْلَى ثُلَاثٍ...﴾..... 188
- ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ...﴾..... 56، 60
- ﴿وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ... وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾..... 77، 195
- ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ...﴾..... 58
- ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾..... 31
- ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾..... 32
- ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾..... 28، 29
- ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾..... 104
- ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾..... 185، 186
- ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى﴾..... 116
- ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى﴾..... 116
- ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾..... 94
- ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾..... 120
- ﴿وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾..... 50
- ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ﴾..... 19
- ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ...﴾..... 197
- ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾..... 19
- ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾..... 128
- ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهْدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾..... 70
- ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾..... 69
- ﴿وَفَصَّلَ الْخِطَابِ...﴾..... 19
- ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَطَّلِعُ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ هَاسًا﴾..... 134
- ﴿وَفَرَّانًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾..... 26

- ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَعْضَضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ... لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾..... 182
- ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾..... 46
- ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ وَيَا سَمَاءُ أَفْلِعِي﴾..... 54
- ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ ..﴾..... 31، 30
- ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا﴾..... 67
- ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ ...﴾..... 108
- ﴿وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾..... 163
- ﴿وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّغْرَقُونَ﴾..... 19
- ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّوْجَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾..... 190
- ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾..... 66
- ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ﴾..... 62
- ﴿وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمَنَّ﴾..... 197
- ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ﴾..... 18
- ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِيَ الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ .. وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾..... 50
- ﴿وَلَا يَخْسِبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ﴾..... 66
- ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾..... 42
- ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ ... وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾..... 131
- ﴿وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ﴾..... 62
- ﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَىٰ بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ﴾..... 122
- ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وَقَعُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبَّنَا﴾..... 54
- ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَىٰ﴾..... 66
- ﴿وَلَيْسْتَغْفِرِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ... غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾..... 10، 193
- ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾..... 164
- ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾..... 122
- ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ﴾..... 27
- ﴿وَمَا جَعَلْ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾..... 83

- ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾، 73
- ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾، 110
- ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ 57
- ﴿وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ﴾ 199
- ﴿وَمِنَ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنُهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ﴾، 109
- ﴿وَمِنَ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ 192
- ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ 65
- ﴿ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور﴾ 3
- ﴿وَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً﴾ 126
- ﴿وَمِنْهَا جَائِرٌ﴾؛ 69
- ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْتَخْطُونَ﴾ 111
- ﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرِثًا﴾ 93
- ﴿وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ 35
- ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ 36, 37
- ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾، 110
- ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾، 49
- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ... إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ 55
- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ...﴾ 88, 130
- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ 76
- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ...﴾ 67
- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ 27،

65، 85

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَى بِالْأُنْثَى...﴾
81.....
- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِثَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾.....
106.....
- ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾.....
43.....
- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾.....
43.....
- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾..... 42، 45
- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾... 35
- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا﴾..... 34
- ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ ...﴾ 44.....
- ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ﴾..... 53، 54
- ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ﴾..... 49
- ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتِ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾..... 49
- ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾،..... 48
- ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ادْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُون﴾..... 46
- ﴿يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرُ﴾،..... 54
- ﴿يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾..... 93
- ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ﴾..... 83
- ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾..... 83
- ﴿يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ﴾..... 30
- ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾،..... 43
- ﴿تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا﴾..... 186
- ﴿وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ﴾..... 31

- ﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ...﴾ 66.....
- ﴿وَمَنْ لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَن يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّن فِتْيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ﴾ 125.....
- ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ 67.....
- ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾ 129.....
- ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ 42.....
- ﴿بل هو قرآن مجيد﴾ 38.....
- ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ 57.....
- ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾ 68.....
- ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعَمُوا...﴾ 68.....
- ﴿وَالَّذِينَ يَزْمُونَ أَرْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ 167.....
- ﴿وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ 75.....
- ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ 32.....
- ﴿وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ﴾ 37.....
- ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ 37.....
- ﴿يَس وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾ 40.....
- ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكَمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾ 51.....
- ﴿قُلْ لِّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ 60.....
- ﴿كانتا رتقا ففتقناهما﴾ 203.....
- ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ 74.....
- ﴿وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾ 203.....
- ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَثْنَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ 32، 30.....

- ﴿وَأَفْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ 70
- ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ 245
- ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ 185
- ﴿وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا﴾ 197
- ﴿وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ﴾ 199
- ﴿وَلِيُخْخِمْ أَهْلُ الْإِنجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَخُخِّمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ 65
- ﴿وَلَيْسْتَغْفِرَ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا﴾ 198
- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ 186
- ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ﴾ 200
- ﴿وَلِيَشْهَدَ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ 164، 200
- ﴿يَعْظَمُكَ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا﴾ 200
- ﴿الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ 7، 8
- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَيْسَتْ أَدْنَىٰكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ... وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ 5
- ﴿أُولَىٰ لَكَ فَأُولَىٰ ثُمَّ أُولَىٰ لَكَ فَأُولَىٰ﴾ 48
- ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُفِّنَاهُ لِيَلْدِ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ 93
- ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ أ

فهرسالأحاديث:

- 182 ((إذا استأذن أحدكم ثلاثا فلم يؤذن له فليرجع)) .
- 204 ((أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة...))
- 163 ((إن الله قد بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالحق، وأنزل عليه الكتاب...))
- 182، 179 ((إن النظرة سهم من سهام إبليس مسموم...))
- 180، 177 ((إنما جعل الله الإذن من أجل البصر)) .
- 162، 159 ((خذوا عني، خذوا عني، قد جعل الله لهن سبيلا...))
- 5 ((علموا رجالكم سورة المائدة، وعلموا نساءكم سورة النور)) .
- 109، 105 ((قلب المؤمن بين أصبعين من أصابع الرحمن)) .
- 203، 198 ((ولك الحمد أنت نور السماوات والأرض ومن فيهن))
- 166، 162 ((يا مرثد، الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة، فلا تنكحها)) .
- 198، 194 ((يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج...))
- 116، 112 ((أسرعكن لحاقاً بي أطولكن يداً)) .
- 2 ((اقرءوا القرآن ، فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ...))
- 268، 111، 107 ((الَّذِي يَعُودُ فِي هَبَّتِهِ كَالْكَلْبِ يَرْجِعُ فِي قَيْئِهِ))
- 68 ((الْقَصْدُ الْقَصْدُ تَبْلُغُوا)) .
- 202، 197 ((اللهم لك الحمد، أنت قيم السموات والأرض ومن فيهن...))
- 79، 76 ((إن الله تعالى وضع عن المسافر الصوم وشطر الصلاة...)) .
- 85، 82 ((انظر إليها، فإنه أحرى أن يؤدم بينكما)) .
- 75، 73 ((إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين)) .
- 118، 114 ((إنها لتعدل ثلث القرآن)) .
- 75، 72 ((بعثت بخنيفية سمحة)) .
- 191، 187 ((تزوجوا الودود الولود، فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة)) .
- 192، 188 ((ثلاثة حق على الله عوضهم: الناكح يريد العفاف...)) .
- 131، 128 ((خُذِي فُرْصَةً مِنْ مَسْكِ فَتَطْهَرِي بِهَا ...))

- 85.....((فَأَعْتِقْ رَقَبَةً...))
- 170، 166.....((فالرجم أهون عليك من غضب الله))
- 22، 21((لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَفْرَأْ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ))
- 193، 189.....((ليتخذنَّ أحدكم قلبًا شاكراً، ولسانًا ذاكرًا، وزوجة تعينه على أمر الآخرة))
- 74، 72((ما خيّر رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أمرين إلا اختار أيسرهما...))
- 85، 82((مَنْ لَمْ يُجْمِعِ الصَّيَّامَ قَبْلَ الْفَجْرِ، فَلَا صِيَامَ لَهُ))
- 77، 75((نِعْمَ الْمَالُ الصَّالِحِ لِلْمَرْءِ الصَّالِحِ))
- 87.....((هَلَكْتُ، قَالَ: وَلَمْ؟ قَالَ: وَقَعْتُ عَلَى أَهْلِي فِي رَمَضَانَ...))
- 70.....((الْقَصْدَ الْقَصْدَ تَبَلُّغُوا))
- 78، 75((يَا عَمْرُو! نِعْمَ الْمَالُ الصَّالِحِ لِلْمَرْءِ الصَّالِحِ))
- 8.....((يَا مَرْتَدُّ! الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ فَلَا تَنْكِحُهَا))
- 195، 192، 188، 185.....((يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج))
- 185، 182.....((ياعبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعا ولا أباي...))
- 84، 81، 75، 73((يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا))

فهرس الأشعار

196	أحب الأيامى إذ بثينة أيم
63	تَلَدَّ لَهُ المروءةُ وهي تُؤْذِي
182	فغض الطرف إنك من نمير
184	نظرة فابتسامة فسلام
182	وأغض طرفي إن بدت لي جارتى
196	يقر بعيني أن أنبأ أنها
196	لله در بني علي

شُكْرٌ وتقدير

إهداء

مقدمة أ.

مدخل: التعريف العام بسورة النور

- المبحث الأول: اسم السورة وسبب تسميتها 2
- المبحث الثاني: فضلها ومكان نزولها 6
- المبحث الثالث: زمن نزول آياتها 8
- المبحث الرابع: صلة السورة بما قبلها وما بعدها 13

الفصل الأول: الخطاب القرآني خصائصه ومميزاته

- المبحث الأول: مفهوم الخطاب القرآني 9
- المطلب الأول: مفهوم الخطاب في التراث العربي: 9
- المطلب الثاني: مفهوم الخطاب القرآني 11
- المبحث الثاني: أسماء القرآن وصفاته 16
- المطلب الأول: أسماء القرآن 16
- المطلب الثاني: أوصافه 27
- المبحث الثالث: أنواع الخطاب في القرآن الكريم 37
- المبحث الرابع: خصائص الخطاب القرآني ومميزاته: 53
- المطلب الأول: عالمية الخطاب القرآني 53
- المطلب الثاني: عربيته 54
- المطلب الثالث: إعجازه 56
- المطلب الرابع: فصاحة ألفاظه 57
- المطلب الخامس: بلاغة مفرداته 58
- المبحث الخامس: مقاصد الخطاب القرآني 66
- المطلب الأول: مفهوم المقاصد: 66

70.....	المطلب الثاني: أقسام المقاصد الشرعية
80.....	المطلب الثالث: طرق الكشف عن مقاصد الشرع (الأحكام الشرعية)
الفصل الثاني أصول النظرية السياقية في التراث العربي والفكر الغربي	
88.....	المبحث الأول: مفهوم السياق وأصوله في التراث العربي
88.....	المطلب الأول: مفهوم السياق لغة:
92.....	المطلب الثاني: السياق في الاصطلاح
94.....	المطلب الثالث: النظرية السياقية وأصولها في التراث العربي
112.....	المبحث الثاني: السياق القرآني (مفهومه وأنواعه)
114.....	المطلب الأول: سياق القرآن الكريم:
118.....	المطلب الثاني: سياق السورة:
120.....	المطلب الثالث: سياق المقطع (سياق النص):
124.....	المطلب الرابع: سياق الآية:
127.....	المطلب الرابع: مرادفات السياق.
132.....	المبحث الثالث: سياق التنزيل
132.....	المطلب الأول: مفهوم أسباب النزول وبيان أهميته.
135.....	المطلب الثاني: فوائد معرف أسباب النزول.
137.....	المطلب الثالث: صيغ التعبير عن أسباب النزول
138.....	المطلب الرابع: طرق معرفة أسباب النزول.
139.....	المطلب الخامس: علاقة السياق بأسباب النزول:
142.....	المبحث الرابع: نظرية السياق في الفكر اللغوي الحديث (عند الغربيين)
142.....	المطلب الأول: لمحة تاريخية عن نظرية السياق عند الغربيين:
147.....	المطلب الثاني: أهم الانتقادات الموجهة للنظرية إلى النظرية السياقية الغربية:
147.....	المطلب الثالث: أنواع السياق
الفصل الثالث: دراسة تطبيقية على سورة النور	
159.....	المقطع الأول: مقدمة استهلالية لبيان عظم السورة.
160.....	المقطع الثاني: بيان عظم قبح فاحشة الزنا وما يترتب عنها.

168	المقطع الثالث: أحكام اللعان وما يترتب عنه
172	المقطع الرابع: حادثة الإفك (براءة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها)
180	المقطع الخامس: آداب الاستئذان والحكمة من تشريعه
182	المقطع السادس: غرض البصر عن المحرمات والحكمة من تشريعه
186	المقطع السابع: دعوة المؤمنين بالتوبة قبل فوات الأوان.....
188	المقطع الثامن: الحث على تزويج الإماء والصالحين من المؤمنين وبيان المقاصد الشرعية منه
194	المقطع التاسع: العفة مطلب شرعي لمن لم يتزوج
202	المقطع العاشر: إثبات النور لله عز وجل
206	خاتمة
210	قائمة المصادر والمراجع
232	ملحق سورة النور برواية ورش
257	الفهارس الفنية
258	فهرس الآيات القرآنية
276	فهرس المحتويات

ملخص:

تهدف هذه الرسالة إلى بيان معنى الخطاب القرآني، الذي هو خطاب الله تعالى للمكلفين طلباً ونهياً، ترغيباً وترهيباً، وعداً ووعداً، إخباراً وتذكيراً، واعتباراً، ونحو ذلك من الخطابات في القرآن الكريم، ومن هنا ندرك أن هذا الخطاب - الخطاب القرآني - ليس كغيره من الخطابات الأخرى، لأنه يمتاز بالفصاحة والبلاغة، وما تضمنه من إعجاز علمي وتشريعي، فإذا أمعنا النظر في آي القرآن نجد أنه مرة يكون الخطاب عاماً لجميع الناس، من إنسهم وجنهم، مؤمنهم وكافرهم، ومرة يخاطب الكفار وأخرى يكون الخطاب موجهاً للمؤمنين، كما يخاطب لمنافقين وهكذا، لذلك فقد تطرقت في هذا البحث، إلى الخطاب القرآني من حيث التعريف، والأنواع، والخصائص والمميزات.

كما تطرقت إلى موضوع السياق وما يتعلق به، واتخذت سورة من سور القرآن لأطبق عليها الدراسة النظرية، فقد عنونت هذا الرسالة بـ: " الخطاب القرآني في ضوء النظرية السياقية سورة النور أمودجا"، وقمت بالدراسة التطبيقية على هذه السورة - سورة النور - التي تحمل في طياتها الحديث عن الأخلاق الرفيعة، والآداب الاجتماعية، حتى قال بعضهم لو اتخذت لها اسماً لسميتها سورة الأخلاق كما أنها اشتملت على ذكر الحلال والحرام وما يترتب عليهما من الثواب والعقاب فجاءت هذه السورة كتقرير الحلول التي تهنز المجتمع ككل.

ولفهم هذه السورة فهما صحيحاً سليماً لا بد أن نراعي السياق القرآني الذي هو محل دراستنا، حيث أننا ننظر إلى السورة كاملة من أولها إلى آخرها وربط بعضها ببعض، وننظر إلى مناسبتها مع السورة التي قبلها والتي بعدها، لأن كلام الله عز وجل يفسر بعضه بعضه، وهذا هو المنهج الصحيح، لذلك فقد وضعت خطة كما هو مبين في مقدمة هذه الرسالة: متتبعا إياها خطوة بخطوة، لأسير عليها لفهم مراد الله عز وجل، وقد اعتمدنا على السياق، لأن سورة النور فيها السياق الخارجي (أسباب النزول)، وسيق المقاصد، وغيرهما من أنواع السياق، وهذا يعين على فهم القرآن الكريم، كما رأيت من خلال سورة النور، أن القرآن يفسر بعضه بعضاً، فما كان مجملاً في مقطع أو سورة، يأتي مفصلاً في مكان آخر. كما جاءت هذه الدراسة لتوضيح مقاصد الخطاب القرآني. كل هذا سنلقي عليه الضوء في هذه الرسالة العلمية.

Summary:

The purpose of this study is to explain the meaning of the Qur'anic discourse, which is the discourse of Allah, to the charged persons, asking for forgiveness and forbearance, promise, remembrance, consideration and all kind of discourse in the Holy Quran. Here we realize that this discourse is not like any other, since it is characterized by his fluency and eloquence and what he contains of scientific and legislative miracles. Once we focus on the Quran, we find that sometimes its discourses addressed to people in general, human mankind and the Jinn, but in other times, toward the believers and unbelievers, this is considered as an evidence of miracles in communication. This was the reason to entitle my letter: “the Qur'anic discourse in the light of contextual theory, Al-Nur model”, this so-called surah which carries with it the talk about ethics, social etiquette and high ethics, some said if I would like to name it, I'd say its name “Al-ethics”, since it included all “halal” and “Haram” forbidden and allowed. It entails reward and punishment. This sura comes as a report of solutions that agitate and affects the whole society. You will not be able to understand this surah as it should be, unless we rely on its proper understanding and understand it correctly, and this by viewing the whole sura from the beginning to the end and linking it, because the words explain each other in the Quran of God, and this is what called the context. We made a plan in this research to develop the study, and to understand the speech of God, so that in the surah of “Al-Nur”, what is overall in some words is detailed in another. This study aims also to clarify the purposes of the Qur'anic discourse. We will shed light on all these aspects in the Doctoral thesis.

Resumé:

Le but de cette étude est d'analyser le discours coranique, dans un niveau contextuelle et de prouver spécification discours d'Allah, aux gens qu'ils ont créé ce langage de déférente contextes réalise la demandes. l ordre .la promesse .le rappel .et la menaces,. Nous nous rendons compte que ce Saint Coran discours est caractérisé par sa précision description et ses arguments logiques et par ce qu'il contient de miracles scientifiques et législatifs et ce discours Coranique, nous constatons que parfois son discours s'adresse aux gens en général, à l'humanité et aux djinns, mais d'autres fois, aux croyants et aux incroyants, cela est considéré comme une preuve de miracles dans la communication. Ce fut la raison d'intituler cette recherche : "le discours coranique à la lumière de la théorie contextuelle, modèle Al-Nur", L'analyse du discours du texte coranique a un effet spécial aux auditeurs grâce a son contexte technique qui permettre de questionner ce qu'on fait en écoutant ,et en lisant sourat Nur Les principales questions auxquelles l'analyse du discours est censée répondre, sont celles du "Comment" et du « Pourquoi » de l'activité langagière, par opposition aux méthodes traditionnelles d'analyse qui plaçaient au centre de leur problématique les questions "Qui ? Quoi ? Quand ? Où ? ». L'approche contextualiste demeure toutefois floue à l'égard de ce dernier postulat. En effet, en dépit du fait qu'il reconnait le rapport de dualité entre le contexte et l'action, l'énoncé contextualiste continue de définir le contexte externe comme étant celui échappant au contrôle des acteurs organisationnels. Le postulat de dualité du contexte et de l'action ne concernerait-il donc que le contexte interne.